المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة — ٣ قروش



المختار

من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

سبتمبر ١٩٤٣

أحد عشر مليون نسخة من كل عدد

طبعات فى الانجليزية والأسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية

إننا نرجو أن يعجبكم « المختار » من مجلة ريدرز دايجست .

فأحد عشر مليون نسخة من هـذه المجلة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحـدة الأمريكية وبريطانيا ومصر . والطبعة الأسـبانية تباع فى ثمـانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغـة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد .

وهذا هو العـدد الأول من الطبعة العربيـة . وقد وُزّع منه ستون الف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة .

ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـلة رضاك . ويسرهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Reg'strata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلوزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى انشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

خارج مصر والسودان — ثمن النسخة ٣½ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٤٠ قرشاً صاغاً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى انشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم، مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

السنة الأولى | سبتمبر ١٩٤٣ | المجلد ١ العدد ١

الشخصيات التي لا تنسى

طبيب القرية

ا. ج. كرونن

تسألني عن أغرب شخصية قابلتها لن أنساها؟

الغريب أنني لا أفكر في أحد من شهوري رجال السياسة، أو قادة الجيوش أرباب الصناعات، بل في رجل ساذج تطمع قط في السلطان، وإنما كان همه مرفاً إلى السيطرة على قوى نفسه وإلى لب والانتصار على الظروف المحيطة به.

" " " " " " " " " " "

ن كرونن طبيباً ناجحاً في لندن إلى أن ضعفت فانصرف إلى التأليف الروائي. ومن أشهر قصتا « القلعة » و « مفاتيح المملكة ».

عرفته ولداً صغير الجسم فقيراً لاشأن له. وكان ألصق بنا من ظلنا مع أنه لم يكن بيننا — نحن التلاميذ المغامرين — من يطيقه، وكان يجتذب الأنظار بدمامته. كان أعرج وشكله يدعو إلى الضحك؛ فإن إحدى ساقيه كانت أقصر من الأخرى. فلذلك كان يلبس حذاء يبلغ سمك نعله ست بوصات، فلو أنك تراه وهو يركض ساحباً ساقه القصيرة وراءه وهو يعرج، والعرق يتصبب على وجهه لقلت: إن تشيزوم ابن القسيس — وكان مشهوراً بالنكات —

أصاب إذ سماه : « دوط — أند — كارى » (أى الذى ينقـل خطواته قفزاً) . ثم اختصرنا ذلك الاسم إلى « كارى » فقط . فكان كل منا يقول متى رآه : « هو دا كارى . لنهرب قبـل أن يلتصق بنا » . ثم نعدو مسرعين إلى الغابة أو إلى حوض السباحة ، وكارى المسكين يسـير فى أثرنا ضاحكا لا يحتج بكلمة .

ذلك كان خلقه . فقد كان حيياً دائم الابتسام، ونحن نسخر منه، ولا نرى فى شكله إلا غرابته . أما ثيابه فكانت قبيحة دائماً بالرغم من جودة ترقيعها ورفوها. أما هو فيكاد يكون من حثالة الهيئة الاجتماعية . وكانت والدته نحيلة شاحبة ، وقد ترملت عن زوج سكير صعلوك ، ولذلك كانت تسعى لتعول نفسها وولدها بكنس الدكاكين وتنظيفها ، ولم تسلم هى أيضاً من تهكم تشيزوم إذ قال : « إنها تأخذ سـلالم البيوت إلى دارهـا لتغسلها ! ! » . وكان « كارى » يتكسب نزراً يسيراً من المال ، فيستيقظ فى الساعة الخامسة من صباح كل يوم لتوزيع اللبن الحليب على الزبائن .

وكثيراً ما كان يتأخر بسبب ذلك عن الوصول إلى مدرسته فى الميعاد . ولا أزال أذكر كيف كان الأستاذ يستقبله بشراسة ويقول له : « ألا تزال تتأخر عن الحضـور ؟ » فيجيبـه كارى : « نعم يا سيدى » . فيصيح الأستاذ : « وأين كنت الآن ياصاحب السعادة ؟ لعلك كنت تتناول طعام الإفطار مع الحاكم ؟ » فيجيبـه كارى متلعثما : « كل ... كل ... كلا يا سيدى » .

وفى الواقع كانت هـذه اللعثمة تنتاب كارى المسكين فى مثل تلك المواقف ، وتشتد به ، فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ، فيثير ذا[لك] ضحك التلاميذ كلهم ، لما يرون على أسا[رير] أستاذهم مما يشجعهم على ذلك .

ولو كان كارى ذكياً لانتهى كل شىء [على] خير ، فكل شىء يغتفر فى اسكتلندا للتلميذ الذكى . أما هو فمع أنه كان يحفظ دروسه إلا أن الامتحانات الشفهية كانت جحيما عليه .

وكانت أمه تدرك ذلك وتتحسر ، وكانت أمنيتها الكبرى أن ترى ابنها متفوقاً بين رجال الدين بالكنيسة الاسكتلندية ، وقد أقسمت أن تتحقق تلك الأمنية أو تموت .

أما كارى فكان يفضل فضاء الريف على حشد الكنائس ، ويميل إلى المعيشة فى الغابات والمروج ، ويعطف على الحيوانات عطفاً غريباً . وكانت سعادته لا تقـاس بسعادة أحد إذا أتيحت له العناية بطير أو حيوان مصاب . وكانت له دراية بمعالجة تلك العجماوات . وحقيقـة أمره أنه كان شديد الميل إلى دراسة الطب .

ولـكنه كان مجبولا على طاعة والدته ، لذلك ترك المدرسة ودخل إحـدى كليات الدين ليتعلم اللاهوت . وكانت والدته تـكد وتشقى وتقتصد كل درهم ، لتجعل ولدها قسيساً . ولـكنه لم يكن يميل إلى السلك الديني ، ومع ذلك فقد جاهد جهاد بطل .

ولما بلغ الرابعة والعشرين من عمره عين قسيساً في إحدى كنائس اسكتلندا . وأعجب أتباع تلك الكنيسة بأخلاق أمه ، وبما فعلته من أجل ابنها . وفي ذات يوم عهد إليه في أن يعظ عظته الأولى ، فامتلأت الـكنيسة بالجمهور الذي كان يتشوق لسماع موعظة القسيس الجديد، وكان هذا القسيس قد قضى عدة أسابيع يستذكر عظته ويحفظها عن ظهر قلب . فلما جاء الوقت وقف على المنبر وقفة هادئة ، ثم أخذ يلقي العظة رابط الجأش . وظل كذلك بضع دقائق ، ثم خطر بباله فجأة أن جميع الأبصار تشخص إليه . وكانت أمه جالسة في أحد المقاعد الأمامية ، وقد لبست ثياب يوم الأحد، وأخذها الزهو بابنها وهي تحدق إليـه . هزته رعدة شلته فأفقدته ثقته بنفسه فتردد ، وأضاع تسلسل أفكاره ، وبدأ يتلعثم . فلما استولى عليه شعوره بعجزه عن الـكلام اضطرب وضل ، وحاول أن يتغلب عليه فلم يستطع ، وخانته الألفاظ ، فأخذ يبذل جهد اليائس . ولـكن الابتسامات التي رآها على وجوه القوم ، وضحكاتهم المـكبوتة ، ورؤيته وجه أمه وقد أخـذها الاضطراب — كل ذلك زاد في تلعثمه ، فقطع الموعظة وطلب إنشاد ترنيمة.

وأثر هـذا الحادث في نفس والدته المسـكينة فأصيبت بنوبة فالج ، ونقلت إلى منزلها ، ولم تمر ساعة حتى فاضت روحها .

في ذلك اليوم عاد كاري من دفن أمه ، ولم يره أحد في بلدة لفنجفورد فيما بعد ، ولا علم أحـد بمقره . وتناولتـه الألسنة باللوم والسخرية، وقال الجميع : إنه قد أخفق إخفاقاً تاماً فعاد لا يصلح لعمل . على أن كاتب هذه السطور بلغه بعد بضع سنوات أن كاري يعلم في مدرسة حقيرة في إحدى مناطق المناجم باسكتلندا . فعاودتني الذكريات ، وخامرني شيء من الأسف لما مني به ذلك الرجـل من أسباب اليأس . ثم ما لبث أن امحت صورته من ذاكرتي .

ومرت الأيام ، وكنت أشتغل في جامعة أدنبره ، فدخـل عليّ تشـيزوم ذات يوم (وكان قد أصبح المساعد الأول لأسـتاذ التشريح في تلك الجامعة) ، وقال لي : « هل تعلم من يقوم بتشريح الجثث في دائرتي ؟ » قلت : لا . قال : « صديق صبانا كاري » .

فلم أكد أصدق أذنيّ . وتخيلت كاري وهو في نحو الثـلاثين من عمره وقد بدأ

دراسته الطبية . تصورته فى ثيابه الرثة وهو يعرج منحنى الظهر ، ورفاقه فى المدرسة يضحكون منه ويسخرون ، ولا يرضى أحدهم أن يكلمه . وكان يسكن يومئذ فى غرفة حقيرة بمنطقة فقيرة ، ويطبخ طعامه بيده ، ويقتصد من الدريهمات التى ادخرها من مرتبه وهو معلم . وتمثل لناظرى شبح الجهاد الذى جاهده فى السنتين التاليتين ، يوم كانت سنه وملامحه ولغته حجر عثرة فى سبيل نجاحه . و مع ذلك جاهد وظل يجاهد ويأبى أن يعترف بإخفاقه ، وروح المرح والعزم والأمل تبدو فى عينيه .

ومرت الأيام ، وانقضت خمس سنوات بل أكثر . وفى ذات يوم كنت فى لندن وقد نسيت كارى ، وانقطعت كل صلة بينى وبينه ، ولكنى كنت أقابل تشيزوم مراراً . وكان منظره الحسن وهندامه وذلاقة لسانه تهيئه لمستقبل سياسى عظيم حتى أصبح عضواً بالبرلمان ، وانفسح أمامه طريق الوزارة . وفى شهر مايو سنة ١٩٣٤ ذهبت معه إلى لينوكس لنقضى عطلتنا فى صيد السمك ، وكان الطعام الذى يقدم لنا رديئاً ، وصاحبة النزل امرأة نحيلة الجسم شرسة الأخلاق . وبعد يومين من وصولنا شاء حسن الحظ أن تزل قدمها فسقطت على أرض الغرفة ، وأصيبت ركبتها برضوض مؤلمة . وحاولنا أن نسعفها بما فى وسعنا بغير اهتمام — وكلانا من الخوارج على علم الطب — فلم تسمح لأحد بأن يمسها إلا طبيب القرية ، الذى أخذت تشيد بذكائه ومقدرته ، حتى صرت أنا وتشيزوم نتبادل النظرات والابتسامات .

وبعد ساعة وصل الطبيب يحمل حقيبة سوداء ، وعلى وجهه علامات الاعتداد بالنفس والانهماك فى العمل . فأسكت المرأة التى كانت تتأوه وطمأنها وبعث فى نفسها الثقة ثم طفق يعالج ركبتها بلمسات خفيفة تدل على المهارة والرشاقة ، حتى أعاد العظم إلى مكانه .

وبعد ذلك التفت إلينا ، وما كدنا نراه حتى همهم تشيزوم : « يا إلهى ! هذا كارى ! »

نعم كارى بعينه ! ولكنه لم يكن ذلك الرجل المتلعثم الحيى الرث الثياب ، بل كان قد أصبح رجلا هادئاً يدل مرآه على الثبات والثقة بالنفس . فحيانا بلهفة وشو... علينا فى قبول دعوته للعشاء فى منزله ... استأذن فى الانصراف لزيارة أحد مر...

فى مساء ذلك اليوم دخلنا منزل طـ... القرية بخطوات ثقيلة متئدة . وما كان أ... دهشتنا إذ علمنا أن كارى متزوج . واستقبـ... زوجته بترحاب عظيم ، وكانت على جانب ... جمال الريفيات ونضارة الشباب ، وكانت تشير إلى زوجها « الدكتور » بكل تجـ... واحترام . وإذ كان الدكتور لا يزال

عيادته ، فقد أخـذتنا إلى الطبقة العليا من المنزل لترينا أولادها — ولداً وبنتين — وكانوا نائمين وعلى ثغورهم ابتسامة لطيفة . واستولت علينا الدهشة ، فوقفنا صامتين لانبس ببنت شفة .

ثم عدنا إلى الطبقة السفلى من المنزل ، وبعـد قليل وصل كارى ، ومعه ضيفان آخران . ولما جلسنا إلى المـائدة أخذت أراقب كارى ، فوجدته رزيناً هادئاً كأحسن ما يكون الضياف . وكان صـديقاه اللذان حضرا معه — وهما من ذوى المنزلة — يخاطبانه بكل تجلة ووقار ، واتضحت لنا منزلته مما سمعناه عنه من أفواه النـاس . وكانت دائرة عمله واسعة جداً ، وجل مرضاه من سكان الريف المنتشرين فى جهـات متفرقة . ومع أنهم كانوا شديدى الحرص كثيرى الصمت ، فقد استطاع أن يستولى على عقولهم وعواطفهم . فكان حيثما سار تهرع إليه الأمهات وعلى أذرعهن أطفالهن يستشرنه ، ويطلبن منه معالجتهم على قارعة الطريق . وفى مثل هذه الحالات لم يكن يعنى بتقاضى أجر ، لأن ما كان يكسبه كان يكفى ويزيد . ولذلك كانت الهدايا تكوم على باب منزله فى ليلة عيـد رأس السنة من دجاج وإوز وبط وبيض وغيرها .

وكان القوم يتناقلون عنه قصصـاً كثيرة . فكثيراً ما كان يقضى الليل بجانب عليل يصارع الموت ، أو طفل يصاب بالدفتيريا ، أو فلاح مصاب بالتهـاب الرئة ، أو زوجة تعانى آلام المخاض . وهو يشجع كل واحد ، ويبذل كل ما فى وسعه لإنقاذ المريض من بين براثن الموت .

لذلك أصبح طبيب القرية ذا نفوذ وسلطان بين القوم ، وذاعت شهرته فى تلك الأنحاء . وكان يستعمل فى معالجة مرضاه منتهى اللطف والحكمة ، يقارنهما العلم والاختبار والجد والمثابرة ، والولع بعلم الطب الذى أثبت أنه خلق له . وكان يدرك أنه قد استولى على عواطف القوم الذين كان يقيم بينهم . وقد أبى أن يعترف بانكساره فى أول سيرته ، فظل يكافح ويناضل حتى انتصر .

وعند ختام السهرة انصرفنا من منزل طبيب القرية ، وسرنا نتعثر فى الظلام ونحن صامتان . وفى أثناء الطريق قال صـديقى تشيزوم : « لقد نجح هذا الرجل أخيراً » .

فاستيقظت من شبه الذهول الذى كنت فيـه وقلت لصديقى : « أيهما تفضل أن تكون ياتشيزوم ؟ أن تكون كما أنت أم تكون طبيب لينوكس » .

قال : « قاتلك الله ! ألا تدرى ؟ »

هذا هو ميراثك

ملخصة عن مجلة تايم

كانت «ماريا» مثقلا، قد عظم ما فى بطنها لما استولى الألمان على قريتها فى يوغوسلافيا. وكان زوجها الشاب « بطرس » قد فرّ ليلتحق بعصبة اليوغوسلافيين الوطنيين ، وقد قتل بعد ذلك بأسابيع ، ولكنه قبل أن يلفظ النفس الأخير أخرج قطعة من قلم كتب به رسالة إلى ولده الذى كان لا يزال جنيناً .

وقد تناقل زملاؤه كتابه هـذا ، حتى صار بعض مايروى ويؤثر من الأدب الشعبي اليوغوسلافى . وقد وصل من عهد قريب إلى لندن والعالم الخارجى ، وفيه يقول :

«أى بنىّ الراقد الآن فى الظلام يستجمع قوته لجهد الولادة، إنى أتمنى لك الخير وأدعو لك به ، ومتى آن الأوان لك فستكون قد أوتيت قوة تجاهد بها فى سبيل الهواء والنور وهذا ميراثك ، وميراث كل ابن أنثى — أن تجاهد طلباً للنور ، وأن تصبر وتتجلد .

« فلا انطفأت الشعلة التى تصفى وتصقل معدن شبابك الوضاء ! ولتبق دائماً متسعرة، حتى إذا فرغت من عملك صرت كنار الحارس المرفوعة الضياء على طريق موحش، يحمدها ويأنس بها كل عابر سبيل .

« وستؤتى وأنت طفل روح التطلع والمغامرة ، وتلك آية الخلود ، أدام الله عليك ذلك ، وأسكن قلبك ما ينشد به المراعى الخضر فيما يلى الصحراء ، والفجر من وراء البحر ، والنور بعد الظلمة .

« وليكن سعيك وكدحك أبداً بخلوص سريرة ، وشجاعة عالية فى هذا العالم الذى يتحلل فيه الإعياء بالناس .

« واحتفظ بحبك للحياة ، واطرح عنك خوف الموت ، ولا بد للحياة أن تحب وإلا ضاعت ، ولكنه لا ينبغى أبداً أن يغرق المرء ويسرف فى حبها .

« واحتفظ باغتباطك بالصداقة ، ولكن تعلم أن تعرف أصدقاءك .

« واستبق موجدتك وقلة تسامحك وادخرها لما يقول لك قلبك إنه شر، ولا تدع شعورك يفتر عما هو عظيم وجليل ، كالهـ[illegible] والرعد ، والمطر ، والنجوم ، والر[illegible]

والبحر ، ونمو الشجر ، واستحصاد الزرع ، وبطولة الأبطال . ولتكن أبداً حريصاً على الجديد من المعرفة ، مبغضاً للكذب ، قادراً على السخط والنقمة .

«والآن لامفر من الموت . وإنه ليخجلنى أنى أخلف لك ورائى عالماً قلقاً مضطرباً ، غير أنه لا حيلة لى فى ذلك .

وألثم جبينك ، وعم مساء — وعم صباحاً ، وليكن فجرك وضاحاً » .

ولما كرت عصبة الانتقام إلى قرية « بطرس » وجدوا أن ماريا قتلت قبل أن تضع طفلها ببضعة أيام . فصار الكتاب الذى لم يتسن لزملاء بطرس أن يسلموه إلى طفله ، كتاباً إلى كل طفل لم يولد فى هذا العالم الكبير الذى جن جنونه .

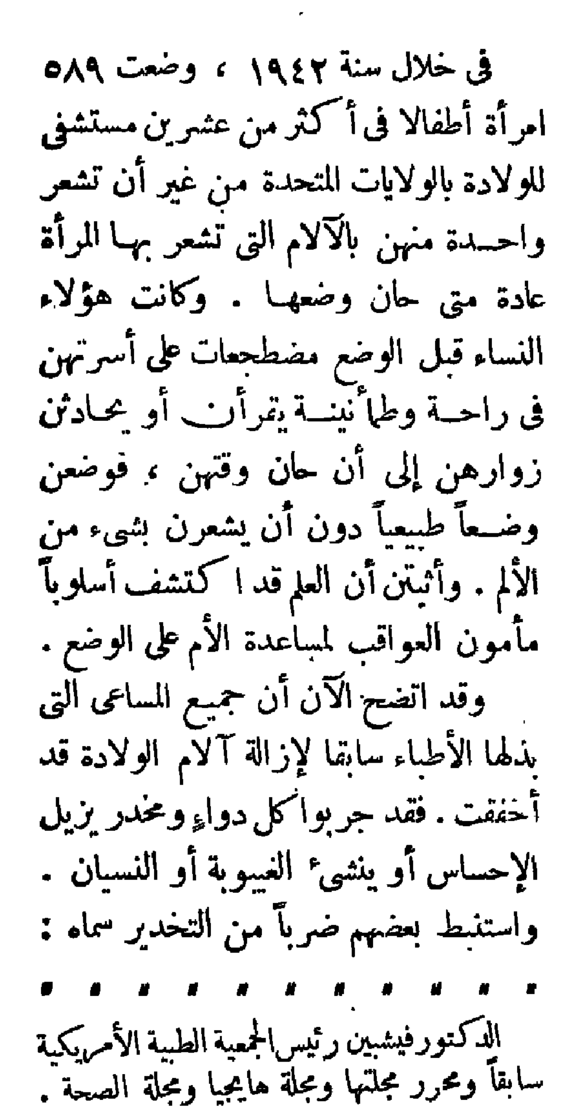
حيل النساء

● حدث مرة أن ظفرت الكاتبة الأمريكية دوروثى طمسون من الدكتور إدوار بنش بحديث ، حين كان بنش وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا . وكانت عائدة إلى ڤينا بطائرة ، فهبت عاصفة حملت الطيار على النزول إلى الأرض فى بلدة تشيكية صغيرة . فأسرعت دوروثى طمسون إلى مكتب البريد لإرسال حديثها بالتلغراف ، ولكنها لم تجد فى جيبها النقود الكافية لتوفية أجرة إرسال الحديث بالتلغراف . فطلبت أن يرسل ، على أن يستوفى الثمن من الصحيفة المرسل إليها . فأبى الموظف أن يفعل . فكتبت مس طمسون فى الحال برقية أخرى وناولته إياها ، فما كاد يقرؤها حتى وافق على إرسال الحديث بالتلغراف ، واستيفاء الأجر من الصحيفة . وكانت البرقية الثانية موجهة إلى الدكتور بنش نفسه ونصها : —

« حبيبى . أرجو أن تبذل جهدك لرفت جميع الموظفين فى مكتب البريد هنا . حبوبتك » . [مرجريت كايس هاريمان فى مجلة « ذى نيويوركر »]

أسلوب جديد فى التخدير أسفر عن نجاح باهر ، مع أنه لا يزال فى دور التجربة





ولادة بلا ألم

خلاصة مقالة للدكتور موريس فيشبين

فى خلال سنة ١٩٤٢ ، وضعت ٥٨٩ امرأة أطفالا فى أكثر من عشرين مستشفى للولادة بالولايات المتحدة من غير أن تشعر واحدة منهن بالآلام التى تشعر بها المرأة عادة متى حان وضعها . وكانت هؤلاء النساء قبل الوضع مضطجعات على أسرتهن فى راحة وطمأنينة يقرأن أو يحادثن زوارهن إلى أن حان وقتهن ، فوضعن وضعاً طبيعياً دون أن يشعرن بشىء من الألم . وأثبتن أن العلم قد اكتشف أسلوباً مأمون العواقب لمساعدة الأم على الوضع .

وقد اتضح الآن أن جميع المساعى التى بذلها الأطباء سابقا لإزالة آلام الولادة قد أخفقت . فقد جربوا كل دواء ومخدر يزيل الإحساس أو ينشئ الغيبوبة أو النسيان . واستنبط بعضهم ضرباً من التخدير سماه :

* * * * * * * * * * *

الدكتور فيشبين رئيس الجمعية الطبية الأمريكية سابقاً ومحرر مجلتها ومجلة هايجيا ومجلة الصحة . وقد نشرت هذه المقالة فى مجلة « هايجيا » .

« سبات الشفق » فأفلح فى إحداث حالة من عدم الوعى أو عدم الشعور بالآلام . ولكن ذلك « السبات » عاق سير الوضع الطبيعى وعرض حياة الجنين للخطر .

ومنذ خمس وعشرين سنة استنبط اثنان من مشهورى الأطباء الألمان الإخصائيين فى فن التوليد طريقة جديدة لإحداث « سبات الشفق » ، وكان لاستنباطهما أثر عظيم فى البيئات العلمية . ومن مقتضى طريقتهما استعمال مزيج من عقارين هما المورفين (ووظيفته تخدير الألم) والسكوبولامين ، (ووظيفته إحداث حالة من النسيان) ، إلا أن الكثيرات من الأمهات اللواتى استعملن هذا المزيج أصبحن يهذين عند الوضع ، وجاء أطفالهن فى حالة شديدة من زرقة اللون بسبب نقص مقدار الأوكسجين الذى يتلقاه الجنين عن طريق الدم فى أثناء الوضع . ولذلك لم يشع استعمال تلك الطريقة ، وظل العلماء يبحثون

عن طريقة أخرى مأمونة العواقب تزيل آلام المخاض .

وقد وفقوا الآن إلى طريقة يسمونها طريقة « التخدير العصعصي المستمر » . والعصعص ، كما لا يخفى ، هو طرف العمود الفقرى الأسفل . وقد نشأت هذه الطريقة وتطورت على أساس طبي . وكان أول أطوارها إيجاد مخدر موضعي . وقد أدرك الأطباء أنه إذا حقن جزء من الجسم محيط بمجموعة من الأعصاب بمادة الكوكايين أو بأحد مركباتها ، حال دون وصول الألم إلى الدماغ ،فلا يشعر به المرء.ثم جاء بعد ذلك تخدير العمود الفقرى ، وقد ثبت أنه مأمون العواقب إذا تولاه طبيب ذو دراية واختبار.

ومن التخدير الموضعي والتخدير العصعصى تولدت عند الأطباء هذه الفكرة ، وهى : أن فى الإمكان تخدير الأعصاب الممتدة من الرحم (حيث ينمو الجنين قبل الولادة). ولا يخفى أن مبدأ هذه الأعصاب هو فى الجزء الأسفل من العمود الفقرى . وقد تمكن بعض الأطباء الألمان فى سنة ١٩١٣ من تخدير ذلك الجزء تخديراً موضعياً . واقتفى الأطباء الأمريكيون أثرهم فاقتبسوا طريقتهم وحسنوها . وذكر أحدهم أنه استعملها فى أكثر من أربعمائة حادثة من حوادث التوليد . وذكر غيره أنه استعملها فى أكثر من مائتى حادثة . ومن مزايا هذه الطريقة أنها تخفف آلام الوضع ، وإن كانت لا تزيلها بتاتاً ، أى أن السيدة التى هى على وشك الوضع تقضى عدة ساعات تعانى الآلام قبل حقنها بالمادة المخدرة فى الدقائق الأخيرة من المخاض .

وفى ٦ يناير سنة ١٩٤٢ أدخل الطبيبان ، روبرت هنجسون ، ووالدو إدووردز ، من أطباء مصلحة الصحة الأمريكية ، تحسيناً على طريقة الحقن المذكورة بقصد إزالة الآلام أثناء مدة الوضع كلها . وقد درسا الجزء الأسفل من العمود الفقرى درساً مسهباً لمعرفة الموضع الذى يجب وخزه بالإبرة عند الحقن لتخدير أعصاب ذلك الموضع عند الولادة بحيث لا يصل المخدر إلى السائل الفقرى ، أو إلى أى مكان يمكن أن يصل التأثير منه إلى العمود الفقرى نفسه . وفى الواقع إذا لم يكن الطبيب المخدر يعرف دقائق تشريح ذلك الجزء من الجسم معرفة تامة فلا يتوقع له النجاح . وقد وقعت حوادث من هذا القبيل أخفق فيها الطبيب .

أما الطريقة الجديدة فهى فى يد الطبيب الماهر مدهشة حقاً . ويجب بذل كل عناية لتقع الإبرة تماماً على الموقع الذى يجب أن تقع عليه ، فلا يصل المخدر إلى الدم ولا إلى سائل العمود الفقرى، بل إلى البقعة المحيطة بالعصب .

ولهذه الغاية تستعمل إبرة من الصلب تقبل الالتواء ، ولا يتطرق إليها الصدأ . وهى لقبولها الالتواء لاتتكسر ، ولو تقلبت المرأة على سريرها . ويجب استعمال مخدر موضعى لقتل الألم عند إدخال الإبرة ، وهذه الإبرة متصلة بواسطة أنبوب من المطاط بزجاجة تحتوى على المحلول المخدر ، ويحقن منه بضع ملاعق صغيرة . واسمه ميتكايين ، وهو أحد مركبات الكوكايين .

وتقول النساء اللواتى حقن بهذا المخدر إنه زال منهن بعد الحقنة الأولى ببضع دقائق كل شعور بالألم . وهذه الحقنات تكرر فى فترات تختلف من ثلاثة أرباع الساعة إلى ساعة بحسب الحاجة . وتظل المرأة التى تنتظر الوضع مضطجعة على سريرها لا تشعر بألم إلى أن يأتى وقت الوضع فتنقل إلى غرفة الوضع .

وفى أثناء ذلك يراقب الطبيب سير الحالة واقتراب الوضع مراقبة دقيقة ، فإن عدم شعور المرأة بآلام المخاض يحرمه معرفة الدقيقة التى يتم فيها الوضع . والدليل الوحيد الذى يكون أمامه فى هذه الحال هو ازدياد تقلص الرحم بشدة فى فترات متقاربة . ولذلك فليس من الحكمة أن يمارس هذه الطريقة إلا الأطباء الملمون إلماماً تاماً بطرق التخدير وبفن التوليد . وقد نشر الطبيبان هنجسون وإدووردز اللذان سبقت الإشارة إليهما مقالا مسهباً فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية قالا فيه : إن نجاح هذه الطريقة يتوقف على مهارة المولد وعلى اجتناب استعمال الحقنة المذكورة فى حالات الولادة غير الطبيعية وعلى السير بحرص وتؤدة . فإذا استعملت الطريقة الجديدة بعناية ومهارة وبغير تسرع كانت النتائج مدهشة .

وقد كانت أقصر مدة انقضت بين الحقنة الأولى والولادة ٣٥ دقيقة ، وأطول مدة ثلاثين ساعة . وفى خلال هذه المدة الطويلة لم تشعر الأم بألم ما من آلام المخاض ، ولا وقع ضرر ما عليها أو على وليدها .

وقد استعمل الطبيبان هنجسون وإدووردز هذه الطريقة الجديدة فى أحد مستشفيات الولادة التابعة لمصلحة الصحة الأمريكية فى عدد كبير من النساء . ففى مائة منهن كانت ٨٩ سيدة فى انتظار الوضع أول مرة . وإحدى عشرة سيدة قد سبق أن وضعن قبل تلك المرة . وروت بعض سيدات الفريق الثانى لكاتب هذا المقال أن الفرق بين وضعهن هذه المرة ، ووضعهن سابقاً ، عظيم جداً . وحدث أن إحداهن كانت تتناول غداءها فقامت عن المائدة ودخلت غرفة الوضع . وبعد أن وضعت عادت لإكمال غدائها ! . .

وقد جربت الطريقة الجديدة فى ٤٨٩ حادثة إضافية من حوادث الوضع فى عدة مستشفيات ومدارس طبية . وقال الدكتور فرنسيس إرفنج استاذ فن التوليد بكلية الطب بجامعة سرا كيوز الأمريكية — وقد أتيحت له الفرص لاختبار الطريقة الجديدة : « لا شك أن هذه الطريقة كاملة من جميع الوجوه ، فهى تمنع آلام المخاض ولا تؤثر فى حياة الأم أو الطفل » . وكتب الدكتور نوريس فو أستاذ فن التوليد بكلية جفرسون والطبيب المولد بمستشفى فيلادلفيا يقول : «إن التجارب التى جربناها فى مستشفى فيلادلفيا لاختبار طريقة التخدير العصعصى المستمرة تدعو إلى أشد الارتياح . فهى مضمونة النجاح ، وليست خطرة إذا استعملت بحسب إرشادات الدكتورين هنجسون وإدوردز . إلا أنها تتطلب مراقبة مستمرة ممن حذق استعمالها » .

ويؤخذ من تقارير بعض الذين استعملوا هذه الطريقة أن عجزهم عن إزالة آلام المخاض بتاتاً لم يكن إلا فى عشر حوادث أو خمس عشرة حادثة من مائة . وقال آخرون : إن نسبة الإخفاق كانت أقل من ذلك . ولكن حتى فى هذه الحالات كانت الآلام أخف .

والخلاصة أن هنالك حقيقة ثابتة وهى أن مئات من حوادث الوضع بلا آلام تمت باستعمال هذه الطريقة التى لا تزال فى طور التجربة . أما الآن فيجب قصرها على المستشفيات فقط ، على أن يتولى استعمالها أطباء مدربون تدريباً خاصاً ، وأن يساعدهم أطباء خبيرون فى فن التخدير . ولا شك أنه إذا استعملت هذه الطريقة على الوجه الصحيح اتضح أنها من أعظم مراحل الرقى فى علم الطب .

بريطانيا تتكلم

● كان ونستون تشرتشل يجول بين أنقاض مدينة على أثر غارة جوية عليها فى الليلة السابقة . وحيته سيدة عجوز ، فسألها عن حالها بعد هول الليلة السابقة فقالت : إن لهذه الغارات مزية خاصة ، إنها تنسيك الحرب قليلا .

(أوليفر لتلتون فى إذاعة لاسلكية)

جندى يحلل الصفات التى نال بها وسام الشجاعة

ما يسمّونه شجاعة

س . ب . وول

ملخصة عن مجلة « بيل »

قال الليوتننت كولونيل دولارد مينارد:

« أحسب أنى الآن ما يسمونه شجاعاً ، ما دمت قد نلت مدالية تثبت ذلك ؛ ولكنى ما زلت أحاول أن أتبين ذلك الذى جعلنى شجاعاً ، أو يسمونه شجاعاً » .

« وقد طال تفكيرى فى ذلك فى الليل ، وأنا راقد فى مستشفى بلندن بعد أن عدت عبر المحيط الأطلسى ، وأظن أنى قد صرت به بصيراً » .

وأمسك ، ورفع أربعة أصابع وقال :

«إن الذى أراه هو أن هناك أربعة عناصر فيما يزعمونه شجاعتى .

« الأول : تستطيع أن تسميه التفاؤل ، أو حب الذات ، أو إذا شئت الطيش الصريح وعدم التفكير .

« الثانى : النظام — التدريب الذى تدربه فى الجيش .

« الثالث : الحنق — الرغبة فى الانتقام .

«وأقرب عبارة عن الرابع، إلى الصواب انه ذلك الإحساس المستقر فى أعماق النفس بعدم المبالاة ، وبأن : فليكن ما يكون .

« والآن سأحاول أن أبين لك كيف كان ذلك .

«لم تكن مغامرة دييب أكثر من غارة كبيرة للفدائيين (كوماندو) ، وكنت أقود كتيبة من ستمائة رجل . وكان علينا أن ننزل على ساحل دييب ، ونساعد على قطع الأسلاك الشائكة ، ونطهر أعشاش الرماة ، وأوكار المدافع الرشاشة ، وندمر أهدافاً معينة ، ونعود بأكبر عدد ممكن من الأسرى ليستجوبهم رجال المخابرات .

وكنت فى ليلة تلك الرحلة ، عبر خليج المانش ، أفكر فى أمر رجالى وأتساءل فيما بينى وبين نفسى عما لعلهم يفكرون فيه . وكنت أعرف معظمهم معرفة حسنة ، وكانوا جميعهم تقريباً من أبناء كندا

الفرنسيين مثلي ، وقد رأيت صوراً صغيرة لزوجاتهم وأطفالهم ، وأمهاتهم وبناتهم . وأحسبك تعرف نوع هذه الصور التي يبدو فيها المرء مبتسما متخاوصاً يكاد يغمض عينه من الشمس .

« وسألت نفسي : كم منهم ياترى سيكتب لهم أن يعودوا ؟ وشرعت أصلي ــ لا لنفسي على وجه الخصوص ، بل على وجه العموم ، وأناجي ربي بكلام كهذا : « أسالك اللهم أن ترد أكبر عدد منا سالمين من هذا الذي نحن ماضون إليه »

« فقد كنت أعلم ، وكان كل امرىء في الكتيبة يعلم ، أن كثيرين منا سيقتلون أو يصابون . ولكني كنت لا أعتقد في قرارة نفسي أني أنا سأقتل ، ولا أظن أن رجلا واحداً في جميع هذه السفن كان يعتقد أنه سيقتل .

وهذا هو الذي يجعلني أقول إن العنصر الأول فيما يسمى الشجاعة هو التفاؤل أو حب الذات . وهذا العنصر هو الذي يغذيك ويقويك إلى أن تبدأ مرحلة العمل نفسه ، كأنه أجر السيارة يؤدي عنك إلى ساحة المعركة .

والآن ننتقل إلى العنصر الثاني .

لما صرنا على مرأى من دييب ، قبيل الفجر ، كنا ندرك أننا سنقابل بجحيم من النيران على طول الخط . وكان هناك كثير من المدافع يطلق ، وكنا في البداية نستطيع أن نسمع الطلقات ونميزها . الصوت الشديد الصلب ، كالرعد ، الصادر عن المدفعية فيما وراء دييب ، وقعقعة المدافع الرشاشة ، ودمدمة مدافع الهاون ، وإرنان بنادق الرماة . ثم لما اقتربنا من الشاطىء اختلطت جميع هذه الأصوات ، فصارت هديراً واحداً ، ثقيل الوطأة على صماخ الأذن .

«وكانت الباردات الخمسون الأخيرة إلى الشاطىء بلاءاً . وكان الألمان يضبطون المدى ليحكموا رمى السفن . وكنت أشعر بجفاف وحرّ في حلقي . وتمنيت أن أصنع شيئاً ، لا أن أظل قاعداً في هذه السفينة اللعينة .

«وما كادت السفينة تلمس الشاطىء حتى وثبت منها ، وذهبت في أثر قاطعي الأسلاك الشائكة . وكان أول هدف لي وكرا مبنياً من الأسمنت على مرقب ارتفاعه اثنتي عشرة قدماً ، على مسافة مائتي ياردة من الشاطىء .

«وأحسبني ماخطوت ثلاث خطوات حتى أصابتني أول رصاصة . وقد اعتاد الإنسان أن يقول إن الرصاصة أصابته ، ولكن التعبير بلفظ الإصابة خطأ ، والصواب أنها تخبط خبط المطرقة . ولا تحدث لك في أول الأمر شعوراً بألم حادّ ، ولكنها ترجك إلى

حد يتركك لا تدرى على وجه التحقيق فى أى موضع أصبت ، ولا بماذا ؟

« وقد أصابت هذه الرصاصة أعلى كتفى اليمنى ، فألقتنى على الأرض . ولم تخرجنى من المعركة ، ولـكنى شعرت بأنى مضطرب مرتج ، وكان ذلك شبيهاً بإحساسى فى ملعب الـكرة إذ يعاجلنى معاجل من الخلف ، على حين أحسب أن الملعب قد خلا فى وجهى . أى نعم ، بوغتُّ ، فذهلت ، فقطع على سبيلى .

« وأقبل على واحد من رجالى فصحت به : « امض فى طريقك فإنى بخير » .

« ولا أدرى لماذا قلت له هـذا ، فما كنت أعرف كيف أنا .

« واستطعت بجهد أن أقف على قدمى ، ثم دفعت يدى اليسرى فتحسست بها كتفى اليمنى فألفيتها مضرجة بالدم ، ونظرت فى كفى فرأيتها ملوثة به ، فعلمت أنى أنزف .

« فتناولت جهاز الإسعاف المشدود إلى جانبى فوق الفخذ الأيمن ، وعالجته نحو ثانيتين ثم قلت ، لنفسى « كيف أستطيع أن أضمد كتفى بيدى اليسرى ؟

« وكنت فى أثناء ذلك واقفاً على رقعة مبسوطة من الساحل ، ينهال عليها سيل من قذائف البنادق والمدافع الرشاشة ، ومدافع الهاون والمدفعية الثقيلة . ولـكنى ما كدت أصاب بتلك الرصاصة حتى ذهلت عن كل شيء آخر . وكان همى كله أن أتبين هل أنا مازلت قطعة واحدة ؟ ولـكن حركة التناول العقيمة لجهاز الإسعاف نبهتنى إلى ما حولى .

« وأظن أن هذه هى اللحظة التى ظهر فيها أثر النظام والتدريب . فإن ما كان خليقاً أن يفعله على هـذا الشاطىء رجل ليس له حظ من التدريب ، هو أن يحفر حفرة عميقة فى الرمل يزحف إليها ويختبىء بها وعيناه مغمضتان ، ولـكن النظام والتدريب كانا من الوفاء بحيث أعانانا على الاستمرار . وقد لاحظت أن وكر العدو لا يزال ، فشرعت فى الالتفاف به مع طائفة من رجالى » .

وهنا لمس الـكولونل مينارد ندبة أرجوانية على خده الأيمن ، تبعد من العين مقـدار نصف بوصة ، وقال : « وكانت الإصابة الثانية بعـد دقيقة ونصف دقيقة ، وكان لها إيلام ؟ لأن الرصاصة اخترقت الخـد ومزقت قطعة من اللحم .

« فرفعت ظهر يسراى مرة أخرى ، وتحسست خدى . وتالله ما أغرب أن ترى الإنسان لا يزال يحاول أن يلمس الموضع الذى أصيب فيه ، أو كان الجلد مقشوراً مع شيء من اللحم ، كأنما علق بها شص مما يصاد به السمك ثم نزع .

« وطأطأت رأسي وانحنيت ، على قدر ما أستطيع ، ومشيت ، وما قطعت مسافة خمس وعشرين ياردة حتى انطرح أحد رجالي وتجمع على الرمل أمامي ، وكان ضابطاً ومن أحب أصدقائي إلى ، وعملنا معاً في الهند وهنج كنج وسنغافورة ، وكنت شديد الاعتزاز به والإيثار له .

« وكانت كلتا يديه على بطنه ، وهذا موضع إصابة بليغة ، لأنه ما من أحد يسعه أن يصنع له شيئاً إلا في مستشفى . وكان وجهه حائلا ، وكان يتنفس بجهد .

« فمددت يدي إلى جهاز الإسعاف مرة أخرى ، وعينه على ، ولكنه لم يقل شيئاً ، واحتلت حتى أخرجت الحق الذي فيه أقراص المورفين الثلاثة ، وكل منها ربع قمحة ، وفتح فمه وأخرج لسانه قليلا دون أن يحول عينه عني ، فوضعت القرص على لسانه فبلعه . ولم يكن في وسعي أن أفعل غير ذلك ، وكان هو يعرف ذلك كما أعرفه .

« ومضيت إلى الوكر . وإلى هنا يمكن أن أقول إن شجاعتي كان مرجعها إلى النظام والتدريب ، ولم أكن قد شعرت بشيء من الغضب من جراء ما أصابني من جراح ، ولكني الآن ، وصديقي ملقى هناك ، تلهبت غضباً وحنقاً ، ولم يبق في رأسي إلا أني أريد أن أقتل وأن أنتصف

« وكان على أن أدير أعمال فصيلتي ، فكان لا معدى لي عن كبح هذا الحنق ، غير أن ذهني صفا به على ما يظهر ، فصار تفكيري أقدم وأسرع ، بل كان الحنق كأنه ضرب من البنج العام . ولما بلغنا ذروة المرقب أصابتني الرصاصة الثالثة في رسغي الأيمن ونفذت منه ، فلم أكد أشعر بها . ولا يخالجني شك في أن إصابة كهذه ، في أحوال عادية لا يكون المرء فيها مشبوب العاطفة ، برصاصة كبيرة في الرسغ لا بد أن تتركه كالصريع .

« ولكن حنقي آتاني القوة حتى بلغت الوكر ، فألفيت رجالي قد طهروه بقنابل اليد والقنابل اليدوية المحرقة . ومن هناك استطعت أن أبصر ما يدور حولي ، وأن أوجه الوحدات المختلفة باللاسلكي .

« واستطعنا في مدى ساعة أن نسيطر على الشاطىء ، ولكن كثيرين من الرماة كانوا لا يزالون حولنا ، وقد أصابني أحدهم وأنا أحاول أن أحسن مركزي بالصعود إلى أرض أعلى من أرضي . وكانت الإصابة في هذه المرة في ساقي اليمنى فوق الركبة ، وكان وقعها كوقع المطرقة ، ولكني استطعت على نحو ما أن أظل على قدمي .

« وكان رجالنا ودباباتنا تتسلل إلى المدينة

نفسها ، وودت لو دخلت مثلهم ، ولكنى أشعر بالنهافت والضعف والثقل .

« وأصابتنى الرصاصة الخامسة فوق الكعب الأيمن ، فدفعت رجلى معها من تحتى فوقى ، وانتهى بذلك أمرى وقد حاولت أن أنهض غير أنى لم أستطع . وكان جنبى الأيمن كله حاراً ومضرجاً .

« ثم بدأت أجد الوجع ، فأنشأت أصلى مجتهداً ، ثم غشى على .

« وعلمت فيما بعد أن اثنين من رجالى حملانى ، وهبطا بى إلى الساحل ، وأنزلانى فى مركب . ولما أفقت كانت طائرات فوقى وواقف تحاول أن تضربنا بالمدافع الرشاشة ، وكانت المدافع المضادة فى السفينة تطلق قذائفها بعنف على مسافة عشر أقدام من رأسى ، فأدرت عينى فألفيتنى راقداً على صناديق من ذخيرة هذه المدافع ! ولم يكن يخفى على أن رصاصة واحدة تستطيع أن تطير ما أنا عليه إلى السماء ، ولكنى فى هذه المرة لم أكن أعبأ شيئاً بذلك . ودار بنفسى أنهم أخطأوا مقاتلى إلى الآن ، فلن يصيبوها بعد ذلك . وأحسب أن هذا الإحساس هو العنصر الرابع فيما يسمى الشجاعة .

« وظللت راقداً هناك ، أشاهد طائرات سبتفاير تطرد الطائرات النازية وكأنى أشاهد شريطاً سينمائياً . وبعد قليل خرجنا إلى عرض البحر ، وأقبل رجل من رجال الأسطول الملكى وسقانى جرعة من « الروم » من كوب من الصفيح ، وبعد دقيقتين عاد إلى يعدو ويقول : « معذرة يا سيدى ! ولكن هل أصابتك فى المعدة ؟ » فهززت رأسى أن : لا ، فتنفس الصعداء وقال : «هذا حسن ياسيدى ، لأنك لو كنت مصاباً فى المعدة ، لما كان ينبغى أن أسقيك هذا الروم » .

فبدا لى أن هذا أبعث ما سمعت على الضحك ، فأغربت فيه ، ولولا الألم الذى كنت أجد منه مثل كى النار فى شق الأيمن لما أمسكت .

وهكذا خضت الحرب ، وإنى لراض عما لقيته فيها .

☆ ☆ ☆ ☆

● فى مأدبة عشاء بإنجلترا جلس المدعوون يتحدثون فقال أحدهم : « إن السجائر قد فسدت منذ أن نشبت الحرب » . وقال ثان : « إن وسائل النقل قد فسدت » . وقال ثالث : « إن كل شيء قد فسد» . وقال رابع : « كل شيء قد فسد إلا الشعب» .

(لويس فيشر)

أشياء لا نستطيع تفسيرها

أرشيبولد روتلدج

كتبت قبل سنوات مقالا فى إحدى المجلات شرحت فيه بعض الاختبارات الغامضة ، مما وقع لى أو لبعض معارفى . وبعد ما نشر هذا المقال تواردت على مئات الخطابات ، كما زارنى كثيرون فى شأن هذه الحوادث النفسية . وفيما يلى بعض هذه الاختبارات البارزة التى تدل على اتصال بعالم الظلال ، وهو عالم لا أشك فى وجوده فيما يتجاوز حواسنا العادية .

زارنى ذات يوم رجل وقور أبيض الشعر عرفت بعد ذلك أنه قاض ، فلما استقر قال لى :

« لعله مما يهمك أن أروى لك حادثاً وقع لى منذ ثلاثين سنة . وأنا عندما أرويه أجد من بعضهم شكا ، ومع ذلك فليس فى حياتى كلها شىء هو أبرز من هذا الحادث .

« كان ذلك حين كنت وكيلا للدعاوى وكان عملى يقتضى السفر إلى الريف ، فقصدت إلى إحدى القرى فى أصيل أحد الأيام فى عربتى وكان يجرها جواد ، ولم أكن أعرف الطريق الذى نسير فيه . ولما أدركنا الغروب دخلنا فى طريق ضيق قام على يمينه جدار من الحجر ، ولم يكن فى مدى البصر بيت يرى . ولما كنت غير واثق بأنى على الطريق الصحيح ، وأنى فى حاجة إلى أن أسأل وأسترشد حتى لا أضل ، نظرت فوجدت أمامى رجلا قد قعد على مسافة منى على الجدار . فلما اقتربت منه حتى صرت على أربعين متراً رأيته قد انحدر عن الجدار ، واتجه إلى الطريق ثم « سقط فجأة ووجهه إلى الأرض » . ورأيته منبطحاً على الطريق فى وضوح كما أراك أنت الآن .

« وظننت أن هذا المسكين قد أغمى عليه ، فتركت العربة وأسرعت إليه لكى أسعفه . ولم يتحرك الرجل من مكانه فى الطريق ، ولكنه عندما اقتربت منه تلاشى ، فلما بلغت مكانه لم أجده ، ولم أكن قد تحولت عنه بنظرى ثانية واحدة . ويمكننى أن أقول أيضاً إنى كنت شاباً قوياً حاد النظر ، ولم أكن قد شربت شيئاً .

« وعدت إلى العربة وأنا مرتبك الذهن ، وزاد عجبى عند ما رأيت الجواد — وهو حيوان هادئ فى عادته — وقد أخذه الرعب ، فجحظت عيناه من الخوف ، وكان

يتنفس تنفساً ثقيلا ، وقد شمل جسمه العرق الغزير . ولما وضعت يدى على ظهره ارتعش وانتفض ، وكان كل اهتمامى أن أجعل الجواد يسير ، فلما مر بالمكان شرع يعدو وينفخ فى كل خطوة .

« وبعد نحو نصف ميل وقفت عند بيت منفرد وسألت السيدة الواقفة أمامه عن المكان الذى وقعت فيه هذه الحادثة . فأجابتنى وهى تنظر إلىّ فى استغراب : هذا المكان ! ليس هناك من يحب أن يذهب إليه . فقد كان هناك منزل شب فيه حريق قبل سنوات ، وكانت ترتكب فيه جرائم قتل شنيعة شاع ذكرها . إنك رأيت شيئاً هناك . أليس كذلك ؟ لقد رأى كثيرون غيرك مثل هذا .

« وهذه هى القصة التى وقعت لى وقد أيدت نظائرها السيدة التى تحدثت إليها ، وهى تدل على ظهور أرواح ، ثم هناك رعب الجواد وانتفاضه . وإنى أعتقد أحياناً أن للحيوان حاسة سادسة لمثل هذه الأشياء . فهل تعتقد صحة مارويت ؟ » .

فأجبت بالإيجاب وقلت له : إنى مقتنع بأن هناك عالماً غير منظور يحدث أحياناً أن يظهر سكانه لنا فنراهم .

وكثيراً ما يقال إن للحيوان حاسة سادسة يحس بها ما يظنه كثير من الناس خزعبلات أو تخيلات . وإليك هذه الحادثة التى أرويها نقلا من خطاب أرسل إلى :

« كانت عندنا كلبة صيد اسمها مارسيلا ، وكانت مشغوفة بزوجى الذى كان كثيراً ما يقتضيه عمله السفر بعيداً عنا . وكنت فى مدة غيابه أجعل هذه الكلبة تنام فى غرفتى . وحدث ذات مرة حين كان زوجى مسافراً أن أخذت هذه الكلبة تهمهم فنهضت ، وأشعلت المصباح وأنا أخشى أن يكون قد دخل البيت لص . وكان شعر الكلبة قد وقف وصارت همهمتها عميقة مبحوحة غريبة ثم أخذت الكلبة تعوى فى حزن ثم جرت إلى خزانتى وهى تنشج . ولما نزلت الطبقة السفلى وجدت كل شىء فى مكانه . وكان ابناى الطفلان نائمين نوماً هادئاً وبعد ساعة وصل إلى تلغراف ينبئنى بوفاة زوجى فى حادث سيارة . وأنا أعتقد

مارسيلا قد رأت هـذا الحادث أو رأت زوجى فيه » .

وإليك هـذه الرواية التالية أيضاً من مصدر آخر :

« كانت زوجة أخى وطفلتها البالغة من العمر ثلاث سنوات فى غرفة النوم ، وكانت الغرفة مضاءة بضوء براق ، وكانت الطفلة راكعة تصلى جنب السرير ، وكانت الأم إلى جانبها تستمع إليها . وفجأة أحست الأم كأن شخصاً قد دخل الغرفة ، ولكنها لم تر أحداً ، ولم تقل شيئاً عن هذا الإحساس .

« ولما انتهت الطفلة من صلاتها التفتت إلى أمها وقالت : مامى ، من هذا الرجل الشيخ الذى كان واقفاً إلى جنبك ؟ ثم اتضح من سؤالها أن صفات هذا الشخص تطابق جد الأم الذى تركته فى السويد .

« وكان أول خطاب وصل بعد ذلك من السويد ينبئها بوفاة جدها الذى مات فى الليلة التى قالت الطفلة فيها إنها رأته » .

وكتب رئيس تحرير إحدى الجرائد يقول : « كنت عائداً ذات مساء إلى البيت فمررت بجوار منزل صديق لى . وكنت أشاركه حزنه ، لأن ابنه كان مريضاً بالدفتيريا. فلما مررت بالمنزل رأيت صبياً شاحباً مهزولا قد وقف على الرصيف ، وعرفته لأول نظرة بأنه هو ابن صديقى أى الطفل المريض . وظننت أنه فى هذيان المرض قد فر من المرضة ونزل إلى الشارع . فتقدمت وكلمته ، وكنت أوشك أن أحمله إلى البيت ، ولكنى حين بسطت ذراعى إليه لم أجده . وسمعت فى اليوم التالى أنه مات فى الساعة التى مررت فيها بالمنزل » .

ولست قادراً على أن أثبت صحة هذه الروايات ، ولكنى أعرف بعض الذين رووها ولى ثقة تامة بهم . أما عن الآخرين فإنى أقول : إن ما ذكروه عليه مسحة الصدق . فهل من المعقول أن نسمى هذه الحوادث كاذبة ، لأننا نعجز عن إقامة البرهان على صحتها بمقاييسنا المألوفة ؟

✡ ✡ ✡ ✡

● إن القدرة على الإصغاء بالعينين ، والظهور فى مظهر التتبع والافتتان ، وأبواب الأذن مقفلة ، والعقل سارح ، صفة خاصة من صفات الإناث . وقد منح الله المرأة هذه الصفة لكى تتمكن من الإبقاء على زواجها برجل واحد سنين كثيرة ، والاحتفاظ فى الوقت نفسه بقدرتها على الابتسام .

(فرانك كايس)

الأرصاد الجوية سلاح حربي

ماركوس و. تشايلدز

معرفة الأحوال الجوية هى اليوم سلاح من أسلحة الحرب كالطائرة والدبابة ، وحتى جميع الآلات الحربية الحديثة لا يمكن الانتفاع بها على الوجه الأكمل إلا باستقراء الأحوال الجوية والتكهن بها على أساس علمى .

ذلك أن فى وسع العلماء اليوم أن يتنبأوا بما سيكون عليه الجو بعد يوم أو يومين أو أكثر فى كل ميدان من ميادين الحرب. فيعلمون مثلا أن المطر سينزل يوم الثلاثاء فى جزيرة مدغشقر ، وأن الرياح الموسمية سوف تبدأ شدتها تخف فى بورما يوم الأربعاء ، وأن الجو سيكون صحواً حول مورمانسك يوم الخميس ، وأن القوات الأمريكية فى أيسلنده تكون على صواب إذا توقعت ضباباً كثيفاً وسحباً منخفضة فى نهاية الأسبوع . فإذا أرسلت هذه التنبؤات الجوية إلى إدارة العمليات الحربية فى كل جبهة من جبهات الحرب ، فقد يكون لها شأن عظيم فى تقرير الخطة الحربية .

وقد استغل الألمان هذا السلاح طوال مدة الحرب . ويرجع إليه الفضل فى تهريب البارجتين « شارنهورست » و« جنيزناو » من بحر المانش ، بالرغم من قوة السلاح الجوى البريطانى الذى يعتمد على قواعد قريبة فى الساحل . وقد أدهش العالم يومئذ هذا العمل البارع ، مع أنه ليس فيه ما يثير الدهشة . فقد دبر الألمان خطة هذا التهريب قبل ذلك بأسابيع او أشهر ، لتتم كما وقعت تماماً . وبمعرفة الطريقة الفنية للتنبؤات الجوية ، نستطيع أن نعيد ترتيب حوادث هذه القصة كما وقعت .

فإن الأميرال ريدر النازى رئيس العمليات الحربية البحرية طلب من خبير الأرصاد الجوية ، الذى يعمل تحت إمرته ، أن يعين له يوماً يكون فيه الجو على الوجه الذى يطلبه . فقال له : « أريد ستاراً من سحابة تظلل البحر ، وتتعذر تحتها الرؤية ، وأن تكون من البرودة بحيث تتعرض معها طائرات العدو لتجمد الماء عليها ، ويجب أن تساير هذه الحالة الجوية حركة السفينتين

فى مرورها بالمانش . فأخبرنى متى تتوفر هذه الأحوال الجوية ؟ »

وإليك تفصيل الطريقة التى نفذ بها — على الأرجح — خبير الأرصاد الجوية أوامر الأميرال : أخذ هو ومساعدوه يراجعون سجل الخرائط الجوية مدى السنوات الخمس الماضية على الأقل ، فوجدوا أن الحالة الجوية المطلوبة لا تتوفر إلا خلال حركة نوع معين من الضغط الجوى ، يحتمل حدوثه على الأكثر فى شهر فبراير .

وجد أن الزوبعة المطلوبة قد هبت على بحر المانش ، حول منتصف ذلك الشهر ، فى كل سنة من السنوات الخمس الماضية ، فينتظر أن يحدث ذلك مرة أخرى إذا صدقت الدورة الجوية . ولكن كان لديهم ضابط آخر قريب المدى ، فإن خبراء الأرصاد الألمانيين ، برجوعهم إلى المعلومات الدورية عن الجو ، أمكنهم ، فى اليوم التاسع من فبراير ، أن يعرفوا أن زوبعة كانت تتحرك فى شمال المحيط الأطلسى ، وستصل إلى المانش بعد ذلك التاريخ بيومين ونصف يوم .

ففى ليلة ١١ فبراير غادرت البارجتان ميناء « برست » ، واجتازتا المانش فى اليوم التالى . وقد وصفت برقيات الأنباء كيف كانت الأمطار والثلوج تتساقط شديدة كثيفة ، وكانت البرودة قارسة حتى إنها عاقت طائرات الطريد وقاذفات القنابل البريطانية عن الوصول إلى أهدافها .

وقد كان التنبؤ بالأحوال الجوية إلى بضع سنوات مضت يتم بمراجعة الخرائط الدورية للأرصاد الجوية ، مما جعل من الممكن أن تقدر الأحوال الجوية قبل وقوعها بأربع وعشرين ساعة أو ست وثلاثين ساعة على الأكثر . أما اليوم فيمكن التنبؤ بالأحوال الجوية قبل وقوعها بمدة طويلة ، وذلك بمعرفة حركات موجات الهواء الكبيرة التى تمر على سطح الكرة الأرضية ، قطبية واستوائية ، وبمعرفة حركة موجة الهواء فى الطبقات العليا من الجو وهى تتحرك سنة بعد سنة بنظام معين . ويمكن معرفة ما يشذ عنها بشىء كثير من الدقة .

وقد ارتقى هذا الفن إلى درجة تسمح للعسكريين بأن يستعملوا معرفة الأحوال الجوية سلاحاً فعالا فى الدفاع والهجوم . وقد استخدمها الألمان من بداية الحرب ، وكان العالم يدهش من حظهم فى غزوهم لبولنده ، حيث استمر الجو صافياً لا مطر فيه أياماً عديدة متوالية ، على حين أنه كان من المتوقع أن تعرقل حركاتهم الأمطار والطرق الموحلة . إلا أن خبراء الأرصاد الجوية من النازيين كانوا قد تنبأوا بأنه

يمكن القيام بالهجوم خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ بغير عائق من الأمطار الغزيرة .

ولما غزا الألمان النرويج استعانوا بستار من السحب المظللة فى أوائل شهر أبريل . وفى أواخر ذلك الشهر صفا الجو صفاء غريباً ، فتمكنوا من إبعاد الأسطول البريطانى عن سواحل البلاد . وقد كانوا على ثقة من صفاء الجو فى الوقت الذى حددوه لغزو بلاد اليونان وجزيرة كريت .

ولكن ماذا كان من أمر الحملة الروسية التى بدأت فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤٢ ، وصادفت أسوأ شتاء فى المائة سنة الأخيرة ؟

لقد ألقى هتلر يومئذ تبعة إخفاقه على الأحوال الجوية ، ولكن قد يجيب خبراء الأرصاد الجوية الفنيون أن فشل الألمان كان فشلا عسكرياً ، فقد قدرت المقاومة الروسية بأقل من حقيقتها ، فعجز الألمان عن التغلب عليها ، مع صفاء الجو وجفافه، كما سبق التنبؤ به تنبؤاً صحيحاً لفصل الخريف .

والمعتقد أن اليابانيين يستخدمون طريقة التنبؤ بالأحوال الجوية تنبؤاً بعيد المدى ، وأنها قد تضع بعض الصعاب فى سبيل حماة ساحل الولايات المتحدة على المحيط الهادى . وعلى وجه الإجمال ، تنتقل حركة الأحوال الجوية من وسط المحيط الهادى شرقاً مارة بالقارة الأمريكية . فقد يستعين اليابانيون بهذه ، الحقيقة ويقومون بغارة مفاجئة مستترين بزوبعة من الزوابع . ومن جهة أخرى ، نعتقد أن أمريكا سوف تجنى ثمرات عظيمة ، إذا هى وضعت خطة هجومية للقيام بغارات جوية على اليابان ، وأنشأ جيش الولايات المتحدة قواعد فى ذلك الجزء من سيبريا — الذى يمتد إلى بحر اليابان ، والذى تقوم على طرفه الأقصى مدينة فلاديفستك — وأنشأ أيضاً قواعد وفى الولايات الصينية البحرية .

ويشتغل اليوم خبراء الأرصاد الجوية فى الجيش بمثل هذه المسائل المتصلة بالخطط الحربية . ومن المحتمل أن ينشأ مكتب مركزى للأنباء الجوية للحلفاء، للقيام بجميع التنبؤات الجوية اللازمة لعمليات الجيش .

ومن أشد القواد تحمساً لفن الأرصاد الجوية الحديثة الجنرال « أرنولد » ، القائد العام للقوات الجوية الأمريكية . ومن خبراء الأرصاد الجوية الأمريكيين الماجور « أرفنج كريك » وهو الذى كان قد أنشأ منذ بضع سنوات مكتباً للأرصاد الجوية البعيدة المدى، يدر عليه مكاسب كبيرة . وكان يلقى دروساً فى هذا الفن فى معهد كاليفورنيا الفنى ، وفيه تخرج الكثيرون من خبراء الأرصاد الجوية البعيدة المدى .

وقد كان اهتمام كريك بالدراسات الجوية

مما دفعه إلى أن يسجل اسمه فى معهد كاليفورنيا الفنى فيما بعد سنة ١٩٣٠ . وكان الأستاذ « جوتنبرج » أحد أساتذته وهو الذى كان خبير الأرصاد الجوية لهيئة أركان حرب الجيش الألمانى فى الحرب العظمى الماضية . وقد علم جوتنبرج تلميذه طريقة التنبؤ بالأحوال الجوية لمدد طويلة . وفى سنة ١٩٣٤ ذهب كريك، وعمره يومئذ ٢٨ سنة، إلى النرويج وألمانيا على نفقة مؤسسة روكفلر . وكان فن الأرصاد الجوية البعيدة المدى فى هاتين الدولتين قد فاق ما يقابله فى كل بلد آخر . وكانت المذكرات التى عاد بها « كريك » إلى بلاده ، والمعلومات التى حصل عليها قبل سفره ، أساساً لمنهج « كريك » فى التنبؤ بالأرصاد الجوية ؛ كما أنها أصبحت أساساً للعمل فى « مكتب كريك الجوى الصناعى » .

وقد استعانت معظم شركات السينما الأمريكية بخدمات كريك ، إذ اتضح أن المعلومات التى يقدمها بشأن الأحوال الجوية عن أى يوم تصدق بنسبة ٩٧ ٪ . وقد كانت تقاريره عن الأحوال الجوية ، خلال خمسة أيام أو ستة قادمة ، ترسل إلى استوديوهات السينما لكى تعدّ — بناء على هذه التقارير — ما تحتاج إليه من زيادة فى العمال والأدوات ، للعمل فى الخارج .

وقد وفرت خدمات كريك لصناعة السينما فى أمريكا ما يقدّر بستة ملايين من الدولارات فى السنة .

وتدفع شركات الخدمات العامة ، (النور والمياه والغاز) ، لمكتب كريك أجوراً سنوية ، فهو يتنبأ لها متى تصيب الصواعق أسلاكها الكهربائية ، وأين يكسرها تجمع الجليد عليها . وتدفع له بعض الشركات المائية الكهربائية ثمرة المعلومات التى يقدمها إليها عن موعد نزول الأمطار ، وامتلاء الخزانات ، وعن النسبة المتوقعة بين القوة المولدة من البخار وبين القوة المولدة من الماء . وتكفل هذه التنبؤات اقتصاداً كبيراً فى نفقات هذه الشركات . وفى الشتاء تقدر شركات الوقود ما تحتاج لتخزينه من الوقود ، وما تنقله على السفن ، على أساس المعلومات التى يبرق بها « كريك » .

وبين عملاء « كريك » أكبر تجار القطن وكبار سماسرة الحبوب فى أمريكا ، فيصل إلى أحد هؤلاء السماسرة تقارير خاصة مسهبة دورية مدة موسم الزراعة ، فإن نزول البرَد أو هبوب الرياح ، قد يسبب لهم خسارة تبلغ ملايين من الدولارات فى مدى ساعة أو ساعتين .

وقد قال مدير إحدى الشركات أنها كسبت مرة ثلثمائة ألف دولار فى صفقة

من الحبوب ، بفضل تقارير الأرصاد الجوية لمكتب كريك . وقد ربح أحد الفلاحين الأمريكيين ، بوادٍ لا تستقر فيه الأحوال الجوية على حال ، تسعين ألف دولار فى إحدى السنوات باعتماده على هذه التقارير ، بينما خسر جيرانه خسارة كبيرة .

وتعتمد إحدى شركات السكر على تقارير « كريك » فى أعمالها الزراعية . وكذلك تفعل بعض شركات الأناناس الكبيرة .

ويشتغل « كريك » الآن خبيراً جوياً عسكرياً طول مدة الحرب ، وضع خبرته ووقته ومجموع تقاريره تحت أمر القوات الجوية الأمريكية . وقد أصبح فى الإمكان اليوم أن يتنبأ مكتب الأرصاد الجوية المركزى بواشنطون بالأحوال الجوية قبل حدوثها بأسبوع فيعرف : أهى مواتية أو غير مواتية للقوات الأمريكية ؟



يجب أن يحب

كان الدكتور لوثر إميت هولت طبيباً مختصاً فى أمراض الأطفال ، ويصف وصفة لا تتغير لكل طفل ضعيف لا يزداد وزنه ازدياداً طبيعياً مطرداً . فكان إذا شاهد طفلا من هذا القبيل يكتب فى لوحة التعليمات الموجهة إلى الممرضات العبارة التالية : —

« هذا الطفل يجب أن يُحب مرة كل ثلاث ساعات » . (جوزفين كنيون)

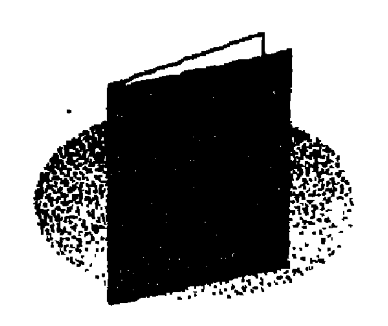
المارشال فوش يسأل

كان للمارشال فوش ، فى الحرب العالمية الأولى ، سائق سيارة يدعى پيير . وكان زملاء پيير يحاصرونه كلما شاهدوه ويسألونه : « متى تنتهى الحرب ياپيير ؟ إنك تعلم حتما » . وأراد پيير أن يرضى زملاءه فقال لهم يوماً : « حينما أسمع شيئاً من المارشال أطلعكم عليه » . وجاءهم فى أحد الأيام وقال : « إن المارشال تكلم اليوم » . فقالوا : « وماذا قال ؟ » فأجاب : « إنه قال لى ، وأنت ياپيير ماذا ترى ؟ متى تنتهى هذه الحرب ؟ » . (ليون فوشتفانجر)

مأدبة عشاء

خلاصة فصل للسيدة موناجاردنر

نشر فى مجلة « ساتردى رفيو » الأدبية



سمعت هذه القصة فى الهند على أنها حقيقية ، مع أن أى عالم من علماء التاريخ الطبيعى يعلم أنها لا يمكن أن تكون كذلك ، ثم علمت بعدئذ أن إحدى المجلات نشرتها قبل الحرب العظمى الماضية . ولم أستطع أن أستقصى أصل هذه القصة أو أعرف مؤلفها .

جرت حوادث القصة فى الهند ، وخلاصتها أن أحد كبار الموظفين وزوجته أقاما مأدبة عشاء ، ودعيا إليها لفيفاً من أصدقائهما . وكان بينهم ضباط وموظفون وزوجاتهم وأحد العلماء الأمريكيين . وكانت غرفة الطعام فسيحة ، وأرضها من الرخام ، وأبوابها الزجاجية تفتح على شرفة (فراندة).

واحتدمت المناقشة بين فتاة من المدعوات وضابط برتبة كولونيل . فقالت الفتاة : إن العصر الذى كانت المرأة تفرّ فيه مذعورة إذا رأت فأراً قد انقضى . وأنكر الكولونيل ذلك قائلا : إن أول ماتفعله المرأة عندما تجد نفسها فى موقف حرج ، هو أنْ تصرخ . ومع أن الرجل فى مثل هذه الحالة قد يشعر بما يدفعه إلى الصراخ ، إلا أنه يضبط أعصابه أكثر من المرأة بقوة قد تزيد مثقالا واحداً فقط على قوتها .

أما العالم الأمريكى فلم يكترث لتلك المناقشة بل ظل يراقب المدعوين فى صمت . وحانت منه التفاتة فرأى ربة الدار وقد امتقع وجهها وشخصت ببصرها إلى جهة معينة ، وقد تقلصت عضلات وجهها قليلا . ثم رآها تشير إشارة خفيفة إلى أحد الندل ، وكان واقفاً وراءها ، وتهمس فى أذنه شيئاً . فانفتحت عيناه واتسعت حدقتاه ، ثم أسرع وخرج من الغرفة .

ولم يلاحظ ذلك أحد من المدعوين سوى العالم الأمريكى . فظل يتبع الخادم ببصره ورآه يضع على الشرفة طاساً مملوءا لبناً حليباً.

وما كاد الأمريكى يرى ذلك حتى هجس به خاطر . فقد كان يعلم أن وضع طاس مملوء لبناً حليباً فى ذلك المكان يعنى شيئاً واحداً ، وهو وجود أفعى من نوع الكوبرا

هنالك . فأخذ ينظر إلى عوارض السقف المنفرجة لعله يجد الأفعى فلم يجد شيئاً . وكانت ثلاث من زوايا الغرفة فارغة ، وفى الزاوية الرابعة ندل المنزل يستعدون لتقديم الصنف التالى من الطعام . فلم يبق إذن إلا موضع واحد يمكن أن تكون الأفعى فيه ، أى تحت المائدة .

وكانت أول فكرة خطرت بباله أن ينبه الحاضرين إلى الخطر المحدق . ولكنه خشى أن يحدث اضطراباً يهيج الأفعى . فأخذ يتكلم بسرعة مسترعياً انتباه الضيوف وقال :

« أود أن أعلم إلى أى حد يستطيع كل واحد منكم ضبط أعصابه . فسأعد ثلاثمائة على ألا يحرك أحدكم ساكناً . وكل من يتحرك يدفع خمسين روبية غرامة . هل توافقون على ذلك ؟ »

فثبت الجميع ، وعددهم عشرون ، فى أماكنهم لا يتحركون كأنهم تماثيل حجرية ، وأخذ يعد حتى وصل إلى العدد « ٢٨٠ » ، وإذ ذاك رأى الأفعى تنساب خارجة إلى حيث طاس الحليب . وما كاد القوم يرونها حتى صرخوا مذعورين إلا أن نافذة الشرفة أوصدت بسرعة إيصاداً محكما .

وقال رب الدار : « لقد صدقت ياجناب الكولونيل ، إن رجلا أثبت لنا أن الرجل يتحكم فى أعصابه تحكما تاماً » .

ولكن الأمريكى التفت إلى ربة الدار وقال لها : « وكيف علمت ياسيدتى بوجود الأفعى فى هذه الغرفة ؟ »

فقالت وهى تبتسم : « لأنها انسابت أمام قدمى ! »

عندما كان إرل بركنهيد محامياً ناشئاً ، اعترض فى المحكمة فى أحد الأيام على ما يبدو من عطف القاضى على خصمه . فعنف القاضى المحامى الشاب ، واتصل تبادل الكلام اللاذع بينهما . فلما ضاق القاضى ذرعاً بالمحامى قال : أيها الشاب ، إنك شديد التطاول . فرد بركنهيد : حقيقة الأمر أننا كلينا متطاول . أما أنا فأحاول أن أتطاول ، وأما أنت ، فبطبعك .

ونستن تشرشل فى (معاصرون عظماء)

عندما تهشمت الطائرة

انطوان دي سانت اكزوبيري

ملخصة من مجلة أتلانتيك الشهرية

(كاتب هذه المقالة طيار فرنسي ممتاز ، وقد قام برحلة جوية تجريبية من باريس إلى الهند الصينية ، فتحطمت الطائرة به هو والميكانيكي في صحراء لوبية ، فقضيا يوماً يجوبان التيه الملتهب ، ثم عادا إلى الطائرة التي نفذت مؤونتها ، حيث يبدو أنه قضي عليهما أن يهلكا بين ما لا نهاية له من الحر والسراب) .

في ذلك اليوم الأول قطعنا ٣٦ ميلا من أرض فضاء تخطف الأبصار ، وقد أجهدنا العطش ، فلما أقبل علينا الليل كنا قد استنفدنا آخر قطرة من الماء . فجمعنا قطعاً من جناح مكسور ، وأوقدناها ناراً لتدل علينا ، ولكني كنت على يقين من أن أحداً لن يراها .

وفي صباح اليوم التالي مسحنا ما على جناحي الطائرة من الندى بقطعة من قطن ، ثم اعتصرنا منها قليلا من ماء ملوث بالدهن . كان كريه الطعم ، ولكنه بلّ شفاهنا .

قال بريفو : « من حسن الحظ أن معنا مسدساً ! » . فالتفت إليه في ثورة من الغضب ، ولكنه كان قد نطق بكلماته هادئاً غير مكترث ، كأنه يقول : « يحسن بنا أن نستحم » ! ! ولكن لا ريب في أني وإياه قد تلاقينا في هذا الخاطر ، فإن رؤيتي لقراب المسدس أمس ، قد حملتني أنا أيضاً على التفكير .

ومع ذلك ، فحين أقبل النهار عدنا نجوب الأرض ، وقد سلك كل منا في اتجاه يضادّ اتجاه صاحبه .

وبينما كنت أسير ، جعلت أحشد كل ما استطعت أن أذكره عن صحراء لوبية . ففي الصحراء الكبرى تبلغ رطوبة الجو ٤٠ ٪ ، أما هنا فتهبط إلى ١٨ ٪ ،

فتتصاعد الحياة نفسها مع الأبخرة . يقول البدو وضباط المستعمرات : إنه من الممكن أن يبقى الرجل حياً ١٩ ساعة لم يذق فيها ماء ، فإذا برق بصره وتلألأ الضوء بين عينيه — فى الساعة العشرين — فقد دنا أجله . أما نحن ، فلا شك أننا ندين ببقائنا لريح الشمال الندية التى يندر هبوبها فى هذه المنطقة ، ولكن ما قدر المهلة التى تكون لنا قبل أن تبرق أبصارنا وتلتمع الأضواء .

وعلى فجأة صرخت صرخة عنيفة . لقد لمحت رجلا يلوح لى ! كلا ، كلا ! سراب آخر ! والآن أرى الصحراء كلها مقبلة على الحياة . كم يصعب على المرء أن ينكر دليلا يقدمه البصر ، فيمنع نفسه من الجرى نحو القافلة التى تتحرك أمام عينيه ! ! جعلت أهمهم : « إنها هناك ، عريضة ممتدة كالحياة ! » . هذا سراب يوحىء إلى بعد سراب ، كله من خلق خيالى ! .

وجاء شفق المغرب فردّ على صوابى . وقفت مكانى ، وأخذنى الرعب حين عرفت بعد ما بينى وبين منزلنا الذى نزلناه . قلت لنفسى : « ليس بعيداً أن يكون بريڤو قد وقع على قافلة » .

وبعد أن طفت ساعتين ، رأيت لهباً ساطعاً على الأفق . إنه بريڤو ، قد ارتاع حين ظن أنى قد ضللت طريقى ، فأشعل ناراً . ساعات أخرى أسيرها ! ٥٠٠ ياردة سأمشيها ، ثم بقيت خمسون ياردة .

وقفت فى ذهول شامل ، وجاش موج من الفرح فى قلبى . إنه بريڤو ! رأيته فى ضوء النار يحادث رجلين من البدو . ناديته متهللا : « هوه ، هوه » . أجفل البدويان ، وحدّقا فى ناحيتى ، وأسرع بريڤو إلى . فتحت له ذراعى ، فأمسكنى وأسندنى ... أ كنت إذن أتطوّح ؟

قلت له : « وأخيراً جاءوا ! » ، قال : « من ؟ » ، قلت : « هذان البدويان ، قاتلهما الله ! اللذان كنت تحادثهما » ، ولكن يظهر أنه لم تعد لى قدرة على حبس دموعى .

بقينا ٢٤ ساعة وليس لدينا ما نشربه إلا ملء ملعقة من قطرات الندى ، فنشرنا مظلة واقية لعلنا نظفر بقطرات أخرى من الندى . وحين اعتصرنا المظلة عند الفجر فى صفيحة ، وجدنا أننا قد جمعنا قدراً لا بأس به من الندى . وإذن فقد انتهى ما نعانيه من حدة العطش ، ونستطيع الآن أن نشرب حتى نرتوى .

كان هذا الماء أبيض أخضر لامعاً ، فلما جرعت الجرعة الأولى وجدته من شدة لذعه ، بحيث لم أستطع — مع ما أنا فيه من العطش — أن أسيغ شيئاً منه .

أما بريڤو فقد جعل يدور ويدور وعيناه إلى الأرض ، ثم انحنى فجأة وجعل يقذف ما فى جوفه . وما هى إلا ثلاثون ثانية حتى تبعته على الأثر ، وكذلك امحى أملنا الشاحب الأخير . (لم أستطع أن أعرف هل يرجع ما أصابنا من سوء الحظ إلى دهان المظلة ، أو إلى بعض الرواسب الكيميائية فى الصفيحة)

لقد آن أوان السير . يجب علينا أن نولى عن هذا المكان الملعون ، وأن نتخلى عن الطائرة ، وأن نضرب فى الصحراء حتى نهلك . وقال بريڤو : « إذا تركت وشأنى ، فلا أفعل أكثر من أن أضطجع ، ثم أنام » .



ولكننا سرنا جنباً إلى جنب متجهين شرقاً إلى الشمال الشرقى ، ولا ندرى أتقربنا كل خطوة نخطوها من طريق القوافل ، أم تغوص بنا فى أعماق الصحراء التى لا قرار لها ؟

وكل ما أتذكره عن ذلك اليوم هو الأثر الباقى فى نفسى من السرعة القاتلة التى كانت تهوى بى إلى القرار المحتوم . جعلت أطيل النظر إلى الأرض ، وكان السراب كثيراً حتى أكاد لا أحتمله . وبين الفترة والفترة كنا نعدّل طريق سيرنا على اتجاه البوصلة ، ومن وقت لآخر كنا ننام على الأرض لنجد شيئاً من الراحة .

ولما جنّ الليل ابتدرنى بريڤو وهو يقول : « الماء هناك لا شك ! سأجازف بحياتى فى الوصول إليه . من المحال أن يموج سراب فى مثل هذه الساعة » .

لم أجب ، لم أعد أصدق عينى . ولكن بريڤو مضى يقول : « سأمضى لأرى ، إنها مسيرة عشرين دقيقة » .

لقد علمت أن بريڤو لن يعود إلىّ أبداً ، إنه سيسقط هناك ليقع ميتاً على مواطىء قدميه ... كما سأقع أنا هنا ميتاً على مواطىء قدمى . ليكن ما يكون ، أى فرق بين هذا وذاك ؟

جعلت أتساءل فى حيرتى : « إلى أين انتهيت ؟ » . حاولت أن أدفع ببعض الريق إلى سقف حنكى ، ولكن أعيانى أن يأتى من هذا الريق شىء . وحين أغلقت فمى

نشأت على شفتي مادة كالغراء، فغطتهما بطبقة جامدة ألصقت إحداها بالأخرى. حسن .. مازلت — على كل حال — استطيع أن أبلع، لم يبرق بعد لعيني وميض الأضواء الخاطف.

وجاء الليل فاتجهت أفكارى إلى بريفو، إلى رفيقى التائه. يا له من صاحب! لم أسمعه مرة واحدة يبكى.

ما هذا؟ إنه هو هناك — على بعد ٥٠٠ ياردة — يلوّح بمصباحه. لقد ضل طريقه لا شك. وقفت على قدمى وجعلت أهتف به. لا إخاله قد سمع. ثم لمع مصباح آخر على بعد ٢٠٠ ياردة من مصباحه، ثم أومض ثالث. «هكذا إذن .. هم جماعة يبحثون!».

واستمرت المصابيح الثلاثة تلوّح. جعلت أهمهم: «لا ريب! إننى سليم، لا بأس بى ولا ببصرى». ثم عصف بى الرعب حين رأيتهم يعودون على أدراجهم. «انتظروا إنى آت!!».

وأخيراً ... أجاب الصوت! انقطعت أنفاسى، ولكنى ظللت أعدو إلى الصوت. لقد كان هو «بريفو». عثرت بالأرض ثم سقطت.

— «حين رأيت كل تلك الأضــواء لم أستطع ...».

— «أى أضواء!!!».

فنظرت فرأيت ... لقد كان وحده. والآن لم أعد أشعر باليأس، بل بإحساس يتلهب من الغيظ.

وأخيراً قال بريفو: «نعم، إننا فى طريق شنيع ملعون».

وأخذ الليل ينقلب بارداً، وجعلت أسنانى تصطك، وأطرافى تضرب على وترتجف، وخدرت جسمى نفحة برد قارس فاسترخت أعضائى. حفرت لنفسى خندقاً واضطجعت فيه، وغطيت جسمى كله بالرمل إلا وجهى. أما بريفو فقد أبى أن يدفن نفسه، لأنه حسب أن أفضل الحالين أن يستمر فى الحركة. لقد أخطأ بريفو، فإن البرد لم يزعجنى بعد ذلك بل سكن جسمى ونام.

طلع الفجر فإذا أنا أحسن حالا، وقلت لصاحبى: «لننطلق الآن يابريفو، إننا لا نزال أحياء، فخير لنا أن نستمر نتحرك ما استطعنا أن نفعل».

لم ينزل ندى فى تلك الليلة بل باتت تهب ريح غربية، تلك الريح التى يتجمد فيها جسم الإنسان فى مدى ١٩ ساعة. وجدت لسانى كأنه قطعة من الحجر، ووجــدت طعماً كريهاً فى فمى، وجعلت تتراقص أمام عينى ذرات من الضوء. كان معنا قليل من الأثير النقى، فحاولت أن أمتص شيئاً منه، فشعرت كأنى أبتلع موسى حلاقة، فارتشفت

شيئاً من الكحول ، ولكنه سد حلق .

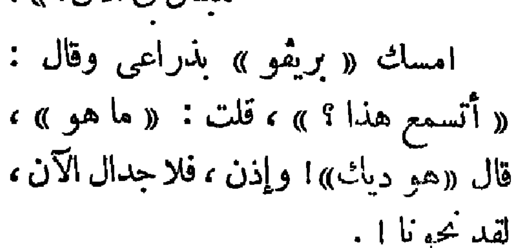
غلبنا اليأس ، فانطلقنا مسرعين ننتهز هذه الساعات المبكرة الباردة قبل شدة الحر ، قد كنا نعلم علم اليقين أنه متى ارتفعت الشمس والتهب الجو وتوقدت الرمال ، فقد وجب علينا أن نكف عن السير .

لم نكن نستطيع أن نمشى أكثر من ٥٠٠ ياردة ، حتى نستلق على الأرض قليلا ، ولكن كان يعرض لنا دائماً ما يستحثنا على السير . وبعد قليل تبدل المنظر الذى أمامنا ، إذ رأينا على بعد ميل أو نحو ذلك خطاً ممتداً من الكثبان ، تبدو عليه الشجيرات الصغيرة كأنها نقط . ولكننا صرنا الآن لا نسير ٢٠٠ ياردة حتى نتساقط من الإعياء .

همست إلى صاحبى : « لنستمر حتى نبلغ هذه الشجيرات » . ولكنا كنا قد بلغنا فى إعيائنا الغاية القصوى ، وكنت على يقين من أن رجلىّ لن تحملانى إلى أبعد من ذلك .

فكرت فى نفسى : « بالأمس نفضت يدى من الأمل ، أما اليوم فالكلمة نفسها (الأمل) لا معنى لها . نحن نسير الآن بلا إرادة ، كالثور فى المحراث . وبالأمس كنت أحلم بجنة من أشجار البرتقال ، أما اليوم فأنا لا أومن بالبرتقال . . . » .

وفجأة . . . ماذا رأيت ؟ حدقت فى بريڤو ، خيل إلى أنه يشاركنى ذهولى ، وأنه أيضاً غير قادر على أن يعرف حقيقة ما يخالجه من شعور .



لقد رأيت آثار أقدام على الرمل ! ! وبغتة سمعت ديكا يصيح ، قلت لنفسى : « وأذناى أيضاً تعبثان بى الآن ! » .

امسك « بريڤو » بذراعى وقال : « أتسمع هذا ؟ » ، قلت : « ما هو » ، قال «هو ديك»! وإذن ، فلا جدال الآن ، لقد نجونا ! .

ولاح لنا فجأة بدوى على ظهر كثيب بعيد ، فناديناه حتى كلت حناجرنا ، ولكن أصواتنا لم تتجاوز ٥٠ ياردة . وتحرك البدوىّ فى بطء حتى غاب عن أبصارنا ، ولم يكن قد بقى لنا من القوة ما يعيننا على الجرى وراءه . ثم لاح بدوىّ آخر على الكثيب ، هتفنا به ، ولكن أصواتنا عجزت

مرة ثانية عن إسماعه . لوّحنا له بأذرعتنا ، ولكنه ظل مصراً على النظر إلى ناحية أخرى . وأخيراً دار على عقبيه فى بطء معذِّب ! ! إنه كان يقطع هذه الرمال متجهاً إلينا ! !

لم يزد على أن حدّق فينا ، ثم وضع يديه على كتفينا وضغط عليهما ليقعدنا على الرمل ، وفى تلك اللحظة صارت فوارق الجنس واختلاف اللغة أشياء لا قيمة لها ، وإنما القيمة كلها لهذا البدوى الفقير واضعاً يديه الطاهرتين على كتفينا .

لبثنا قليلا ، فعاد الرجل إلينا يحمل إناءاً فيه ماء . فنمنا على بطوننا ، وغمسنا أفواهنا فى الإناء كما تغمس البهيمة فمها فى الحوض . وقد بلغ منا السير مبلغاً لم نستطع معه أن نقف على أرجلنا . (حين عدنا على أدراجنا بعد أسبوع وجدنا أن كل ما قطعنا فى مسيرنا هو ١٢٠ ميلا) .

وحمل إلينا البدوىّ — بأحسن ما استطاع من التعبير — نبأ وجود بعض الأوربيين فى جوارهم . فركبنا جملا وانطلقنا لنلحق بهم . وبعد ثلاث ساعات ونحن نقاسى رجة الجمل العنيفة ، رجونا منقذينا أن أن يتركونا فى أحد أحياء البدو ، وينطلقوا هم ليأتونا بالنجدة . وفى نحو الساعة السادسة مساء جاءت سيارة يحرسها بدو مسلحون ، فالتقطونا وأركبونا السيارة . وفى منتصف الليل كنت على سريرٍ فى القاهرة ...

واستيقظت فوجدت نفسى بين ملاءات بيض ، ورأيت الشمس — التى لم تعد عدواً لى — تنسلّ إلى من بين الستائر . أخذت رغيفاً فدهنته بالزبد ، وأفرغت عليه عسلا ، فعادت إلى معه أمانى طفولتى فى أن أعيش بأرض العجائب التى لا تنتهى . وزاغت عيناى فوقعتا على البرقية الموضوعة على اللحاف ، فيها ثلاث كلمات من كلام الناس ، ولكن لأنها جاءت من أحب الناس إلىّ ، كانت أعجب رسالة :—

« إننا سعداء حقاً . . . » .



● كل امرأة تحن على ذكر الرجل الذى أراد أن يتزوجها . أما الرجل فعلى ذكر المرأة التى أبت أن تتزوجه .

(فيولا برذرس شور)

امتحن ذكاءك

ثم امتحن ذكاء أصدقائك

ملخصة من مجلة « ذى أمريكان مجازين »

١ — إذا كانت ثلاث قطط تستغرق ثلاث دقائق فى قتل ثلاثة فيران ، فكم دقيقة تستغرق مائة قطة فى قتل مائة فأرة؟

٢ — ثمن كأس جيلاتى بالصودا ٥٥ مليما . وثمن الجيلاتى يزيد على ثمن الصودا ٥٠ مليما . فكم ثمن الجيلاتى ؟ وكم ثمن الصـودا ؟

٣ — أيجوز لرجل أن يتزوج شقيقة أرملتـه ؟

٤ — قرد واقف فى قعر بئر عمقها ثلاثون قدماً . وفى كل يوم يقفز ثلاثة أقدام إلى أعلى ويسقط قدمين . ففى أى يوم يبلغ رأس البئر ؟

٥ — أيهما أصح ٨ زائد ٨ تعدل ١٥ أو ٨ زائد ٨ تعدلان ١٥ .

٦ — فى درج من الأدراج توجد عشرة مناديل بيض ، وعشرة مناديل سـود . فإذا مددت يدك فى الظـلام الدامس إلى الدرج ، فما هو أقل عدد من المناديل يجب أن تسحبه منه ، حتى يكون فى يدك منديلان من لون واحد .

٧ — عليك أن تلحق بقطـار ، وأمامك دقيقتان لتقطع فيهما ميلين قبل اللحاق بالقطار . فقطعت الميـل الأول بسرعة ٣٠ ميلا فى الساعة . فبأية سرعة يجب أن تقطع الميل الثانى لـكى تلحق بالقطار ؟

٨ — البيض فى السـلة يتضاعف كل دقيقة ، وفى نهاية ساعة كانت السلة قد امتلأت بيضاً . ففى أية دقيقة كانت السلة نصف ممتلئة ؟

٩ — كان لراع سبع عشرة نعجة. ماتت جميعها إلا ٩ نعجات. فكم بقى له منها ؟

١٠ — سفينة راسية وعلى جانبها سلم من حبال طوله ١٠ أقدام ، والمسافة بين كل درجة وأخرى من درجات السـلم قدم واحدة . والدرجة الأخيرة واقعـة على سطح الماء تماماً . والمد يرتفع بمعدل ست بوصات كل ساعة . فمتى يغمر المـاء الدرجات الثلاث السفلى ؟ .

رجل يصافح الموت



بقلم

وليم د. بايلز

ملخصة من مجلة :
« ستردى إيفننج بوست »

فى صباح يوم من أيام السنة الماضية تضمنت نشرة البلاط البريطانى هذا البيان الموجز : « تعطف الملك تعطفاً مقروناً بالسرور ، فأنعم بوسام صليب جورج على : تشارلز هنرى جورج هوارد إرل صافوك وبركشير (المتوفى) ، لبسالته الباهرة فى التخلص من القنابل » .

كان « جاك الطائش » ، إرل صافوك العشرين ، وإرل بركشير الثالث عشر . وكان رجلا غريب الأطوار ، فكأنه بقية من أيام القرصنة فى القرن السابع عشر ، قذف به الزمان إلى القرن العشرين . وكان على خلقه سمة من عصر الملكة إليزابث ، ولا سيما فى احتقاره العظيم للعرف المتبع ، وانحنائه الشديد عند دخوله حجرة استقبال واهتمامه بكل شئ جديد ، وقدرته على القسم بأغلظ الأيمان فى يسر يزيل ما فى ألفاظ القسم من غلاظة وإسفاف .

وقد ازدرى زائر فرنسى الخردل الإنجليزى أمامه ، فكان ردّ صافوك أن أكل ما تحتوى عليه زجاجة كاملة منه دون أن تطرف له عين .

كان ظهوره على مسرح لندن الحربى ، مطبوعاً بطابع « صافوك » مفاجئاً يستوقف الأنظار ، ولكن بغير تدبير مقصود . وقد حدث ذلك فى يوم ٢١ يونيو سنة ١٩٤٠ ، وهو اليوم الذى تليت فيه الشروط الألمانية لتسليم فرنسا فى غابة كومبيين . ففى ذلك اليوم دخل ردهة وزارة التموين البريطانية حاملا حقيبتين مهشمتين . كان يعلوه القذر ، وكانت عيناه الملتهبتان من السهر غائرتين فى لحية كثيفة لم تحلق منذ أسبوعين . وكان يخيل للناظر إلى سراويله المبقعة المصنوعة من الفانلا ، ومعطفه الحربى الرث ، وقبعته السوداء العريضة ، أنه قاطع طريق كورسيكى .

وأعطى بطاقة ليملأها ، فكتب أماه

عبارة « سبب طلب المقابلة » ، لفظة « ألماس » ؛ وأمام عبارة الاسم الكامل ، لفظة « صافوك » . فبادره البواب بقوله ، وكأنه يعنفه : « إن المطلوب هو اسمك لا عنوانك » . ولكن الزائر الطويل فتح معطفه وكشف عن قرابى مسدسين كبيرين .

وبعد محادثات تليفونية مستعجلة ، أدخل صافوك على وزير التموين فقال بغير مقدمة : « معى بضع ماسات ، فماذا أصنع بها ؟ » . فأراد الوزير أن يعرف من أين جاء بها ، فأشار صافوك بيده وفيها سيجارته نحو فرنسا ، وقال : « إن فى سيارة التاكسى حجارة كثيرة أخرى » . وبعد أن استرد الوزير المدهوش رباطة جأشه ، أرسلت حجارة الماس إلى البنك فى حراسة فصيلة من الحرس الأسكتلندى ، ثم وضع صافوك بعناية سيجارة فى فم أسود طويل وقال : « اذهبوا بى الآن إلى وزير البحرية ، إذ يجب تدبير مدمرة تذهب إلى الساحل الفرنسى ، لتعود بحجارة ألماس أخرى أخفيتها هناك » .

وفى وزارة البحرية ماج السخط فى صدور الموظفين ، فالدخول على وزير البحرية لا يكون على هذا النوال ، وبخاصة لأن وزارة البحرية كانت منهمكة حينئذ فى ترحيل الجنود من فرنسا ، ويشغلها خطر الغزو الذى كان محدقاً ببريطانيا .

وقد وقف وزير البحرية أولا موقف الذى لا يبالى بمظهر زائره الشاذ وقصته الغريبة ، وقال فى جفاء : إنه لا يستطيع أن يرسل مدمرات تبحث عن « عنقاء » ، وأظهر رغبته فى إنهاء المقابلة

ولكن صافوك بسط على مكتب الوزير خريطة كبيرة ، وقال فى رزانة : « إنكم تجدون الحجارة فى هذه البقعة . أصدر أمرك إلى سفينتك بإعطاء إشارة ضوئية عند وصولها» . وكان فى خريطة صافوك من تفاصيل المواقع على الساحل الفرنسى قرب بوردو ، ما لم يكن مثلها فى خريطة أخرى من خرائط دار الأميرالية . وقبل أن يغادر صافوك مكتب الوزير كان الأمر قد صدر إلى قائد مدمرة بالسفر . ولم تنقض ثلاثة أيام حتى وصلت إلى أحد الموانىء البريطانية شحنة من أنفس شحنات الحرب ، وقد وجدت فى المكان الذى عينه صافوك يحرسها رجل واحد .

ورث صافوك ثروة ، واسماً عظيما ، وتراثاً لايقدر بثمن . فقد كانت حياة أعيان صافوك منذ سنة ١٦٠٣ ، حافلة بألوان المغامرات والطيش . فقد كانوا قرصاناً فى مياه إسبانيا وروّادَ قارات مجهولة . وقد أمرت الملكة

البزابث بقطع رأس والد الأرل الأول . وحمل بعض أبناء هـذه الأسرة — أسرة هوارد — تقاليـد الطيش والتهور إلى ولايات فرجينيا وكارولينا الشمالية والجنوبية فى أمريكا . وقد أشارت الملكة فيكتوريا إليهم بقولها : « آل هوارد المجانين » . وتزوج الإرل التاسع عشر من كريمة « لايتر » ملك القمح فى مدينة شيكاجو فى أواخر القرن الماضى ، وعند ما توفى محارباً فى العراق سنة ١٩١٧ انتقل اللقب إلى ابنه هذا ، وكان فى الحادية والعشرين من عمره .

كان فى وسع علماء الوراثة أن يتنبأوا بأن امتزاج دم أسرة هوارد بدم أسرة « لايتر » يولد بركاناً وراثياً . وهـذا ما حدث تماماً . فقد كان الإرل العشرون فى السابعة عشرة من عمره حين انتظم باسم « جاك هوارد » بحاراً عادياً فى سفينة شراعية ، فوصل فى آخر المطاف إلى أستراليا حيث شارك رجلا آخر فى شراء مزرعة لتربية الأغنام وإدارتها . وكان الفلاحون الأستراليون الجفاة ، يصفونه بقولهم : « جاك هوارد الطائش ، ذلك الإنجليزى المجنون » .

ولـكنهم أحبّوه لأنه كان النوع الذى يعجبون به من الرجال إلا انهم لم يهتدوا إلى حقيقته . واتفق مرة أن صحيفة لندنية بعثت بمراسل من مدينة سدنى إلى المزرعة ليكتب فصلا عن صافوك ، فرافق صافوك نفسه المراسل الصحفى يوماً كاملا فى البحث عن « الإرل » ، وفى آخـر النهـار قال له : « أخطأت يوم مجيئك ، لأن اللورد يسكر فى أيام السبت ، ولن تستطيع العثور عليه حتى يصحو من سكره » .

بعد ستة أعوام عاد صافوك إلى إنجلترا لإدارة أملاكه التى مساحتها عشرة آلاف فدان . وفى سنة ١٩٣٤ تزوج فتـاة كانت راقصة فى أحـد المسارح ، وعندئذ بدأت تتجلى ناحيـة جديدة من طباعه الشاذة ، فقـد وطن العزم على الأخذ بناصية العـلم ، فالتحق بجامعة أدنبره ، وأكب على دراسة الكيمياء وعلم العقاقير ، كما أكب من قبل على الصـيد والمغامرة . وفى سنة ١٩٣٧ — وكان حينئذ فى الحادية والثلاثين من عمره — تخرج فى جامعة أدنبره فائزاً بمراتب الشرف فى دراسته ، وانضم إلى معمل « نفيـلد » للبحث العلمى فى أكسفورد باحثاً كيميائياً ، وكان اهتمامه منصرفاً على وجـه الخصوص إلى دراسـة المتفجرات والسموم .

وأرسل فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ إلى باريس كضابط اتصال بين وزارة التموين البريطـانية ووزارة التسليح الفرنسية ،

فوثق صلة التعاون بين معامل البحث البريطانية والفرنسية توثيقاً لم يحققه جيل من التبادل الدبلوماسى الرسمى . وكانت التقارير التى بعث بها من باريس أخاذة بما تحتوى عليه من خليط عجيب من البيانات العلمية ، والأخبار السياسية والشخصية ، وعبارات السخرية والازدراء .

وفى ربيع سنة ١٩٤٠ حملت عليه جريدة موالية للفاشية ، ونصحت له بالرحيل عن فرنسا . وألح عليه البوليس الفرنسى فى تعيين حرس خاص له ، ولكنه فضل أن يبتاع أضخم مسدسين استطاع أن يجدهما ، وعلقهما بمكان ظاهر على صدره . ووجد بحاراً فرنسياً قديماً ، كان يخشى بأسه ، لأن وجهه شرس كوجه الغوريلا ، ولأنه مشهور بطعن المدى ، فعينه حرساً خاصاً له ، وكانا يغدوان ويروحان معاً على نمط يستوقف الأنظار . وكان البحار يتقدم صاحبه فى الشارع أو إلى المقهى ، فإذا وجد المكان مأموناً صاح : « هلم يا مسيو جاك . كل شىء على ما يرام » ، وعندئذ يظهر صافوك كأنه على مسرح .

نزلت الكارثة على باريس نزولا مفاجئاً يخطف النفس ويذهل العقل . وذهب صافوك فى صباح أحد الأيام إلى وزارة التسليح ، ليحصل على رسوم بعض الآلات ، فوجد رجالها يخلونها والفوضى تشملهم ، فرجع منها وليس معه إلا بطاقة من الوزير « دوترى » ، وقد كتب عليها كلمات يوصى بها خيراً بإرل صافوك . وعلم صافوك أن مقادير كبيرة من الماس كانت وصلت إلى باريس من أنفرس وبروكسل وأمستردام . ولما تبين أن أصحاب البنوك عازمون على ترك هذه الحجارة الكريمة فى خزائنهم ، عزم هو على أخذها إلى إنجلترا لحفظها فيها . فطاف صافوك أحياء المدينة بسيارته المكشوفة، ولم يكن معه مستند ما غير بطاقة « دوترى » – ولكنه كان يلوح بمسدسه عند الحاجة – فجمع أكياساً من الماس .

وجمع كذلك مواصفات ونماذج لآلات خاصة وحقائق علمية نفيسة ، لو أنها وقعت فى أيدى الألمان لجنوا منها فائدة عظيمة . وجمع مقادير وافرة من المواد الكيميائية النادرة كانت قد نقلت من معامل البحث فى البلاد المحتلة . وأخيراً طوّف بكبار العلماء الفرنسيين الذين عرفهم وعمل معهم ، وأرسلهم إلى بوردو ، مؤكداً لهم أنه دبر لهم طريقة الرحيل إلى انجلترا ، مع أنه لم يكن دبر شيئاً على الإطلاق . ثم وضع ماغنمه فى مؤخرة سيارته ، واتجه إلى بوردو . وجلست سكرتيرته الإنجليزية الشقراء قريباً منه فى المقعد الأمامى ، وجثم الغوريلا وراءها

على الجواهر النفيسة ، وعيناه لا تبرحان تستطلعان وحدات الاستكشاف الألمانية أو طائرات الضرب . وكانت الطرق إلى الجنوب غاصة بالفارين اللاجئين ، وكثيراً ما كان يضطر صافوك أن يسير أمام السيارة ، ليشق لها طريقاً وهو يهول بمسدسه ، ويصيح ، بينما تسوقها سكرتيرته .

وفى القنصلية البريطانية ببوردو صرف صافوك تحويلا بألف جنيه ، ومضى يبحث عن ربان سفينة فرنسية ليغريه بالسفر إلى إنجلترا . وكان لا بد من السرعة ، لأن المريشال بتان قد ألف حكومة فرنسية جديدة ، وبدأ يخاطب النازى ، وكانت الجيوش الألمانية على أقل من مائة ميل من بوردو . وقضى ثلاثة أيام يبحث فى منطقة الأحواض ، ولكن مدخل الميناء كان ملغماً ، وأبى كل بحار فرنسى أن يفكر فى رحلة كهذه .

وفى اليوم الرابع دخلت سفينة فحم بريطانية مصب النهر جاهلة أن فرنسا قد سلمت ، فاستولى صافوك عليها حالا . وكان همّ ربانها وبحارتها ، بعد أن علموا بما حدث ، أن يرحلوا . فوضع صافوك على ظهرها الماس والمواد الكيميائية ، وشحنة من آلات أمريكية حديثة العهد بالوصول من أمريكا ، وأخذ الباقى مما لم يمكن شحنه وخبأه فى مكان ما على الساحل ، ثم بحث عن العلماء لكى ينقلهم إلى ميناء فالموث فلندن .

ولما انتهت هذه المرحلة من حياة صافوك تطوع للبحث العلمى فى القنابل . وكان هذا البحث إلى ذلك الحين يعد ملهاة لذوى الغيرة القومية من طلاب الانتحار . ولكن صافوك رأى أن الطريقة السليمة هى : أن يغامر فريق من الخبراء بحياتهم فى سبيل الكشف عن أفضل الطرق للتخلص من القنابل التى لم تنفجر . وكانت دراسته العلمية خير معوان له فى هذا البحث ، فأعد سيارة كبيرة وجهزها بأجهزة دقيقة . واقبل ، باحتقاره المعهود للطبقات الراقية ، على جمع معاونيه من عامة لندن (الكوكنى) ، وهم أحب الناس إليه ، وقد أجاد مخاطبتهم بلهجتهم ونفذ إلى روحهم . وكان بعضهم يجهل كتابة اسمه أو يجد مشقة فى كتابته ، ولكنهم كانوا جميعاً متحلين بتلك الصفة البارزة فى خلق الملايين من عامة الإنجليز وهى : — شدة المراس

وسرعان ما أصبحت القنابل شغل صافوك الشاغل ، وكان كل نوع جديد من القنابل يقذف به فى سورة من النشاط المتوقد .

وحدث يوماً أن بدأ يداعب قنبلة

فى بهو فندق أمام قائدين ، فجمدا فى مكانهما خوفاً ، ولاحظ علامات الرعب على وجههما فطمأنهما بقوله : « لا تذعرا ! لا خطر فى هذه القنبلة إلا إذا أدير أحد هذين الجهازين، وأنا أحاول أن أعرف أيها هو ».

وكانت طريقة صافوك فى معالجة القنابل لا تتبدل ، فهو يفحص القنبلة من جميع الجهات ، ويقرعها ، ويصغى إليها ، ويخاطبها بألفاظ تستوقف الأنظار . فإذا أتم ذلك أملى على سكرتيرته وصف خطته فى معالجتها ، فإذا فشلت ، علم من يجىء بعده ما يجب اجتنابه .

ثم كان يزيل فم سيجارته الطويل من بين شفتيه ، والآخر من جيب صدرته ، ويعطيهما إلى أقرب أعوانه إليه وهو يقول : « أمسكهما قليلا فقد ينكسران » . وكان قوله هذا إنذاراً لجماعته بالابتعاد عن القنبلة إلى مكان مأمون . ولم يكن صافوك طائشاً متهوراً برغم ما يبدو من سلوكه ، فقد كان يتخذ كل احتياط ممكن ليقى نفسه ومعاونيه . أما كيف أفلت من الموت برغم فشله فى كثير من الأحيان ، فلن يعلم . وكل ما يعلمه رجال هيئة البحث العلمى ، أنه كان يطلع عليهم ، ويقرأ عليهم ، فى سكون وثبات ، تقريره بأن قنبلة ما قد انفجرت فى أثناء تجربتها ، ولكنهم كانوا يعجزون عن حمله على أن يقول كلمة ما فى كيف نجا من تمزيق جسده إرباً إرباً .

وكذلك عجز معاونوه عن فهم رئيسهم . ففى مساء يوم من الأيام الباردة ، إذ كان يجوس مع بعضهم خلال منطقة ريفية جرداء، سألهم فجاة : « ما رأيكم يا (جدعان) فى فنجان من الشاى الساخن وقليل من الكعك ؟ » .

« حباً وكرامة » . ولكن نغمة الشك والهزء كانت تغلب على كلماتهم . فأوقف السيارة ، وأخرج مسدساً ، وأطلق منه طلقتين فى الهواء ، وإذا سيارة تبدو فجأة فوق التل ، ثم تقف ويخرج منها السائق والخادم ، ويبسطان مائدة شاى انجليزى فاخر . أما رفاقه فلم يعلموا أنه كان هنا . على بضع مئات من الأمتار عن أملاكه ، ولكنهم آمنوا به بعد ذلك بأنه يستطيع أن يفعل ما يشاء . وكان صافوك يحتفل بنجاحه فى إنجاز مهمة ما بنفس الحماسة والمبالغة اللتين تتصف بهما سائر أعماله . فكان يأخذ أعوانه فى سيارة ، ويذهب بهم إلى مطعم كمبنسكى قرب ميدان بيكاديللى بلندن حيث يجد مائدة معدة له على الدوام . وما كان يحفل بموعد دخوله أو بملبسه ، وكان رواد المطعم ، من متانق الطبقة الراقية ، يأخذهم العجب إذ يرون أولئك الرجال القذرين يندفعون إلى الداخل ، حتى يهمس هامس

هذه الكلمات السحرية : « هـذا إرل صافوك ! » .

ولا ريب فى أن صافوك كان يتوقع أن نهايته تقترب . فقد كان ينادى رئيس الخدم وهو خارج من مطعم كمبنسكى ويبادره قائلا : « اسمع يافيلكس . قد يجىء إلى هذا المكان فى مساء يوم ما « إصبع صغير » أو « أذن » ، لتناول الطعام . فكن كريماً . لأنه سيكون الشىء الوحيد الذى سيبقى منى» ولا يزال « فليكس » يعد مائدة صافوك كل ليلة ، وهو يفسر عمله هذا بقوله : « إنه كمن يدخل الكنيسة ويشعل شمعة لذكرى من فارق الحياة » .

وكانت نهاية صافوك حادثة من تلك الحوادث التى كان يصفها ساخراً بقوله : « إنها فى منتهى السخافة » ، فقد انهمك هو ومعاونوه فى عملهم مدة طويلة ، فقرر استصحابهم لقضاء إجازة أسبوعين فى أملاكه ، وكان قد حولها إلى مستشفى للجنود الذين فى دور النقاهة . فأنفق هو ومعاونوه « بعد ظهر يومهم » الأخير ، فى تنظيف بعض الأجهزة . وكان احد هذه الأجهزة قنبلة مهملة ظلت فى المكان الذى سقطت فيه عدة أشهر .

وكان أحد الأشخاص قد كتب على جانبها : « المخلصة القديمة » ، فصح عزم صافوك على فكها . ولم يكن أحد يعيرها اهتماماً .

وإذا النوافذ تتهشم على بعد ربع ميل من ذلك المكان ، والأهالى فى المدينة القريبة يشعرون بهزة أرضية .

وقد قتل ثمانية من أعوان صافوك .

ولم يجد الخبراء من جسم صافوك إلا قطعة من لحمه ، فوضعت فى صندوق خشبي عرضه ست بوصات ، وطوله ست بوصات ، وارتفاعه ثمانى بوصات ، ودفن فى صحن الكنيسة القديمة القائمة فى الدار التى ورثها صافوك عن أسلافه .

وعلى هذا النحو انضم «جاك الطائش» « إرل صافوك العشرون ، إرل بركشير الثالث عشر » ، وهو فى السادسة والثلاثين من عمره إلى جوار أسرة هوارد الشهيرة .

ولكنه فى حياته ومماته أضاف إلى أوسمة الأسرة أرفع وسام تمنحه إنجلترا لأبطالها الدنيين وهو : « صليب جورج » .

* * * *

● لن تكون محدثاً مجيداً حتى تتعود أن تجيد الإصغاء (كرستوفر مورلى)

النفس التي تعايشها

ملخصة من كتاب : وينفريد رودز

النفس ليست شيئاً توهبه مع الحياة ساعة الميلاد ، وإنما هي شيء لا تزال تكونه وأنت تحيا حياتك اليومية . وهي تخبث أو تطيب ، وتعقم أو تخصب ، وتكون علة شقاء ، أو مصدر قوة ، تبعاً لما تعنى به ، وتتوجه إليه من المطالب ، وللخواطر التي تأذن لها أن تهجس في ضميرك ، وللمثل العليا التي تتعلق بها وتسعى لها ، ولما تدع نفسك تستمتع به من ألوان الشعور .

إن أعظم أعمال الحياة هو هذا التجديد الدائم لنفسك بحيث تصبح آخر الأمر وقد عرفت كيف ينبغي أن تحيا . وما زال صحيحاً في نظر علم النفس الحديث أن « عليك أن تولد من جديد » كصحته في الأقوال المقدسة المأثورة . وكل امتعاض تملي لنفسك فيه ، وحقد تمسك في قلبك ، وكل غرور تخلد إليه ، أو كل ضبط لأمر نفسك وحزم في امتلاك عنانها ، وكل جلد عظيم تروض نفسك عليه ، وكل مواجهة للحقيقة السافرة — هذا أو ذاك يهد كيان النفس أو يبنيها .

وإذا غشيتك غاشية تركتك تتساءل : « ما الفائدة ؟ » ، فارجع إلى صحائف التراجم التي أراقت عليها السنى قصص أصحاب النفوس الكبيرة الذين آلوا لتكونن للروح الكلمة العليا وليكونن الجسم أداة طيعة . واذكر قول إبكتيتوس « تذكر أن في كل وليمة ضيفين يكرمان : الجسم والروح ، وأن ما يعطاه الجسم لا يلبث أن يفقده ، أما ما تعطاه الروح فيبقى على الزمن » .

وتعد قصة إبكتيتوس من أعظم كنوز العالم وذخائره ، فقد كان عبد رق معتق ، وكان أعرج ، ولم يكن يملك شيئاً مما يجمل الحياة رغيدة ، ووسعه مع ذلك أن يبسط سلطان الروح على الجسم ، حتى رفع نفسه إلى مقام الملكات بين النفوس في كل زمان ، وخلف للعالم آراء صار بها الرجال والنساء أملك لزمام الحياة .

واذكر أيضاً هذا الكتاب الذي كتبه روبرت لويس ستيفنسون بعد غشية من غشيات العلة التي كان يشفي منها على التلف « ولكني لم أكن أود أن أموت ، وأحسست أني لم أصنع شيئاً يبرئ ذمتي من الحياة ، وأني قد توليت تبعات عدة لا حق لي في التخلي عنها ، وأني إذا مت أكون كالجبان الذي

يهرب من الصف ويلوذ بالفرار »

وهذه الكلمات النبيلة هي شعار النفوس الكبيرة من أقدم عصور التاريخ . أكانت هيلين كيللر هي التي كتبت مع أنها صماء عمياء خرساء : « إذا كان العالم حافلا جداً بالآلام فإنه حافل أيضاً بالتغلب عليها » ؟ إنها كتبت ذلك بروح ستيفنسون .

وهؤلاء أشخاص تعرف الدنيا أسماءهم . ولكن لهم أنداداً أكفاء لهم في البيوت المظلمة الصغيرة ، وفي الضياع الفقيرة ، وبين الكادحين في المكاتب ، والذين يتلقفون ما يتيسر لهم من العمل في شوارع المدن ، والذين قلبت الليالي حياتهم رأساً على عقب . وقد تلقيت حديثاً رسالة تقول فيها صاحبتها « أراني أحياناً يسرني أني كابدت ما كابدت من المحن ، فقد أفادني ذلك سكينة نفس ، وفهماً ، وتسامحاً » وقد نشأت الكاتبة في ظل الترف والنعمة ، ولكنها الآن ربما احتاجت أن تقترض أجرة الركوب لتذهب إلى مستوصف ، غير أنها تتعلم على الأيام أن النفس التي ينميها المرء في جوفه لا الثراء الذي يكون له ، هي التي ترتهن بها أمر حياته وهل يؤتى فيها السكينة أو يعنى فيها بالكمد ، بل يتوقف عليها إلى حد كبير هل يكون أو لا يكون على حظ من الصحة .

ذلك أن ضبط النفس وأخذها بالعقل مأخذ الحزم ، واعتياد توجيه الفكر توجيهاً مثمراً ، أهم لطيب الحياة وأجدى من صحة البدن . والنشاط الوجداني الذي يحرك خواطرك وآراءك ، إما أن يفضي إلى البوار أو يكون مثمراً . فعليك أن تختار : فإما أن تدعه يستنفد نفسه في مجرد استمتاع عاطفي بإحساس ما ، وإما أن تيسر له أن يدفعك إلى عمل ينطوي على الإقدام والطموح .

إن المنساق على غير هدى ، يدع نفسه يفكر أية فكرة تخطر له ، ويستسلم لأية عاطفة يتفق أن تخالجه . أما الرجل الذي آلى أن يكون له نفساً يستطيع أن يعايشها على قدر من المساناة وحسن المعاشرة ، فهو لايزال يكبح نفسه ويصدها عن العبث من عادات التفكير ، ولا يطيل أبداً إمساك الحقود والعداوات والمآخذ والخيبات ، في قلبه ، بل يتعمد أن يربي في نفسه العواطف التي تعتقه من رق الشر . ولما كان ينشد نفساً ذات اتزان وقوة واجتراء وطموح فإنه يستبقي تحت يده كتاباً يحث المرء على نشدان ، العظمة ويعود نفسه أن يحيا حياته اليومية في حفل من ذوي الأرواح العظيمة الذين وسعهم، مثل إبكتيتوس وستيفنسون، أن يحلقوا بقوة العقل والروح فوق شدائد كانت خليقة لولا ذلك أن تقوض حياتهم ، ويجعل النماء واطراد النماء منية قلبه مادام حيا.

هـذه قصة مدرسة فريدة فى بابها ، تهيء الفرصة لأى إنسان كان ، أن يتعلم ى شىء يريد ، وتخلق ممن يفرون من دور العلم والمعرفة ، عشاقا للعلم والمعرفة .

إذا أردت أن تتعلم

مارك أ. روز

ملخصة عن مجلة « أمريكان ليجيون »

صبى نافر ، يدفعه أبوه المسكين فى الطرقة المزدحمة إلى مكتب ناظر المدرسة ، لا تقع العين منه إلا على أيدٍ تلوّح ، وأرجل تتحرك ، ووجه مقطب متجهم . كان مكتب الناظر على مقربة من باب المدرسة . أسرع الوالد إلى الناظر والغضب يخنق صوته قائلا : « لقد عدمت كل حيلة مع هذا المخلوق . إنه يهرب من المدرسة ويتشرد متسكعاً فى الطرقات » . فقاطعه الناظر قائلا : « أرجو أن تتركه ، فأنا لا أستطيع أن أكلمه وأنت موجود ، وعلى مثل هـذه الحال من الثورة » . فتردد الرجل وهز كتفيه ، وأوسع الخطى إلى الخارج .

سأل الناظر الصبى :

— والآن ، ماذا بك ؟

— يريد أبى أن أدخل هذه المدرسة ، ولكنى لا أريد .

— إذاً فلا تقلق . لن يرغمك أحد على المجىء ، بل لن أسمح لك بالمجىء ! .

وامتعض الصبى وقال :

— ولم لا أستطيع ذلك ؟ ألست أهلا لدخولها ؟

— لا تستطيع دخول هذه المدرسة ، لأنك لست راغباً فيها . ولا يستطيع دخولها من لا يرغب فيها . هذا هو القانون هنا ، فلا تحزن . ولكن يحسن بك يا بنى أن تبقى قليلا ، حتى يظن أبوك أننا تحادثنا طويلا . علىّ الآن أن أمر على فصول المدرسة ، فهو جزء من واجبى اليومى ، تعال معى !

وهكذا انجرّ « بلاسك » الصغير العنيد وراء الناظر ، فى دكان المطبعة ، ثم فى غرفة بها اثنتا عشرة آلة تلغراف تتكتك بغير انتظام ثم فى المخبز المفعم برائحة الخبز ، ثم فى غرفة بها عشرات من الآلات الكاتبة تحدث جلبة عظيمة .

وأصغى بضع دقائق إلى فتاة تخطب

بن ستين شخصاً من مختلف الأعمار ، وألقى نظرة على غرفة للخياطة ، وصالون للتجميل ، وتأمل الجامعين لحروف الطباعة ، والبنائين والنجارين ، ثم وقف طويلا أمام « مخرطة » في غرفة الآلات . فوقف معه الناظر ولم يقل شيئاً . فلما عاد الناظر إلى مكتبه قال له : « والآن ، هـذا هو كل شيء . أرأيت شيئاً أعجبك ؟ » .

وخرج الصبي من صمته وقال : « قل لى يا مستر . . . الآلات ! ما أفخمها ! أحب أن أدير واحدة منها . . . كيف يستطيع التلاميذ أن يتعلموا ذلك ؟ » .

— أواثق أنك تريد أن تدير إحداها ؟

— طبعاً أريد .

ولكن لم يلبث أن مرت على وجهه سحابة من الغم ، ثم قال :

— أى شيء غير هـذا يجب على أن أفعله ؟ أى شيء يجب على أن أتعلم ؟

— لا شيء ، لا شيء ألبتة .

— ولكن فى المدرسة يفرض على التلميذ دائماً أن يتعلم شيئاً لا يحبه : الحساب ، الخط ، التاريخ ، وما يشبه ذلك .

— أما هنا فلا .

وهكذا بدأ « بلاسك » يتعلم فى « مدرسة الفرص » (فى دنفر بولاية كولورادو الأمريكية) ، ليصبح ميكانيكيا .

ولم يمض وقت طويل حتى وجد نفسه ملزماً أن يكتب على ورقة صغيرة ليطلب أنواعاً معينة من المواد ، ويبين لم يحتاج إليها.

فيقول له معلمه : « لا أستطيع أن أقرأ هذا ، لا أفهمها ، ولا أظن أن فيها معنى ما » .

حدث هذا مراراً ، وحار « بلاسك » . لقد بدأ يدرك أنه لا يستطيع أن يحسن عمله الميكانيكى فى المصنع حتى يحسن الكتابة والتعبير . وإذن فلم يجد بداً من أن يدخل فصلا ليتعلم الانجليزية . وحين تبين أنه لا يستطيع أن يحسب $\frac{3}{4} \times \frac{7}{8}$ من البوصة ، ليعين مكان ثقب يجب أن يثقب ، لم يجد بداً من أن يقبل على تعلم الحساب ، وبرع فيه أيضاً ، إذ وجد فيه — لأول مرة — شيئاً من الفائدة .

ولهذه القصة خاتمة : فقد أصبح « بلاسك » الآن ميكانيكياً بارعاً .

يتعلم عشرة آلاف من النساء والرجال، كل عام فى « مدرسة الفرص » هـذه فى « دنفر » . وأصغرهم سناً ، كما يظهر من السجلات ، فى الثالثة عشرة من عمره ، وأكبرهم رجل فرنسى كان حلاقاً واعتزل عمله ، وقد نال دبلوم القسم الثانوى وهو فى الثانية والثمانين من عمره !

إن هـذه المدرسة من أعجب مدارس العالم : فليس لها قوانين موضوعة ، ولا

فيهـا درجات ، ولا شروط التحاق ، ولا دبلومات إلا فى القسم الثانوى ، وهو من أصغر أقسام المدرسة . وقد زارها جماعة من أئمة المربين، وفحصوا نظمها، وشهدوا بأنها المدرســة الوحيدة من بين جميع المدارس القائمة ، التى تقترب من المثل الأعلى للمدرسة التى تهيىء : « أى نوع من المعرفة لأى فرد ، حين يلتحق بها » .

وعلى صــدر بنائها البالى العتيق كلمة منقوشة ، إنها ليست حكمة لاتينية براقة ، بل هى هذه الكلمة البسيطة : « لكل من يحب أن يتعلم » . وتعبر هــذه الجملة عن الحقيقة كما هى . فهناك فصل للفتيات اللواتى على وشك الزواج ، ولم يسمح لى بزيارته ، ولكنى دخلت الفصل الذى يدرس فيــه تعدين الذهب ، وفصلا آخر فى مبادىء اللغة الانجليزية . ولمحنا من فتحة الباب جماعة قد شابت لحاهم وعدداً من الجدات ، وفتيات مكسيكيات سمراً ، وشاباً أبيض وضىء الوجه طموحاً من مهاجرى فينا . وفى فصل علم الجبر لقينا عجوزا ضئيلة الجسم قالت لنا إنها قضت حياتها كلها فى العمل النافع ، فأرادت أن تتعلم الآن شيئاً لا فائدة فيه .

وقد علمت التجارب أصحاب هــــذه المدرسة أن يحذروا : « التطوع بإرشاد الطلاب إلى احتراف عمل بعينه ». ونصيحتها إلى طلابها هى دائماً : « افعل ما ترى أنك تريد بحق أن تفعله » . ولذلك لم يحاول أحد أن يثنى عزم الغسالة الزنجيــة البدينة العجوز ، حين أرادت أن تدرس فى فصل صناعة القبعات ، وقد برعت فيها ، وهى الآن تكتسب منهـا رزقاً حسناً ، فقد كان لها شغف بعمل قبعات تلائم نساء جنسها .

ومن الطلاب فتاة صماء بكماء ، اختارت لدراستها فن التجميل . وكان المعلمون يعجبون كيف يمكن أن تجد هذه الفتاة من يقبلها فى عمــل ، ومع ذلك فالعجب أن صاحب المحل الذى استخدمها جاء يسأل : « أعندكم من أمثالها كثير ؟ ليتهن جميعاً لا يستطعن أن يتكلمن ! » .

وعدد الذين تساعدهم إدارة المدرسة على التوظف كل عام ١٥٠٠ ، فلو سألت : ما مصير البقية وعددهم ٨٥٠٠ ؟ فالجواب أن أكثرهم كان له عمل فعلا ، ولكنهم الآن قد ظفروا بأعمال أحسن وأربح . وقد درس أحد الباحثين حالة ١٧٨ من النساء والرجال المتخرجين العاملين ، ليعرف مدى ما استفادوه من هذه المدرسة ، فتبين أن عشرة منهم فقط لم تتغير أجورهم ، وأكثر من نصف الباقين استطاعوا أن يضاعفوا دخلهم أو زاد على الضعف ، لإنهم اكتسبوا من تعليمهم مهارة جـديدة . وأما البقية

فزيدت أجورهم ما بين ١٠٪ و ١٠٠٪
وكل هذا مجاناً — كما تعلم — ، لأن « مدرسة الفرص » جزء من نظام المدارس العامة فى « دنفر » ، وإن المدينة لتزهى بهذه المدرسة فخراً .

ومن الصعب أن تقول أى أقسام المدرسة — على كثرتها — هو أفضلها ، على أننى اعتقد أن أهم ما تفعله هو إعداد العاملين ليخطوا الخطوة الثانية نحو التقدم فى أعمالهم ، فإن لم يكن ، فليحتفظوا بمراكزهم فى أعمالهم . ولقد وجدتهم فى فصل عمال السكك الحديدية يدرسون « فرملة هوائية » جديدة لم تكد تعرف بعد ، وفى إصلاح السيارات يدرسون طرقاً فنية جديدة فى لحام المعادن . وهناك عشرات من فتيات المخازن العامة يدرسن ليزددن قدرة على التقدم ، وكثيراً ما تكون دراستهن بتشجيع من صاحب العمل نفسه .

وفى المدرسة غرفتان غاصتان بفتيات مشتغلات بأعمال السكرتيرية ، جئن يتدربن على الكتابة مع الإملاء السريع .

أما فصل الخطابة العامة ، فأكثر من فيه من ذوى الأعمال ، وعيبه الوحيد أنه مكان عام مزدحم جداً . وليس غريباً فيه أن يلتقى الكاتب ورئيسه ، وقد جاء الكاتب ليتغلب على خوفه وتهيبه ، وليكتسب من الثقة بنفسه ومن الثبات ، ما يكفل له أن يصبح بائعاً ممتازاً . وجاء رئيسه ليتعلم كيف يخطب خطبة حماسية فى موظفيه ، وكيف يحسن التعبير عن بعض الآراء التى يود أن يذيعها فى اجتماع الغرفة التجارية .

وفى هذا الفصل تظهر العجائب . فهذه أمٌّ ثلاثةٍ حديثة العهد بالترمل ، قد واجهت مشكلة اكتساب رزقها ، فرأت أنها ربما استطاعت أن تظفر بعمل فى أحد المخازن ، إذا استطاعت أن تتغلب على حيائها وخجلها . فلما جاء دورها لتخطب تكلمت فى الموضوع الوحيد الذى تفهمه ، وهو : « كيف تطبخ عشاء متقناً شهياً ؟ » . وقد يبدو ما أقول تلفيقاً ، ولكن هو الحقيقة : فإن أحد التجار سمعها تلك الليلة فاستخدمها . فهذه الأرملة تقف اليوم بين الجموع الكثيفة تخطب وتحاضر ، وتروّج لشركته التى تصنع الأفران .

ومن أهمّ ما تقدّمه المدرسة لطلابها هو أنها تهيء الفرص لآلاف ممن كانوا غير لائقين لدخول المدارس النظامية ، ككبار السن من سكان الجبال ، حيث كانت فرص التعلم قليلة لديهم فى صغرهم وكأمثال « بلاسك » . وأما الصبيان المتمردون من ذوى العناد الذين لا يستقرون فى مكاتبهم ، فقد أعطوا شيئاً يعملون به بأيديهم ،

فتحسنوا بسرعة وتقدموا بحماسة . وآخرون ممن لا يطيقون ألبتــة قيود النظام المدرسى العادى ، ولم يفلحوا بسبب هذه الحالة النفسية الشائعة ، استطاعوا أن ينجحوا فى هذا الجو الذى « لا قيود فيه » فى مدرسة الفرص ، حيث لا مواعيد ولا امتحانات ولا درجات ولا واجبات ولا مقررات . وذلك لأنهم يدرسون الشىء الذى يحب أحدهم أن يتعلمه فحسب ، فإذا أفضى ذلك بهم إلى دراســة الكتب أيضاً ، كما فعل « بلاساك » ، فإنه يكون من الخفاء والرفق بحيث لا يشعرون أبداً أن ذلك مقصود متعمد .

أما ناظر المدرسة « بول ألرت » فهو يحادث كل طالب من طلبته ، وهم ١٠٫٠٠٠ فى السنة ، وأكثرهم يأتى إليه فيقص عليه قصته . وأما الباقون فهو الذى يبحث بنفسه عن جلية أمرهم . والسبب الأول الذى من أجله كان الناظر لا غرفة له ، هو أنه ليس فى المدرسة غرفة فارغة ، إذ أن كل بوصة من المكان مشغولة بالليل والنهار ، حتى إن كثيراً من الفصول تتلاقى فى الردهات لا يفصــل بينها إلا ستار حاجز . وأما السبب الثانى فهو أن « ألرت » نفسه يحب أن يكون مألوفاً عند الجميع ، فإن هذه الألفة هى روح هذا المكان ، وهى نفسها الروح التى تدفع رجال الأعمال فى « دنفر » إلى التدريس فى بعض فصول هـذه المدرسة ليلا .

ويرجع الفضل فى وجود هذه الروح إلى « إميلى جريفث » التى كانت مدرسة من الدرجة الثامنة فى « دنفر » ، وكان إذا غاب بعض الطلبة فى فصولها ذهبت إلى منازلهم لتسأل عنهم وتعرف سبب غيابهم . فرأت أن ٩٠ ٪ من متاعب بيوتهم واختلالها تعود إلى البطالة ، وأن مرجع البطالة إلى أحد ثلاثة أسباب : إلى تقدم الآلات الصناعية ، وإلى حاجة العامل إلى التدريب ، وإلى الجهــل باللغة الأنجليزية .

ففكرت فى مدرسة تدرب الناس على المهارة فى هذه الأعمال الجديدة ، وأخيراً سمح لها أن تبدأ فى تحقيق ما تريده فى دار المدرسة القديمة فى ضاحية « دنفر » ، فكان نجاحها باهراً . وبقيت هذه الروح سائدة إلى الآن منذ أن اعتزلت هى عملها .

وتعلم « مدرسة الفرص » شيئاً كثيراً غير المهارة اليدوية ، فهى مدرسة أخلاقية تربى الطلبة على احــترام النفس ، والثقة بالذات ، وتعلمهم حسن المعاملة ، ورعاية حقوق الزملاء ، والكياسة . والدقة فى العمل ، وحب التعاون .

وأصحاب الأعمال يعرفون ذلك عنها ، فبطاقة من « مدرسة الفرص » هى أحسن شهادة أو توصية يمكن أن يحصل عليها طالب

عمل . ومع ذلك فكل ما فى هذه الشهادة هو « حضر « بلاسك » (مثلا) دروساً فى فصول الآلات بمدرستنا لمدة ... شهر» : هذا كل ما فى البطاقة ، ولكنك لا تستطيع أن تحصل عليها حتى تكون كفؤاً قادراً على مزاولة عملك .

وللمدرسة عقيدة ثابتة وهى : « نؤمن إيماناً لا حد له بقدرة كل إنسان عادى على أن يسير معتمداً على نفسه ، معتزاً بها ، عضواً عاملا سعيداً فى المجتمع ، إذا هيئت له فرصة للجهاد فى سبيل ذلك » .

وقد تكون معانى هذه الكلمات فوق مستوى بعض طلاب المدرسة ، ولكنهم جميعاً يفهمون ما فى اللوحة المعلقة فى كل مكان من المدرسة وهى :

« إنك تستطيع أن تعمل هذا » .

* * * *

الأجوبة الصحيحة

(انظر صفحة ٣٣)

١ — ثلاث دقائق . لأن كل قطة من المائة تستغرق ثلاث دقائق فى قتل فأرة .

٢ — ثمن الجيلاتى ½ ٥٢ مليم ، وثمن الصودا ½ ٢ مليم .

٣ — وجود أرملة يعنى وفاة الزوج . فكيف يتزوج من توفى ؟

٤ — فى اليوم الثامن والعشرين . ففى ٢٧ يوماً الأولى ارتقى القرد ٢٧ قدماً . وفى اليوم ٢٨ يقفز ثلاثة أقدام ، ويصبح على سطح الأرض .

٥ — كلاهما خطأ لأن ٨ زائد ٨ يساوى ١٦ .

٦ — ثلاثة مناديل قد تستخرج مصادفة منديلين من لون واحد . ولكن إذا كان أحدهما أبيض والآخر أسود فالثالث يجب أن يكون إما أبيض وإما أسود .

٧ — لن تلحق بالقطار لأنك أنفقت الدقيقتين فى قطع ميل واحد .

٨ — فى الدقيقة التاسعة والخمسين . لأنه إذا كانت السلة ممتلئة فى الدقيقة الستين ؟ فإنها كانت نصف ممتلئة فى الدقيقة السابقة .

٩ — تسع نعجات .

١٠ — لن يغمر الماء درجات السلم الثلاث ، لأن السفينة والسلم يرتفعان بارتفاع المد .

كلّ منهن تريد مشاركة رجلها المجنّد

النساء فى الجيش

بلايك كلارك

ملخصة من مجلة

نيويورك هيرالد تريبيون

نظر الجنرال من وراء منضدته ، وقد تكوّمت عليها الأوراق المبعثرة ، إلى سيدة أنيقة الزىّ من فرقة النساء المعروفة « بالمجندات الإضافيات » ، وقد تلألأ على كتفها النجم الأزرق الذى هو سمة فرقته فقال لها :

« يسرنى أن أراك يا بنيتى العزيزة . أرجو أن تكونى قد أتيت لتحلى محلى ؟ »

إن أمنية الجنرال قد تتحقق يوماً ما . ففرقة المجندات قد أطلقت الكثيرين من الضباط من قيود الأعمال المكتبية ليقوموا بالخدمة . وهؤلاء المجندات ، وعلى رأسهن السيدة الكولونيل «أوفيتا هوبى» ، قطعن شوطاً بعيداً فى طريقهن إلى هدفهن ، وهو أن يحللن محل عدد من الضباط والجنود يعادل عشر فرق من المقاتلين . وقد كان أمر الرئيس روزفلت أولا يقضى بتجنيد ٢٥ ألف منهن لأعمال الجيش ، فزاد إلى ١٥٠ ألفاً . وقد أرسلت معسكرات التدريب نساء متخصصات إلى أفريقيا الشمالية ليحللن محل الجنود فى ٣٦ نوعاً من وظائف الجيش ، وهن يقمن بواجباتهن على أفضل وجه ، حتى لقد بلغ العدد الذى يطلبه الجيش منهن الآن أكثر من ستمائة ألف .

وأول فرقة منهن دخلت الخدمة العامة فى أمريكا هى الفرقة الرابعة والثلاثون المعسكرة الآن فى « فورت ديفنز » بولاية « ماساشوستس » . ومن الأعمال التى تتولاها نساء هذه الفرقة الكتابة على الآلة الكاتبة ، وحفظ السجلات ، والتليفونات ، والتصوير بالأشعة، وإجراء التجارب الخاصة بالدم . وفى كل عمل يزاولنه من هذه الأعمال ، يعفى الجنود من مزاولته ليتوفرو

على الخـدمة العـاملة . وقد كان معظم الضباط فى « فورت ديفنز » يرتابون أول الأمر بعض الريبـة فى مقدرة المجندات ، أما الآن فقد غيروا آراءهم . فمن ذلك أن اللازم « جيمز فار » — المشرف على إصلاح السيارات ، والذى عمل تحت إمرته عدد كبير من الميكانيكيين خلال ٢٧ سنة — أبدى رغبتـه فى أن يكون لديه عدد كاف من المجندات ليتولين قيادة جميع سياراته ، وهى ١٦٣ سيارة .

وكل واحدة من المجندات الميكانيكيات مسئولة عن سيارتها ، فهى تفحصها صبيحة كل يوم قبل الخروج إلى العمل ، وتغسلها يوماً بعد يوم ، وتحافظ عليها صالحة للعمل .

وقد قال بعض الضباط فى أول الأمر : « لن أقبل أن تطوف بى امرأة ! » أما الآن فيقول اللازم « فار » : « إذا كان لدينا ألف سائقة من فرقة المجندات ، فسيطلبن جميعاً » . وآخر من انحاز إلى المجندات هو ضـابط الصف القديم « جون لنسكى » ، الذى قال حين وصلت فرقة المجندات : « سأحتفظ برأيى حتى أشاهدهن يقمن بالتمرينات العسكرية » . وفى ذات يوم وقف يشاهد الكابتن « اليزابث استرنز » تدرب مائة وخمسين مجندة على الحركات العسكرية فقال لمن حوله : « حقاً إنهن بارعات ! حتى ليبـدو بعض المحنكين من جنودنا سخرية بالقياس إليهن » . وقد أفضى إلحاح كبار الضباط فى طلب المجندات إلى إضافة خمسة وعشرين نوعاً آخر من الأعمـال إليهن . ففرقة الطيران وحدها مثلا تطلب عاملات كهربائيات للطائرات ، وإخصائيات فى آلات الطائرات ، وفى إعداد المظلات الواقيـة ، وعاملات للراديو ، ومراقبات للأحـوال الجوية ، وللقيام بإصلاح آلات إحكام قذف القنابل ، وللتدرب على الطيران الشراعى . وفى الجيش الآن ٦٢٥ نوعاً من الأعمـال يتولاها الرجال ، وتتمرن المجندات على القيام بأكثر من مائة نوع منهـا . ومن المحتمل أن ينتهى بهن الأمر إلى أن يقمن بأربعمائة نوع وعشرة من هذه الأعمال .

وتظهر المجندات فى مراكز التدريب مقدرة مدهشة على ملاءمة معيشتهن لأحوال لم يكن لهن عهد بها من قبـل ، إذ يجدن أنفسهن فى مجتمع جديد ، يمثله القائد — : « رجل يأمر ولا يرد عليه » . ولا تستطيع إحداهن أن تنبذ عملها إذا ثارت ثائرتها ، ولا أن تطمع فى أن يخصها قائدها بملاطفته .

وقد قال أحد الضـباط : « لم نعطهن إلا امتيازاً واحداً ، وهو أننـا وضعنا لهن أستاراً على النوافذ » .

ولعل أحب شىء إليهن مما يتلقينه خلال

مدة تدريبهن خمسة أسابيع ، هو طوابير العرض ، وهذه نزعة جامحة لا يدرك كنهها الجندى العادى من الرجال .

والمجندات حديثاً يرجون ضباط الصف أن يدربوهن على الحركات العسكرية فى ساعات فراغهن . ولذلك اضطرت القيادة فى « دايتونا بيتش » إلى إصدار أمر بمنعهن من القيام بالحركات العسكرية على أنوار البطاريات .

فإذا ماصارت إحداهن «ضابطة صف» أصرت على أن تستجيب المجندات لنداءاتها العسكرية فى حركة نشيطة محكمة . وقد سمع أحد الذين زاروا مراكز التدريب فى « حصن دى موين » مجندة برتبة جاويش ، كانت تدرب طائفة من المجندات وتصرخ فيهن : « أناديكن « انتباه » ، فأنا أريدكن على الانتباه » . وتبدأ المجندة أيامها الأولى « بحصن دى موين » فى حيرة وارتباك . فهى تقبل عادة مع ٤٠ أو ٥٠ مجندة ، وحين ينزلن من القطار يراهن الناظر خليطاً من الأزياء المدنية ، بين سراويل ، ومعاطف من الفراء الثمين ، وبين أحذية كعوبها عالية ، وأخرى كعوبها قصيرة .

ومن الصعب على المجندة فى أول أيامها أن تنظر فى جد إلى عناية الجيش الدقيقة الصارمة بالجزئيات ، مثل التفتيش اليومى للثكنات ، حيث يجب أن تكون كل (بطانية) مستوية لاعوج فيها، وأن تكون كل منشفة مطوية طياً أنيقاً ، وأن يكون كل زوج من الأحذية تحت السرير متحاذيين ، وقد ربطا حتى العروة الأخيرة وأدخل طرف رباطهما داخل الحذاء ، على أن المجندة تحاول جهد طاقتها أن تفعل كل شىء على وجهه الصحيح ، حتى إن إحدى المجندات (وكانت قد تلقت التعليمات بأن تحيى كل ضابط تقابله التحية العسكرية) مرت يوماً بضابطين معاً ، فما كان منها إلا أن أدّت لهما التحية العسكرية بيديها الاثنتين !!

وتظل المجندة فى كل دقيقة من يومها فى حركة مستمرة من وقت اليقظة فى الساعة السادسة والنصف إلى الساعة الخامسة بعد الظهر ، فى العناية بجزئيات ثكنتها ، ثم تقوم إلى طابور عسكرى ، وإلى فصول تعليمية ، ثم إلى طابور بعد طابور . وبعد العشاء تقرأ مذكرات دروسها فى النهار، وتدرس «دليل الجندى » ، وترفو جواربها ، وتغسل ملابسها ، أو تكتب إلى أهلها .

وأما يوم فخارها فهو ذلك اليوم الذى تسير فيه لأول مرة فى الاستعراض ، يوم تسير على أنغام الموسيقى العسكرية ويوم ترى العلم الأمريكى يخفق فى طليعة سريتها ، وحين تقترب من منصة الاستعراض ، وتعزف

الموسيقى نشيداً أمريكياً عسكرياً معروفاً ، تشعر بنشوة جديدة ، لأنها أصبحت أحد أفراد هذه الفرقة المجيدة .

وتزهى المجندة بزتها العسكرية التى فصلت لها خاصة لتلائم قصانها الخمس . اما قفازها فمن أرقى أنواع الجلود ، ويبلغ ثمنه اثنى عشر دولاراً أو أكثر فى المخازن . وكل ما تلبسه متجانس لوناً ونوعاً وشكلا ، حتى قميصها الداخلى الحريرى ذو اللون الزيتونى الأخضر . ويقولون إنه إذا عثرت إحداهن فوقعت على الأرض ، فكل ما تراه « لون واحد » !

وبعد تمام تدريبها نوجه المجندة إلى إحدى وجهات ثلاث ، فإن دلت على مهارة خاصة ، فلها أن تلتحق رأساً بالخدمة فى أحد مراكز الجيش ، ولها أن تدخل مدرسة الضابطات ، ولها أن تلتحق لثمانية أسابيع بإحدى مدارس المتخصصين العديدة — كالنقل الميكانيكى ، أو الإدارة ، أو اللاسلكى ، أو الطباخين ، أو الخبازين . ولقد جاء فى شهر فبراير الماضى أسمى اعتراف بأن المجندات قد برهنّ على مقدرتهن ، حين بدأت ست عشرة ضابطة منهن دراستهن فى مدرسة هيئة أركان حرب جيش الولايات المتحدة . وهذه هى أول مرة يسمح فيها للنساء بدخول تلك المدرسة التى تعد أعظم المدارس العسكرية فى الولايات المتحدة شدة وصرامة . ولا تقبل عادة إلا ضابطاً من رتبة ماچور (صاغ) فما فوق ، قد قضى سبع عشرة سنة على الأقل فى الخدمة العسكرية .

ويرجع الجانب الأكبر من إجادة المجندات أعمالهن إجادة فائقة إلى أنهن جيش من المتطوعات . فقد ترك الكثيرات منهن أعمالا فنية يتقاضين عنها أجوراً سخية حبا فى أن يخدمن فى الفرقة . وحاولت إحداهن — وهى ابنة قائد برتبة جنرال — أن تدخل مدرسة الضباط فأخفقت ، فتطوعت فى الجيش جندية عادية .

ولعل السبب الذى يدفع معظم الطالبات للتطوع فى الجيش هو وجود رجل لهن فى القوات المسلحة . فالزوجة أو الخطيبة أو الحبيبة أو البنت أو الأم — كل منهن تتلهف على أن تشارك رجلها المجند فيما يلقاه زمن الحرب . وفى الثكنات حيث يسمح لكل مجندة بأن تعلق فى غرفتها ثلاث صور فقط ، تزيد صور الرجال على أية صور أخرى بنسبة اثنين إلى واحد ، على أنه ليس بينها صور نجوم من نجوم السينما . وكل صورة منها موجودة هناك بحق القربى : قربى الدم أو قربى القلب .

والمجندات من خيرة الجنود ، ولكن الأنوثة لا تزال تغلب على طباعهن . وقد

ثارت ثائرتهن مرة حين ذاعت إشاعة بأن الأحزمة لن تكون ضمن ما تصرفه لهن الحكومة من لوازمهن . فتقدمت مجندة مليئة الجسم إلى ضابط وفتحت سترتها ، وسألته : « أترى كيف يكون شكلى بغير حزام ؟ » .

وإن الحياة الحافلة التى تحياها المجندة ، تهيء لصداقاتها وقتاً أقصر وفرصاً أقل مما كان لها فى بلدها . فإذا كان لها صديق قريب منها فهو يستطيع أن يراها ثلاث مرات أو أربعاً فى الأسبوع فى قاعة الاستراحة التى لا تنقطع منها الحركة أو فى النادى المزدحم . وكثيراً مايشاهد المرء المجندات مع أصدقائهن من الجنود فى سينما الجيش ، أو وهم يتناولون العشاء فى مطعم قريب ، أو وهم يتمشون ذراعاً إلى ذراع نحو النادى حيث يلعبون (البنج بنج) ، أو حيث تتمرن المجندات على إصابة الهدف ، أو يجتمعون حول البيانو للغناء .

. . .

وماذا بعد انتهاء الحرب ! !

لا شك أن معظمهن يتطلع إلى الزواج والأمومة ، وبعضهن يدبر أمره لمزاولة الأعمال التى تدربن عليها فى الفرقة أثناء خدمتهن فى الجيش . وفريق منهن يود البقاء فى الجيش للاشتراك فى أعمال التعمير بعد الحرب خارج القارة الأمريكية ، إذ يعتقدن أنه جدير بالمرأة أن تطعم أطفال أوربا الجياع

● قد يبنى المرء لنفسه عرشاً من الرماح ، ولكنه لايستطيع أن يجلس عليه .
(الأسقف انج)

● قبل أن يرتفع الستار على مسرحية جديدة ، جلست ساره برنار وأعضاء فرقتها وكلهم واجم فى الحجرة الخضراء . وإذا بالمارشال فرنسوا كانروبير قد دخل عليهم . وكان المارشال بطل فرنسا فى حرب القرم . ولم يكد يدخل الحجرة حتى لاحظ الوجوم فيها ، فقال قولا ردّت عليه ساره برنار بقولها : « إننا نوشك أن نخوض معركة كبيرة . فنحن خائفون » . فقال المارشال متعجباً : « خائفون » ؟ فقالت برنار : « معذرة ياجناب المارشال » ، ونادت أحد المستقبلين فى المسرح وقالت : « بيكار . هات لنا قاموساً للمارشال ! » .

ابن الصحراء

ملخصة من قصة : جيمز بارتون

خرجت غداة يوم من « عينتاب » فى بلاد الشام قاصداً بغداد عن طريق بطحاء الجزيرة ، فى قافلة لشيخ العرب محمود بن موسى تبلغ تسعين جملا امتطى الشيخ ذو اللحية حماراً أبيض كبيراً كان يبالغ فى بره وإكرامه . وكانا يبيتان فى خيمة واحدة ليلا ، وقلما يفترقان نهاراً . وكان رجال القافلة التسعة عشر من عامة أبناء البادية ، وكانت أوامر شيخهم لا غير هى قانونهم ، ومن يديه ينالون ثوابهم وعقابهم .

كنت أحمل ثمانين جنيهاً ذهباً فى حقيبة من الجلد أحفظها معى فى خيمتى إذا جن الليل . وكنت أحرص على أن أدس يدى فى الحقيبة — كل صباح — لأتحقق من سلامتها ، ولم يرعنى فى صباح اليوم التاسع إلا ضياعها . بادرت إلى ابن موسى وقلت :

«يا محمود بن موسى ، ثمانية أيام وأنا ضيفك، فأنا أعرب مخلصاً عن شكرى لك » .

فضرب ابن موسى بيده على صدره وانحنى ثم قال : « أحب شىء إلى العرب إكرام الضيف» . تابعت كلامى : « يسوؤنى أن أجدنى مضطراً إلى أن أقول لك : إن سحابة قد حجبت شمس ابتهاجى ، ويجب علىّ أن أخبرك بما حدث لأننى ضيفك » .

وأخبرته خبر ضياع الحقيبة . فألقى علىّ بعض الأسئلة ، ثم قعد صامتاً يمسح لحيته بيده ثم قال : « سنبقى اليوم فى منزلنا ، فبعض الرحال محتاجة إلى إصلاح ، وقد ضاعت نعال حمارين أو ثلاثة . قبل غروب الشمس ستجد ذهبك بين يديك ، إن شاء الله . اذهب بسلام » .

وبعد ساعة أو بعض ساعة رأيت شيخ القافلة يهيم وحده بعيداً عن منزلنا ، وانتصف النهار قبل أن يعود . أمر ألا يزعجه أحد ثم دخل وأسدل باب خيمته ، فأخذ يساورنى القلق على مالى ، فإن الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يرده على نائم !

" " " " " " " " " " "

جيمز بارتون كاتب أمريكى عرف بلدان الشرق الأوسط ، وساح فيها ، ودرس فى غير معهد واحد من معاهدها وألف كتابى « فجر تركيا » و « أعمال الإغاثة فى الشرق الأدنى » .

وبعد ثلاث ساعات خرج الشيخ ودعا بالعشاء ، فلم أبرح حتى بدأت أرتاب فى الشيخ نفسه .

وحين فرغ القوم من طعامهم دلف الشيخ الكهل من خيمته مرتدياً أبهى ثيابه ، واعتلى كومة الأحمال المكدسة فى وسط المنزل ، فلما استوى على الذروة ، أومأ إلىّ أن أجلس قريباً منه . وبعد قليل نادى بصوت متجهم : « اجمعوا الرجال جميعاً » . فلما اجتمعوا حول العرش جعل الشيخ يصعد نظره ويصوبه ـ بأبلغ أناة ـ فى هذا الصف من الوجوه العاتية ، وكل عين منها قد تعلقت به . ودام ذلك خمس دقائق على الأقل ، حتى شعرت أنه يجب على أن أفعل شيئاً يفضّ هذا الصمت الرهيب . رأيت الرجال قد أخذوا ، فلم تتحرك عضلة ولم تطرف عين . ولما انتهى الشيخ من هذا الاستعراض الصامت أنشأ يقول فى عبارات محكمة :

« اليوم ألبست الخزى بين يدى هذا السائح وبين يدى الله . إن السرقة جريمة منكرة يكرهها الله والناس ، وإن الرجل إذا سرق من ضيفه فهو ملعون سبع لعنات . لقد أمن إلىّ هذا السائح فإذا هو يسرق فى بيتى . وما دام لم يطرقنا غريب فالسارق هنا أمامى » .

وبعدئذ انفجر الشيخ عن لعناته وصرح بأنه ما من عقاب يراه صارماً حقيق بهذا المجرم ، وأن الله لا ينظر إلى جماعة يكون بينهم مجرم طريد كهذا المجرم ، وأن الله يأمره أن يهلك الجانى وأن يرد الذهب . وكان كلما أوغل ارتفع صوته ثم سكت بغتة ، ثم استمر يقول بصوته الهادئ :

« إن فى الخيمة الآن حمارى الأبيض الكريم . إنه لا يستطيع أن ينطق بلغتنا لأن حلقه حلق حمار . ولكن فى روحه نفحة عالية وسيخاطبنا بطريقته مشيراً إلى السارق .

« فأنا آمركم أن تدخلوا خيمتى واحداً بعد واحد ، ومن دخل فليسدل سترها عليه فلا يكون فى الخيمة إلا هو والحمار . ثم ليجذب ذيل الحمار ، فإن اليد البريئة حين تمس ذيله يظل الحمار ساكناً ، وأما حين تقبض عليه يد السارق فسينهق من فوره . وسيكون هذا رسالة الحمار إلينا لنقبض على الجانى ونذبحه بغير رحمة » .

وقام آخر رجل فى الصف حين أمر أن يكون أول من يدخل . قام فى وقار ودخل الخيمة ، وأسدل الستر ولبث بضع ثوان ثم عاد إلى مجلسه . فأومأ الشيخ إلى ثان وثالث . لقد كان من الصعب أن تعرف أينا كان أشد اضطراباً ، أنا أو هؤلاء الرجال ، وكنت مصغياً إلى النهيق المنتظر ،

فزعاً من الانتقام الذى سأشهده بعد . دخل الخيمة اثنا عشر رجلا ، ولا صـــوت . الثالث عشر ، الرابع عشر ، الخامس عشر ، السادس عشر ، لم يبق إلا ثلاثة . زاد اضطرابى . هـــذا هو السابع عشر ، الثامن عشر . والآن ، كان الرجل الأخير فى طريقه إلى الخيمة ، هذه هى الغاية وإلا فقد ذهب كل شىء . ودخـل الرجل التاسع عشر ، وخرج ولاصوت . لقد وكلنا قضيتنا إلى حمار نخسرناها . ولـكن الشيخ محمود بن موسى قال لى فى سكون : « الزم الصمت ، كل شىء على ما يرام » .

كان الرجال وقتئذ قعوداً أمامـه على ترتيبهم الأول فصاح بهم : « قفوا » . فلما وقفوا جميعاً قال : « ابسطوا أيديكم » . بسط كل واحد كفيه ونزل ابن موسى عن منصته ، وقصـد إلى أول من دخل الخيمة فى طرف الصف ، وانحنى عليه ، ووضع وجهـه فى راحتيه الممدودتين ، وبقى ما يقرب من خمس دقائق . وأعاد ذلك مع الذى يليه . دهشت وتجاوزت دهشتى الحد . وأقبل على الرجل الثانى عشر ومال بوجهه على راحتيه ، فلم يلبث أن ارتد عنه وسدد رمحه إليه وقال : « أيها اللص الـكلب القـذر ، هات الذهب من فورك وإلا بقرت بطنك فى موقفك هذا » .

فأكب الرجل على قدميه يسأله الرحمة ثم هب قائماً . وانطلق إلى ما وراء جماعة الجمال ، ورفع حجراً مستوياً ونبش بالتراب وعاد ومعه حقيبتى : « أعطها للخواجة » .

وضعت الحقيبة بين يدى ، وقد وجدت الذهب لم يمس . بعد ذلك أمر الشيخ رجلين من رجاله أن يجـلدا السارق . وبعد بضع جلدات قليلة غـــير عنيفة ، شفعت له فى العفو عنه ، فأطلق . وانقلب الشيخ إلى خيمته وانفض الجمع .

لقـد كنت فرحاً باسـترداد مالى ، ولـكنى ما زلت مشتاقاً إلى أن أعـلم كيف عرف اللص . إذ لم أستطع أن أفرض فرضاً يفسر ما حدث .

ولما رحلنا فى اليوم التالى سألت الشيخ من فورى أن يبين لى كيف كان ذلك . فنظر إلى ساخراً وقال : « ولـكن لا تحدث رجالى بمـا تسمعه . لقد غمست ذيل الحمار فى محـلول روح النعناع ثم جففته ، وكلهم أمسك ذيل الحمار إلا السارق ، ولذلك كانت يده هو وحدها هى التى لا رائحة للنعناع فيها » .

فقلت ، وأنا لا أملك نفسى : « ماشاالله ! الله أكبر ! » .

* * * *

نابليون يتقهقر عن موسكو

إدوين مولر

في صبيحة ١٤ سبتمبر سنة ١٨١٢ وصل « الجيش الأكبر » إلى أسمى هدف من أهدافه ، فقد بلغت طلائعه أرضاً مرتفعة ، أشرفت منها على السهل المتدّ المنبسط . وهناك تحت قبة السماء المكفهرّة جرى على منتصف الأفق خطّ أبيض مغبر . ومن فوقه ظهرت كالفقاقيع الطافية قبابُ مدينة شرقية — موسكو !

ولمح الإمبراطور بعينيه النفّاذتين قباباً تعلو على سائر القباب : هو قصر الكرملين ! طابت نفس نابليون ، وترجّل عن جواده ليتهيأ لاستقبال الوفد ، فقد توقع أنه لا بد آت إليه يستجديه شروط التسليم .

كانت هذه اللحظة أوجَ أعظم حرب خاطفة عرفها التاريخ إلى ذلك الوقت . فقد شقّ « الجيش الأكبر » طريقه فقطع ٧٠٠ ميل في ٨٢ يوماً ، وهي سرعة مدهشة لجيش من المشاة ينقل عتاده الحربيّ على ظهور الجياد .

وكان « الجيش الأكبر » أضخم قوة مقاتلة منظمة عرفت من «عهد دارا الأول» ملك الفرس . ففي ٢٤ يونيه والأيام التي تلته عبر نهر (نيمن) نصف مليون رجل ، بينهم جيوش من رجال الدول التي فتحها « الجيش الأكبر » ، ولكن كان قلب « الجيش الأكبر » من الفرنسيين ، أولئك الرجال الذين لم يعرفوا الهزيمة أبداً . والذين كان أمضى أسلحتهم تلك الأسطورة التي تزعم أن « الجيش الأكبر » جيش لا يقهر .

فاقتحموا حر الصيف وغباره ، يدفعون جيوش الروس بين أيديهم حتى أرغموها على خوض المعركة في « بورودينو » فنالوا النصر الذي لم يكن يخالجهم فيه شك . كان نصراً باهظ الثمن ، دفعوا في سبيله ٣٥ ألف فرنسيّ بين قتيل وجريح ، ولكنه فتح لهم الطريق إلى موسكو حيث يقفون الآن .

ولم يعد يقفُ في طريق نابليون إلى السيطرة على العالم إلا عقبة واحدة هي بريطانيا . بريطانيا التي ناهضته وعاسرته من قبل ، والتي رفضت الهدنة السرية حين بعث أخاهُ يفاوضهم في عقدها ، والتي ظلت تجذب الخيوط من وراء الستار في روسيا لتثير في وجهه حفيظة القيصر .

وهكذا وقف نابليول بونابرت أمام

موسكو : رجلٌ أسمر اللون ، عبوس الوجه ، ضئيل الجسم ، شديد البأس ، يطأ قدميه طريقاً ممهداً يفضى به إلى أن يحكم العالم . وإن تكن فى هـذا الرجل غميزة ضعف ، فهى تهافته فى حب الأبهة والمواقف المسرحية ، ثم يشتد ولعه بالمواقف التى يرى فيها الأمراء المهزومين والوفود المفوضين وهم ينحنون له بين يديه .

وأبطأ هذا الوفد الروسى ، وعيل صبر الامبراطور . فأرسل الرسل يستحثونه . ولـكنهم عادوا يقصون عليه قصة غريبة ، بلغت غرابتها مبلغاً استفز نابليون فانطلق ليتحقق من جلية الأمر بنفسه . فدخل المدينة من بوابتها الـكبرى المزدوجة ، فلم يتلقه عندها أحد . فركب وطاف بشوارعها فلم يجد أحداً يقف له على أفاريزها ولا أحداً يتطلع إليه من نوافذها ، بل جثم عليها كلها صمتٌ مطبق ، فأرسل العسس إلى الدور ليخرجوا إليه سكانها ، ولـكنهم لم يجـدوا بها أحداً يخرجونه ، فقـد كانت القصور والأكواخ والـكنائس والمتاجر خاوية مهجورة . ومشى الإمبراطور إلى الفناء الـكبير بقصر الـكرملين ، ودخل الجناح القيصرىّ ، فوجد الساعات لا تزال تواصل دقاتها . ولـكنه لم يجد هناك أحداً .

واستولى القلق عليه ، فمنـذ دخل روسيا ، اتخذ كل ما يراه ألواناً من المعانى جديدة . فمن ذلك هذا الخراب الذى يراه : لقد ذهب الفلاحون وذهبت معهم مواشيهم وأحرقوا بيوتهـم ، وأتلفوا محاصيلهم . وحار الامبراطور وبدأ يتساءل : ترى ماذا يخبأ القدر لى فى هذه البلاد الغريبة ؟

ولـكنه عالج الموقف بطريقته المألوفة ، فاتخـذ مركز قيادته فى جناح القيصر ، وأصدر أوامره باحتلال المدينة ، وأرسل قوة من الجند لتشتبك مع العدو فى القتال .

وكذلك عالج جنـوده الموقف على طريقتهم أيضاً ، فاقتحموا المتاجر والقصور ، وحملوا على ظهورهم ما يطيقون حمـله من الفراء والحرير ، والصور الزيتية ، والأوانى الفضية . ثم وجدوا مقادير كبيرة من الخمر فسكروا حتى اضطرب النظام .

وفى ظهر اليوم التـالى رأى الحرس الواقفون على أسوار الـكرملين سحباً من الدخان فى القسم الشمالى من المدينة ، فقدروا فى أنفسهم أن بعض الجنود سكروا ، فأهملوا النار ، فشب الحريق . غير أن الفرقة التى ذهبت لحصر النيران ، عادت أدراجها تحمل النبأ المزعج : أن آلات مطافىء المدينة كلها قد اختفت . وبعـد قليل شاهدوا حرائق أخرى فى الشرق ، ثم فى الجنوب ، وأخيراً قبضت إحـدى الدوريات على روسى وهو

يشعل النار . ولم تلبث أن هبت ريح وصلت ما بين هـــذه الحرائق المتباعدة ، حتى صارت سحب الدخان سقفاً واحداً يظلل أرجاء المدينة .

وبات نابليون ليلتـه تلك واقفاً على أسوار الكرملين يرقب — صامتاً .

فلما كان اليوم التالى صحت عزيمته على الرحيل ، فقد صارت المدينة بساطاً من النار عرضه أربعـة أميال . وظلت النار تتأجج أسبوعاً كاملا . ونجا قصر الكرملين وحده منها ، فعاد إليه الإمبراطور .

لم يتكلم نابليون فى خلال تلك الأيام إلا قليلا ، فقد كان يلوح عليه أنه وقع فى حيرة عقلية شـديدة . فهو لا يمكنه أن يصدق أن أحداً من أولياء الأمور — فى أشد الشعوب همجية — يستطيع أن يأمر الناس بعمل شىء كهذا العمل : فبكلمة واحدة يصبح ٣٠٠,٠٠٠ شخص لا مأوى لهم ! وحتى هو نفسه لم يستطع أن يبلغ هذا المدى من الاستهانة بأرواح الناس . ثم بدأ يفكر أيضاً فى مئات الأميال من القرى التى احترقت ، والحقول التى أتلفت ، التى تقع على طريق العودة إلى الوطن .

لقـــد أحرقت مخازن الحبوب فى موسكو ، وعادت فرق التموين التى أرسلت إلى الريف وليس معها إلا القليل . وبدأ الجيش يجوع ، فدخـل على النظام من الاضطراب أكثر مما كان فيه .

ومع كل ذلك ، فلم يزل نابليون يعتقد أن هزيمتـه للجيش الروسى ، واحتـلاله عاصمة الروس ، قـد وضعا حداً حاسما للحرب . فأرسـل بعثة إلى بطرسـبرج لتعرض على القيصر شروط الصلح ، وهى شروط أكرم قليلا مما كان ينوى فى أول الأمر أن يعرض . ومضت أسابيع ولم يأت رد من القيصر ، فصار الأمر واضحاً ، فلن يصل منه أى رد .

وانفجر نابليون عن ثورة جامحة من الغيظ ، ودعا قواده وأعلن إليهم أنه زاحف بجيشه على سان بطرسبرج . لقـد كانت قرارات نابليون فيما مضى حكماً لا معقب عليه ، ولـكن هذه الخطة يستحيل تنفيذها ، فقد امتدت خطوط مواصلاته حتى أوشكت أن تنقطع ، وهذا الشتاء أيضاً على الأبواب . لم يحاول القواد أن يجادلوا ويناقشوا المشروع ولـكنهم قتلوه بصمتهم .

وأخـيرا أصبح من الواضح — حتى لنابليون نفسه — أنه لا حيلة فى علاج هذا الموقف إلا الارتداد .

وفى ١٨ أكتوبر بدأ التقهقر .

لم يقدر لمعظم هذا الجيش الضخم الذى عبر نهر « نيمن » أن يصل إلى موسكو .

فقد عهد إلى بعض جنوده فى حراسة خط المواصلات وحماية المدن على طول الطريق ، وهلك كثيرون فى المناوشات وفى حروب العصابات ، وسقط أكثرهم صرعى فى ساحة القتال فى « بورودينو » . أما الجيش الذى أخذ يغادر الآن موسكو فقد كان عدده ١٠٠,٠٠٠ مقاتل .

ومن « موسكو» إلى « نيمن » مسافة سبعمائة ميل ، كل ميل منها يشبه الذى يليه : أرض سهلة منبسطة تمتد أميالا لا تكاد تنتهى ، ثم يعترضها نشز قليل الارتفاع يجعل ما وراءه فى رأى العين أشد انبساطاً واستواء . وتتناثر على هذه الأرض بعض غابات متفرقة ، وتنساب فيها جداول بطيئة الجريان ، تتلوى فى مسيرها خلال المستنقعات المترامية . وكان الطريق مستقيما لا انحناء فيه ، فيراه الناظر إليه على مدى البصر كأنه نهر بطىء الجريان يسيل بالمدافع وعربات النقل ، وعلى شاطئيه تسير الجنود المشاة ، تحف بهم فرق الفرسان ، فلم يزل هذا الجيش المتقهقر جيشاً منظما .

وكانوا من بدء رحيلهم يعانون قلة الزاد ، فكان لزاماً على كل سائق عربة أن يحرس جواده ويحميه من الذبح ، وإن كان الهزال قد ترك الجياد عظاماً عليها قليل من اللحم . وحيثما رأوا كوخاً مسقوفاً بالقش ، عمدوا إليه فانتزعوا أعواده ، ليطعموا دوابهم التى كاد يهلكها الجوع .

ونثر الجيش وراءه أسلاباً تركها وألقاها ، من كتب وصور وأوانى الفضة ، ثم المدافع وعربات النقل ، إذ لم يبق لهم من الجياد ما يكفى لجرها . ولكن بقى لهؤلاء الفرنسيين من القوة ما أعانهم على قتال من كان يتعقبهم من الروس .

ثم هوت على الجيش فجأة ضربة الشتاء !

ففى ليلة ٥ نوفمبر وقفت حركة الجيش الممتد على أميال من الطريق ، وبات بالعراء بغير غطاء أو خيام . وهبت ريح صرصر عاتية ، ثم أخذت تشتد ثم تشتد ، وكان مهبها من قبل الشمال الغربى ، من السهول المترامية المتجمدة ، وقطعت ألف ميل تعصف لا يقف فى طريقها شىء . وجاءت معها بالبرد ، وكلما مضت ساعة من الليل زاد البرد ، وظل يقذف النيران الموقدة فيطفئها واحدة بعد واحدة . برد قارس لا عهد لهؤلاء الفرنسيين به . وفى تلك الليلة تجمدت أجسام عدد كبير منهم فهلكوا ولم يفلت الجيش لحظة واحدة من قبضة الشتاء الروسى .

واختل نظام التموين حتى لا سبيل إلى القوت إلا بالخروج من صفوف الجيش ، والتجول فى القرى بحثاً عن الطعام . وهكذا

بدأ الطابور الطويل يتصدع إلى جماعات ذاهبة على وجهها بغير هدى .

لقد قيل إن نابليون شارك رجاله فيما نزل بهم من الشدائد . ولكن الحقيقة هى أنه لم يفعل ، بل ظل يوفر لنفسه الدفء ، والطعام والخبز ، بل حرص على ألا يفتقد شرابه « البرغندى » المفضل . وكان يركب عربة متدثراً بفرائه ، فربما وطئت جثث رجال قتلهم البرد ، أو أشرفوا على الموت .

أما أشد الكوارث التى نزلت بالجيش الأكبر فهى : فرسان القوقاز . فقد كانوا رجالا أولى بأس شديد ، صغار الأجسام ، كثيفى الشعر ، ذوى لحى كثة ، يرتدون معاطف من الشعر ، وعلى رؤوسهم أغطية من الشعر ، ويمتطون جياداً قصار الأرجل طوال الشعر ، وكانت أرجلهم قصيرة مقوسة ، فمن رآهم ظنهم قد ولدوا على صهوات جيادهم ونشأوا معاً نشأة واحدة . وهم يحملون حراباً طويلة ، ويركبون إلى القتال وهم يصيحون صيحات منكرة .

كانوا يستترون بين الأشجار ، ثم ينقضون فجأة على رجال أنهكهم البرد والتعب يبحثون عن شىء يقتاتون به ، أو على آخرين قد جمدوا حول نار موقدة جلسوا إليها يصطلون . وكثيراً ما كانوا ينزعون الثياب عن فرائسهم ، ويسوقونهم عراة حتى يهدهم الإعياء فيسقطوا ويموتوا .

واشتد البرد على الجنود ، وهبطت درجة الحرارة إلى ما بين الثلاثين والأربعين تحت الصفر ، ولكنهم كانوا يتصببون عرقاً فى هذا البرد القارس ، وهم يشقون طريقهم بين أكوام الجليد . فإذا جن الليل وانقلبوا إلى مضاجعهم على الأرض العارية ، تجمدت ملابسهم الندية ، وعندئذ تتسرب الحرارة من أبدانهم كما يتسرب الماء من إنائه .

واكتظ الطريق بالمدافع والعربات المهجورة ، إذ لم يبق لهم سوى عدد قليل من جياد هزيلة ، بدت ضلوعها ومشت تترنح فى أعنتها من الإعياء ، ومشى فى أثرها رجال يتبعونها ، حتى إذا أعيى جواد فسقط ، انقضوا عليه ففتكوا به حياً ومزقوه ، وتنازعوا على الشرب من دمه الحار .

وخطف بريق الجليد أبصار مئات منهم فعموا وعجزوا عن كل شىء ، وآخرون أضاع الجنون ألبابهم .

وحاولت فئة قليلة أن تنجد الذين سقطوا ، ولكنهم كانوا يتوسلون إليهم أن يتركوهم وشأنهم ، أن يتركوهم ليناموا !

أما آخر لقاء بين العدوين يمكن أن يسمى معركة فهو ما كان عند عبورهم نهر « بيريزينا » ، فقد كانوا يأملون أن يجدوه متجمداً فيعبروه ، ولكنهم وجدوه قد ذاب

وبقيت قطع من الجليد تدور فى تيار الماء.

وأخيراً استطاعت فرق المهندسين الحربيين أن تقيم جسرين على النهر، بينما كانت مؤخرة الجيش تدافع الروس دفاعاً شديداً إلى أن تمكنت من صد زحفهم. وتهيأ لهم عبور النهر بنظام زمناً ما، ووصل الإمبراطور سالماً إلى الشاطىء الآخر، ثم انكسر أحد الجسرين فجأة، فسرعان ما انقلب « الجيش الكبير » جمعاً من الغوغاء يقتتل على ركوب الجسر الآخر.

ورأت المدافع الروسية هدفاً عرضه نصف ميل وطوله ميلان، فأطلقت قنابلها ومهدت بها طرقاً فى هذا البناء المرصوص من الرجال. ويقال إن ١٢٫٠٠٠ جثة انتشلت من نهر « بيريزينا » فى ربيع تلك السنة.

وظلت فلول الجيش تترنح وهى تعبر النهر.

ولم تكن لهذه القصة نهاية واحدة، بل سلسلة من نهايات صغيرة محزنة، فهنا وهناك جماعات قليلة متفرقة ذهبت على وجوهها تبحث عن طعام يرد جوعها، فاغتالها الجوع أو اغتالها القوقاز.

ولا يعلم على التحقيق كم عدد الذين نجوا بأنفسهم من معركة روسيا، ولكن الجيش النظامى الذى وصل كونجسبرج بلغت عدته ما يقرب من ١٠٠٠ رجل.

ولم يكن الإمبراطور مع هؤلاء، فقد فرّ متخفياً إلى باريس فى أوائل ديسمبر وجعل يحدث رفيقه فى هذه الرحلة ويتهكم ويسخر بإنجلترا، ويزعم أنه وضع خططاً جديدة لغزو بريطانيا، ولكنها كانت خططاً تدخل فى حيز المستحيل.

كان الإمبراطور على يقين من أن أنباء التقهقر قد سبقته إلى باريس، فوصلها مشدوهاً لايدرى ماذا يلقى بها. لقد دهش الرجل، بغير شك، حين وجد الفرنسيين مقيمين على الولاء له. فاستأنف مظاهر الأبهة والعظمة فى بلاطه، فهو « الإمبراطور » لا يزال!

على أن هذا التقهقر كان قد قضى عليه، ولكن لم يقض عليه بضربة واحدة. فظل يداور أكثر من عامين، ولكن فى غير طائل، فإن شعوب أوربا التى قهرها، نظرت إليه فرأته ليس أكبر من أن يقهر فثارت فى وجهه، بل بدأ رجاله أنفسهم ينفضون من حوله. وأخيراً جاءت الخاتمة فهزم هزيمة حاسمة بفضل ثبات البريطانيين أمامه فى « واترلو ».

وبقى له من عمره سنوات قلائل يقضيها فى جزيرته الصغيرة الموحشة، فأنفقها فى التدليل على أنه كان دائماً على صواب فيما يذهب إليه. ثم أطبقت عليه وحشة الموت.

خمسة عشر ولدا وأتمنى الزيادة

السيدة وينفريد كندى كلوسترمان

ملخصة عن مجلة « ذى أميركان ماجازين »

مضت علىّ إلى الآن ثلاثون سنة قضيتها فى حياة زوجية سعيدة، وحملت فيها ستة عشر طفلا ليس بينهم توائم . ومع ذلك ليس فى رأسى شعرة بيضاء . ومن هؤلاء خمسة عشر على قيد الحياة كلهم يمتاز بالذكاء والجمال على أحسن ما يحب إنسان ، وكل منهم يتمتع بالصحة التامة، وليس بينهم طفل شاذ . وهم تسع بنات وستة أبناء كلهم محبوب. وقد نالوا نصيبهم من الجوائز فى واجباتهم المدرسية وألعابهم الرياضية ، وفاز الكبار منهم بأعمال يتكسبون بها . وتزوج منهم أربعة وجميعهم موفق فى زواجه . وهم من حيث الأخلاق على غاية ما أحب ، يقصدون إلى الكنيسة أيام الأحد ، وليس فيهم من يدخن سوى الابن الأكبر ، ولا بينهم من يعرف الخمر .

وفى هذا العام عند ما قبلنى « تومى » — وهو أصغرهم — لكى يعدو فى مرح الطفولة إلى المدرسة لأول مرة فى حياته ، وقفت أراقبه من النافذة وبكيت . فقد تزوجت حين كان عمرى ١٨ سنة ، وخلال تسع وعشرين سنة من حياتنا الزوجية لم يكن بيتنا يخلو من طفل سنة ما. والآن كبر أصغر أبنائى ووجدتنى وحيدة فى البيت، فشعرت كأن المنزل وكأن حياتى قد أصبحا فارغين ، وشعرت أنى أرضى بأن أسخو بأى شىء — حتى هذه الثلاجة الكهربائية التى أهداها إلى أبنائى — على أن يكون لى طفل آخر .

ولست أزعم أنى كنت هانئة راضية بحظى فى كل لحظة من حياتنا الزوجية ، فقد مرت بى أيام كنت فيها متعبة واهنة العزيمة ، حين كان الفقر يدق على الأبواب وحين كان الشك يخالجنى فأتساءل : « هل الأطفال نعمة كما يزعم الشعراء ! » . وأذكر أنى حين طلبت الطبيب بالتليفون سنة ١٩٣١ ، وكانت سنة ضنك ، لكى يسعفنى فى الولادة وأخبرته أنه الطفل الرابع عشر ، فقال لى : « هل تعرفين يا مسز كلوسترمان أن التى تهز المهد تحكم العالم ؟ » فأجبته وشفتاى مزمومتان : « إنى أود لو أترك الحكم لك لأنى تعبت » .

وقصدت إلى المنزل وأنا كسيرة القلب لكي أهيء العشاء، فوجدت المنزل حافلاً بالأزهار التي جمعها الأطفال في الحقول. وكأن الكبار منهم عرفوا بالحدس ما أنا فيه، فهرعوا الى يقبلونني ويطلبون مني أن أستريح. فبسطت ذراعي وضممت منهم ما استطعت أن أضم. وانحدرت دموع الفرح من عيني وشعرت بتأنيب الضمير لشكي لحظة في صدق رغبتي فيهم جميعاً.

نشأنا أنا وزوجي في الريف. وكان هو مزارعاً ناجحاً تربى في أسرة كان عدد الأولاد فيها اثني عشر ولداً، وكنا نرغب في إنجاب أطفال كثيرين. ولم يكن أحدنا يفكر في ضبط التناسل أو منع الحمل، لأن زوجي كان يعتقد أنهما شر، وأنهما يعودان بالضرر على الصحة، ثم لأننا كنا نحب الأطفال. ولكن لو أن أحداً تكهن لي قبل زواجي بأني سوف أحمل وألد ستة عشر طفلا لآثرت في الأغلب أن أبقى بغير زواج.

وقليل من الفتيات من تحب الأطفال ذلك الحب العميق القيم. ولكن حب الأطفال يزيد زيادة المتواليات الهندسية، أي كلما ولد طفل ازداد الحب. ولست أفتات على سيدة فأحثها على الإكثار من الأولاد. ولكنا وجدنا أنه إذا كان عندك طفلان فإن ما يكفيهم يكفي أيضاً ثلاثة، وإذا كان لك تسعة أبناء فليس العاشر كثيراً.

وإني أقول للنساء اللائي يتمتعن بالصحة ويخشين الأطفال ويرفضن الحمل: لا تخفن، وانسين الخوف. فإن ما تخفنه يشبه الغطسة الأولى في الماء البارد، فإنه عقب الصدمة نحس النشاط البديع. وقد حدث غير مرة أني كنت أهيء العشاء للعائلة ثم بعد العشاء أغسل الأطباق ثم أضع الصغار في اسرتهم، وفي صباح اليوم التالي يكون في البيت طفل جديد. وقد حدث أن تأخر الطبيب مرتين لتراكم الثلج والوحل في الطريق، فأقبل الطفلان في الحالين قبل وصول الطبيب.

وكلما كثر أولادنا كانت صحتي تجود وتتحسن. ولم أصب بأمراض سوى التهاب الزائدة مرة، والأنفلونزا مرة أخرى. وحتى الآن لا أحس التعب من أعمال المنزل. وفي كل أسبوع أقصد أنا وزوجي إلى مرقص حيث نشترك في الرقص طيلة المساء. وقد يضحكك أيها القارئ هذا الطيش، ولكن ثق بأن هذا المرح يشعرنا بالشباب مرة أخرى

وقد عشنا في المزارع ١٨ سنة بعد زواجنا، وكنا نعمل ونجتهد. ولو قيست أحوال معيشتنا بالمقاييس المألوفة لعدّنا كثيرون من الفقراء، ولكنا كنا أصحاء

نأكل أحسن الطعام . وبقينا إلى أن انفرجت الأزمة الاقتصادية ونحن لا نكاد نشعر بهم . وكنا نقصد حيناً بعد حين إلى المدينة للتفرج على السينما ، ولكنا كنا معظم الليالى نجتمع حول البيانو فيعزف أحدنا ، وكنت أنا أعزف أو أغنى . وكنا نعالج الشجار بين الأطفال ، أو الخلاف بينى وبين زوجى ، بالغناء فيصفو الجو .

ولما انفرجت الأزمة صار من المحال أن نجد العيش السكان فى الريف ، فانتقلنا إلى المدينة حيث اشتغل زوجى ببيع صكوك التأمين ، وكان يستعين بكل عمل آخر يعرض له . ووجد « كنيث » عملا فى مخزن تجارى ، وعملت « ماريان » و « أديلين » فى الخدمة المنزلية ، وكنا من وقت لآخر نوشك أن نبلغ الحضيض .

وحدث أن « روث » — وعمرها ست سنوات — كانت عائدة من المدرسة فصدمتها سيارة . وقال الأطباء إن الصدمة أحدثت فى مخها ارتجاجاً ، ولا سبيل إلى علاج وهى معلقة بين الموت والحياة ، ولا حيلة فى الصبر . وكانت فى صباح اليوم التالى لا تزال فاقدة الوعى حين نهض زوجى من جانبها وهو يقول : « فى جنبى وجع » ، وبعد دقائق حمل بسرعة إلى المستشفى حيث أجريت له عملية استئصال الزائدة . وبعد أشهر قليلة وجدتنى ولدت طفلا آخر .

وكان أكبر الأولاد وقتئذ يبلغ السابعة عشرة . وبعد ذلك هب كنيث وماريان وأديلين إلى معونتى ، وعنوا جميعهم بروث التى عادت إلى وعيها ، كما عنوا بالأولاد السبعة الآخرين ، وتولوا طهى الطعام حين هرعت أنا إلى المستشفى .

ولم يكن لدى نقود ، وكان جيب زوجى خاوياً ، وكنا ننتظر حوالة مالية بمبلغ ٨٠ دولاراً ولكنها لم تصل . فاقترح على كنث أن أقترض من البنك .

وقصدت فى اليوم الثانى إلى مدير البنك ومعى صرة صغيرة بها بعض الحلى والساعات . فسألنى المدير : « كم تطلبين ؟ »

وكنا فى حاجة إلى ثمن الطعام ، فقررت أن أطلب مبلغاً كبيراً وقلت : « هل تستطيع أن تعطينى عشرة دولارات ؟ »

فابتسم مدير البنك وقدم إلى المبلغ بغير رهن .

وقضينا سنوات الأزمة أحسن حالا من معظم العائلات ، بمساعدة الأولاد ، حتى الصغار منهم كانوا يساعدون ببيع الجرائد والمجلات . ولما أخذت الأحوال فى التحسن ، قصد كنث إلى إحدى المدن حيث وجد عملا فى شركة للتنظيف الجاف للملابس .

وأرسل بعد ذلك إلى ماريان وأديلين لكى تلحقا به فى هـذه الشركة نفسها ، وانتقلنا جميعاً إلى هذه المدينة .

ونحن الآن عائلة كاوسترمان نبلغ ١٧ شخصاً — أو ٢١ شخصاً وهو أصح لأن كينيث وماريان وجوزفين وآدى تزوجوا — وليس عندنا أحفاد ، ولـكن آمالنا معقودة على قدومهم . ونحن نجتمع كل أحد ، ونتنزه معاً فى أيام الإجازات ، ونحتفل بعيـد ميلاد كل منا . وقد حسبت قبـل أيام أنى صنعت ٢٤٧ كعكة لهـذه الأعياد . وعند ما نجتمع فى وليمـة نحتاج إلى مقـدار كبير من الطعام ، وأتولى أنا شراء الحاجات للطبخ ، فأشـترى البرتقال والتفاح بالقفص ، أما البطاطس فأشـتريها بالشـوال ، وفيـه ١٠٠ رطل .

ومن المشكلات العويصة فى بيتنا مشكلة الحمام . فإن عندنا حماماً واحـداً وغرفة أخرى للاغتسـال ، ولذلك تجدنا نعين لاستعمالها المواعيد الدقيقة كأنها جدول الإذاعـة . وعند ما تخالجنى رغبة فى طفل آخر أفضل أن يكون فى بيتنا حمام آخر .

وفى عائلة عـدد أفرادها ١٧ نفساً ، لا يسمى أحد ، بل لا يستطيع أحد أن يكون زعيما متحكما . ويسر أولادنا أنهم أعضـاء فى عائلة كبيرة ، فهم يجدون فيها لذة الاجتماع . وليس بينهم من يميل إلى التحكم أو العزلة أو الوجـل ، فقد ربى بعضهم بعضاً . وإذا كنت أنا قد علمتهم شـيئاً فهو حسن المعاملة والوداعة واللطف .

ولـكنى عند ما أحاول أن أفـكر فى ما أسديته إلى أطفالى ، أجدنى على العكس أفكر فى ما أسدوه إلىّ . وعندئذ أتمنى لو كان عندى من أمثالهم دسـتة أخرى ، فإن لم تكن فواحد !



وجّه عاداتك إلى خدمتك

وليم جيمز

ملخص من : مختصر علم النفس

« هل العادة حقاً طبيعة ثانية ؟ كلا ، بل قل إنها عشرة أمثالها فى القوة » . هكذا قال الدوق أوف ولنجتون . وليس ثمة من يدرك صدق هذه الحقيقة كالجندى المحنك، ولا غرابة فى ذلك فالتدريب اليومى، والنظام الدقيق الذى لا هوادة فيه ، يخلقان فى الجندى طبيعة جديدة وخلقاً جديداً .

العادة للمجتمع فى منزلة محرك السفينة ، وهى فى مقدمة العوامل التى بها نحتفظ بتراث الإنسانية . فالمهم إذن أن نجعل الجهاز العصبى حليفاً لنا لا عدوا ، وأن نكوّن منذ نعومة أظفارنا ، أكبر عدد مستطاع من العادات النافعة التى تصبح بها الأعمال تلقائية، وأن نحذر العادات الضارة ، ونبعد عنها بعدنا عن الطاعون والوباء . وكلما سلمنا زمامنا فى التافه أو المفصل من أعمالنا اليومية إلى العادات التى لا حاجة فيها إلى جهد أو نصب ، تفرغت المراكز العليا فى الدماغ للقيام بما يعهد إليها فيه من المهام .

وليس هناك أشقى من رجل لم تتأصل فيه من العادات إلا عادة التردد . فهو يجعل كل عمل يبدؤه موضعاً للتردد والتأمل فيقضى نصف وقته فى اتخاذ قرارات، والتحسر على أشياء ، كان خليقاً به أن يجعلها شطراً منه ، بحيث ينجزها دون أن يحس بوجودها .

هناك أربع حكم ينبغى ذكرها ، كلما شرعنا فى تكوين عادة جديدة أو نبذ عادة قديمة ، وهى : (أولا) التسلح بأقوى ما لدينا من عوامل الإقدام . يجب أن نعبئ كل ما يعين على تقوية الدوافع وشد أزرها ، وأن تكون جميع أعمالنا منافية للعادات القديمة ، ولا تلائمها ، وأن تقطع على أنفسنا عهداً إذا لزم الأمر . وبالإيجاز يجب أن يكون العزم محاطاً بسياج متين من جميع العناصر التى تقوى ساعده . وبهذا يكون البدء فى العمل ميسوراً ، والجنوح إلى

" " " " " " " " " " "

وليم جيمز من أشهر علماء النفس الأمريكيين فى العصر الحديث . والفصل الذى كتبه عن « العادة » كان فى رأى الرئيس ويلسون مما يجب أن يطالعه كل إنسان .

الفشل والاستسلام أقل احتمالا . ومن ثم يؤجل النكوص والاستسلام يوماً بعد يوم، إلى أن يصبح الفشل مستحيلا .

(ثانياً) لا تدع للاستثناء سبيلا إليك قبل أن تتأصل العادة فيك . فكل استثناء يكون في منزلة كرة من الخيط تهوى إلى الأرض بعد حبكها بكل دقة وعناية . وكلما هوت الكرة مرة ، أفسدت ما طوى عليها من الخيط مرات . والاستمرار في المرانة ومواصلة العمل بغير استثناء ، هو السبيل الوحيد الذي به يؤدى الجهاز العصبي وظيفته معصوماً من الخطأ .

فالنجاح في بادئ الأمر لابد منه لأن الخيبة مثبطة لكل محاولة في المستقبل ، كما أن النجاح يزيد في النشاط ويدفع صاحبه إلى العمل . طلب أحدهم من « جوته » المشورة في أمر ، وكان الطالب قليل الثقة بنفسه . فقال له « جوته » : « آه ، إنك لا تحتاج إلا أن تنفخ في يديك » . ويدل هذا القول على الأثر الذي تركه نجاح جوته المتواصل في نفسه .

ويدخل في هذا الموضوع ، الفشل في نبذ العادات السيئة كإدمان الخمر مثلا ، وإن اختلف الإخصائيون في أمرها . على أنه يمكن أن يقال بوجه عام أن الجميع متفقون على أن الأخذ بالعادة الجديدة طفرة واحدة هو الطريقة المثلى ، إذا كان التنفيذ ممكنا .

وينبغي أن نحذر تكليف الإرادة ما يشق عليها ، لنتجنب خطر الهزيمة في البداية . فإذا كان في وسع امرئ أن يتحمل فترة قصيرة حادة من الألم فليفعل ، فستأتي بعدها فترة من الراحة . ويستوى في ذلك الإقلاع عن عادة الإدمان ، وتغيير مواعيد النوم أو العمل . ويدهشك أن ترى الرغبات تموت ، وإن كانت قوية ، إذا أنت حرصت على ألا تغذيها بشئ أبداً وبغير استثناء .

ينبغي أن نتعلم كيف نبدأ بحزم وقدم ثابتة — كما يقول الدكتور بانسن — قبل الشروع في تكوين أنفسنا تكويناً جديداً . ومثل الرجل الذي يعزم كل يوم عزماً جديداً ، مثل من يبلغ حافة القناة التي يريد القفز إلى الجانب الآخر منها ، ثم يتقهقر عائداً ، على أن يعيد الكرة في اليوم التالي ، وهكذا دواليك . فيتضح إذن أن تعبئة القوى لا يتيسر النجاح فيها إذا لم يكن التقدم متواصلا وبغير هوادة . (ثالثاً) انتهز أول فرصة ممكنة متى سنحت ، وليكن ذلك فورا لإخراج العزم من حيز الفكر إلى حيز العمل . فليست العبرة في العزم مجرد تكوينه ، وإنما العبرة في أثره « الحركي » ، إذ بهذا الأمر وحده تنتقل العادة المكتسبة الجديدة إلى الدماغ . فمهما يكن عدد ما حفظناه من الحكم والإرشادات والنصائح ، ومهما تكن

نياتنا ، فإن صفاتنا وأخلاقنا لن يدخلها تحسين ما ، إن لم ننتهز كل فرصة سانحة فنعمل عملا جدياً . والنيات وحدها لن تفيدنا بشيء ، إذ أن الطريق إلى الجحيم — كما يقولون — مرصوف بالنيات الحسنة.

يقول الفيلسوف الإنجليزى « جون ستوارت مل » : إن الخلق إرادة تامة التكوين . والإرادة فى المعنى الذى يقصده هنا ، هى مجموعة الميول والاتجاهات التى بها نسخر أهم قوى الحياة وطاقتها بكل ما أوتينا من حزم وثبات وسرعة وجلاء غرض ، لمواجهة طوارئ الحياة الرئيسية . وهذه الاتجاهات تكون درجة تأصلها فينا وفقاً لتكرار الأعمال التى توجهها هذه الاتجاهات ، وما يتركه هذا التكرار من الأثر فى الدماغ .

فإذا ما تأجج فى وجداننا بصيص من العزم أو الشعور ، ثم تركناه يخبو فإن نتيجة هذا الإهمال تكون أشد خطراً من مجرد فرصة تضيع ، لأن هذا يعوقنا فى المستقبل عن تنفيذ قرار نقره ، أو عن الانقياد لعاطفة نبيلة نحسها . وليس فى أخلاق البشر ما هو أحط من ذلك الخيالى العاطفى الضعيف الذى يقضى العمر سابحاً فى بحر من دقة الحساسية وشدة الانفعال ، ولكنه لا يأتى عملا ما جديراً برجل . مثل هذا الرجل مثل السيدة الروسية التى جلست فى مقصورتها فى الأوبرا تذرف الدمع مدراراً على أشخاص خياليين فى الرواية ، فى حين أن سائق عربتها فى الخارج يرتعش من البرد القارس فى انتظارها . من الحمق أن ندع عواطفنا تتحرك إثر مشاهدة رواية أو سماع موسيقى أو قراءة كتاب ، بغير أن نسخر هذه العواطف فى القيام بعمل فعال معين . وليس المهم أن يكون هذا العمل عظيما أو أن يتجه فى ناحية من نواحى البطولة ، وإنما المهم ألا تترك العاطفة بغير تعبير ، وإن كان العمل فى ذاته تافهاً كتقدم مكانك فى القطار لسيدة ، أو التحدث إلى جدتك فى لطف . وإننا إذا أهملنا بذل الجهد عند الحاجة ، فإن قدرتنا تضعف من حيث لا ندرى . وإذا ما جلنا بأبصارنا هنا وهنالك على غير هدى، فإن أبصارنا تتجه إلى هذا الميل على الدوام فتجول هنا وهناك على غير هدى .

(رابعاً) وأخيراً ، احرص على أن تكون نار جهدك دائمة الاشتعال ، وذلك بتغذيتها يوميا بالمرانة . ومعنى ذلك أن تعوّد نفسك شيئا من الزهد والتقشف والبطولة فى أشياء تافهة مرة كل يوم أو يومين . أى تعود القيام بعمل نافع يشق عليك عادة القيام به ، أو تميل عادة إلى تجنبه ، حتى إذا ما اشتدت الحاجة يوماً ما

إلى تأدية مثل هذا العمل ، ألفيت أعصابك قادرة على احتماله . ومثل هـذا اللون من الزهد مثل القسط الذى تدفعه تأميناً لمنزلك من الحريق . فإن هـذا القسط لا تظهر فائدته وقت الدفع ، وربما لن تظهر فائدته مطلقاً ، ولكن إذا احترق المنزل فقد يكون فى مال التأمين نجدة من الخراب .

كذلك الرجل الذى يروض نفسه يوماً يوماً على قوة الإرادة ، وتركيز الفكر ، وإنكار الذات ، حتى فى أشياء تافهة لا حاجة به إليها — مثل هذا الرجل يبقى كالطود الراسخ حين تهز الزلازل كل شىء حوله ، وحين يطير غيره من الرجال ، كما يطير الدريس فى الهواء

هذه جهنم التى نعدها لأنفسنا فى هذه الدنيا بما نكتسبه من العادات السيئة تشبه جهنم التى يحدث عنها رجال الدين . ونحن إذا علمنا أننا مجرد كتل من العادات تتحرك ، وتسير ، وتنام ، وتأكل — إذا ما علمنا ذلك ، اشتدت عنايتنا بتثبيت العادات الحسنة . ونحن حقا ننسج حظنا بأيدينا ، حسن أو ساء ، وعبثاً نحاول فك خيوطه بعد أن يتم نسجه . وكل ذرة من الفضيلة أو الرذيلة لا بد أن تترك آثارها ، وقلما تكون هذه الآثار غير كبيرة .

يقول السكير الذى يحاول الامتناع عن الخمر ، كلما تجرع كأسا جديدة : لن أحسب هذه الكأس هـذه المرة . أجل . قد لا تحسبها ، وقد تشفق عليه السماء فلا تحسبها ، ولكنها محسوبة عليه حتما على كل حال . ففى الألياف العصبية وأعماق خلاياها ، تقيد هذه الكأس أسوة بسواها ويخزن أثرها هناك إلى أن تتخذ سلاحا ضده ، يوم تسول له نفسه أن يجرع كأسا أخرى .

وكل عمل نعمله ، وكل كبيرة وصغيرة نأتيها تقيد فى سجل الحساب ، ولن تمحى . هذا ما يقوله لنا العلم . بيد أن هـذا المبدأ له حسناته كما أن له سيئاته . فكما أننا نكون عادة الإدمان بشرب الخمر كأسا كأسا ، فكذلك نصبح فى منزلة القديسين فى عالم الأخلاق والدين ، والخبراء فى ميدان العلم والعمل ، بمزاولة لون خاص من الأعمال واحداً فواحداً وساعة فساعة .

من الخطأ أن نندم على نوع التربية التى نسير فى طريقها ، فمهما يكن من شىء فإن النتيجة مضمونة ما دمت تعمل بأمانة يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة . وستستيقظ يوما لتجد نفسك أحد أولئك الذين يشار إليهم بالبنان فى زمانك ، أيا كان الطريق الذى سلكته فى الحياة .

هى العادات يجرى الشيخ منها على شيم يعودها الصبى

المُستقبل دائماً للشباب

ملخصة من كتاب "لنكولن ستفنز: يتكلم"

حنفية تسيل ولا أستطيع أن أحكم إقفالها . إذن سأنادى ولدى الصغير الذى هو فى السابعة من عمره ليتلقى درساً آخر من أخطر الدروس التى يجب على أن أعلمه إياها . يأتى فيقبض عليها ، يحاول أن يلويها فيعجز ، فيكشر مبتسما ، أسأله : « ماذا جرى يا بنىّ ؟ » ، فيرفع بصره إلى قائلا : « حتى أكبر يا بابا » .

فاستويت فى مقعدى لألقى عليه درساً وعلمته أننا نحن ، من هم أكبر منه سناً ، لا نستطيع أن نصنع حنفية محكمة ، ولكن هو قد يستطيع ، فثمة عمل له ولجيله فى صناعة السباكة ، بل فى كل صناعة .

إنى أعلم طفلى ، وأقول للأطفال على اختلاف أعمارهم ، من لم يدخل المدرسة بعد ومن دخلها ، ومن هو فى الكلية ومن فارقها : أن لا شىء قد فرغ منه فصار عملا تاماً .

" " " " " " " " " " "

لنكولن ستفنز كاتب وصحفى أمريكى درس فى أمريكا وألمانيا وفرنسا . ومن مؤلفاته المشهورة « عيوب الحياة فى المدن » و « لنكولن ستفنز يتكلم » ، وقد أودع فيه آراءه فى التربية وتهذيب النفس .

وأن لا شىء قد درس فأصبح معرفة يقينية جامعة .

وأن الدنيا كما هادنياهم ، وهى مليئة بجميع أنواع الأشياء مهيأة لهم ، ليكشفوا ويعملوا ، أو ليجددوا العمل ، ويعملوا بإتقان . وهاهم أولاء يستمعون فيلتهمون هذه البشرى الجميلة ، إنهم فرحون كما أفرح ببعض الأشياء التى بقيت لهم ليكشفوا ، وليقولوا كلمتهم ، وليفكروا ، وليعملوا . قلت « بعض الأشياء » كلا بل « هو كل شىء » للشباب ليضطلعوا به ، وهأنذا ألقنهم ليتعلموا :

إنه لا توجد الآن — بل لم تكن أبداً فى التاريخ — حكومة صالحة .

وإنه لا توجد الآن — بل لم تكن أبداً — سكة حديدية ، أو مدرسة ، أو صحيفة ، أو مصرف ، أو مسرح ، أو معمل ، أو دكان بقالة أنشىء على نمط كامل .

وإنه لا مصنع الآن — بل لم يكن أبداً — قد بنى أو أدير أو موّل كما ينبغى . ولكنه يجب أن يكون كل ذلك ، وسيكون يوماً ما . . . . ولعله يكون من أيامهم هم . وإن ما يصدق على العمل والسياسة ، هو

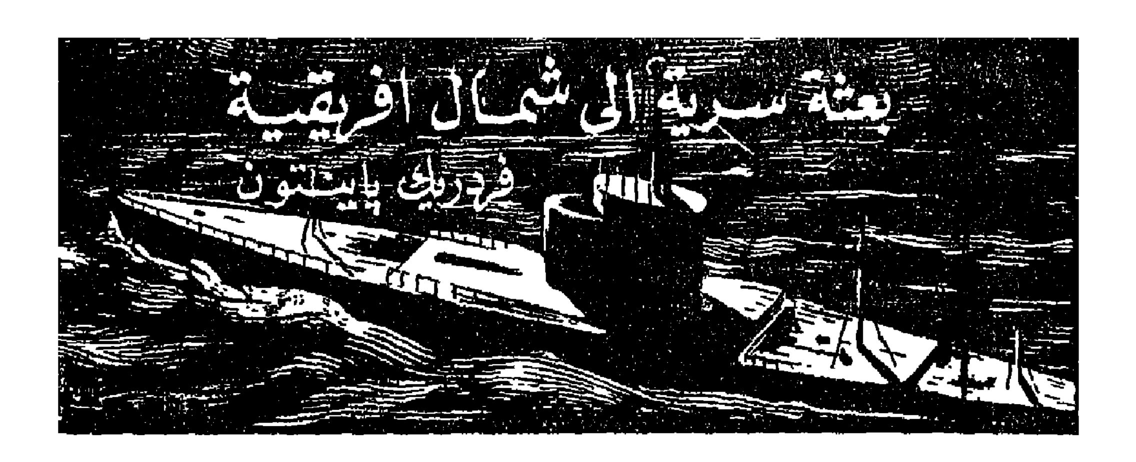
أعظم صدقاً على الحرف والفنون والصناعات، وعلى العلوم والرياضات. وإن أبدع صورة لم ترسم بعد، وأعظم قصيدة لم يتغن بها شاعر بعد، وإن أعظم قصة لا تزال تنتظر من يكتبها، وإن أسمى لحن موسيقى لم يلهمه أحد إلى اليوم. وفى العلم أيضاً لا يزال ٩٩ فى المائة على الأرجح مما يمكن معرفته فى انتظار من يكتشفه. إننا لا نعرف من علم الفلك إلا فروعاً قليلة، أما علم الكيمياء والطبيعة فلا يزيدان إلا قليلا على كومة من الأسئلة الملاحة.

حين كان ابنى طفلا كان مهيأ لانحناء الظهر، فكان من السهل أن يتقبل عقله « مركب النقص » وينمو فيه، فلما بدأت أبين له أنى، أنا والرجال غيرى ممن هم أكبر منه، لسنا فى كل شىء كباراً كما نحن فى مظهر أجسامنا، وأنه حيث يفشل الرجال والنساء فثمة فرصة ممكنة للأولاد والبنات فى حياة ملؤها النجاح. فعندئذ اعتدل فقار ظهره، وانفرجت كتفاه فى اعتداد بالنفس ركين.

« سأعمل هذا أنا » ! هكذا كان يقول باعتداد وبغير وقاحة أيضاً. ذلك لأن الوضع الطبيعى عنده أنه هو والجيل المقبل سيكونون أكثر إتقاناً لما يعملون. نعم، سيكون بعضهم كذلك، فلم لا يكون ابنى أحدهم؟ أنا أب، فعملى هو أن أجعل ابنى يشعر أن له فى الحياة منازل كثيرة يعمرها.

أيام كنت صغيراً وقعت فى نفسى — بطريقة ما — صورة لدنيا طافحة ليس لى فيها ما أعمله إلا قليل، فكرت فى نفسى: أنى إذا عملت على أن أكون صبياً مجتهداً وصدقت فى طلب العلم، فعندئذ أرجو أن أجد لى مكاناً ضيقاً هنا أو هناك فى هيئات المجتمع، حيث أكتسب رزقاً يسيراً، ولكن لم أكن أؤمل فى شىء جديد أو عظيم أعمله. وذات يوم غمرنى إحساس مقرون بالتحقق من أن أمامنا فرصاً، ملايين من الأعمال بين جليل وحقير، لنا نحن الشبان صغيرنا وكبيرنا، وذلك إذا أمكن أن نُصان عن الأوهام العتيقة، والأساطير المفزعة، وأن نعلم أن نرى الأشياء كما هى — أى أنها مشاكل قابلة للحل ولم تحل بعد، وأنها فرص ممكنة — ويومئذ تصير الحياة جديرة بأن نحيا من أجلها.

وقد علمتنى التجارب أن النظرة إلى الدنيا على أنها كلها مجهول ومهمل وفاسد وغير متقن كانت خيراً لى، وهى خير لابنى، وأظن أنها ستكون خيراً للأولاد والبنات جميعاً. إنها تنشىء هدفاً لدراستهم، ثم لعملهم، ثم لحياتهم.



تفرس الجنرال « دويت إيزنهاور » ، وهو جالس إلى مكتبه فى مقر قيادته بلندن ، فى برقية تلقاها من وزارة الحربية الأمريكية عليها عبارة : « سرى جداً » . وقد ألجأته هذه البرقية إلى اتخاذ أخطر قرار فى حياته العسكرية . وإليك خلاصتها :

« يقترح جماعة من الضباط الفرنسيين الموالين للحلفاء فى الجزائر أن يذهب خمسة من ضباط أركان حرب الجنرال «إيزنهاور»

" " " " " " " " " " "

خاض فردريك بايتتون الحرب العالمية الأولى وجرح فيها مراراً ، ثم اشترك فى تحرير صحيفة الجيش الأمريكي . وبعد الحرب زاول الصحافة وكتب فى أشهر المجلات الأمريكية . وقد اختص أخيراً فى الكتابة عن أعمال الجيش الأمريكى ، وعينته « ريدرز دايجست » مندوباً خاصاً عنها ، وسافر إلى أفريقية فى سفينة ضربتها غواصة فأغرقتها ، ولكنه نجا مع الناجين .

سراً ، وفى الحال ، إلى مكان ما بالقرب من مدينة الجزائر ، ومعهم معلومات عما تنوى الأمم المتحدة فعله ، لمواجهة ما يتهدد تلك البلاد من خطر غزو المحور » .

فكر الجنرال « إيزنهاور » ملياً فى هذا الأمر ، وقال لنفسه : « ستنزل القوات الأمريكية والبريطانية إلى شواطىء شمال إفريقية فى الساعة الواحدة فى صباح يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ . ومن المحتمل ، إذا نحن ضربنا موعداً سرياً مع الفرنسيين الموالين لنا فى تلك البلاد ، أن نتمكن من الحصول على معلومات قد تنقذ أرواح عدد كبير من الجنود الشبان الذين يحتشدون الآن على سفن النقل . بيد أن هذه المغامرة تنطوى على خطر رهيب ، فقد يكشف أمر البعثة السرية ، ويكون هذا إنذاراً لكبار ضباط فيشى والضباط النازيين بما يجرى

الآن على قدم وساق . فإذا حدث شيء من هذا فقد ينتهى عمل الغزو بكارثة مروعة» .

ثم التفت الجنرال « إيزنهاور » إلى رجل مديد القامة، طوله ست أقدام وثلاث بوصات، كان جالساً قبالتـه ، وهو الميجور جنرال « مارك واين كلارك » وكيله فى القيادة ، وبادره قائلا فى هدوء: «أعتقد أنك تستطيع الاضطلاع بهذه المهمة يا كلارك » .

وما إن اتفق الرجلان على الأمر حتى توجها معاً إلى شارع دوننج رقم ١٠ (مقر رياسة الوزارة البريطانية) ، وأطلعا المستر تشرتشل على الخطة فى أثناء تناولهما معـه طعام الغداء. فرحب بها لأنها مغامرة تصادف هوى فى قلبه ، ولأنها من تلك المغامرات التى ما كان ليتردد فى الإقدام عليها والاستبسال فيها قبل نصف قرن . ثم قال : « اتفقنا . سأعاونكم معاونة تامة » .

ومن ثم خرج الجنرال « كلارك » للبحث عن الرجال الأربعة الذين كان عليه أن يصطحبهم معـه ، فوقع اختيـاره على الكابتن « جـيرولد رايت » من ضـباط البحرية الأمريكية ، وهو من أبرع الرجال فى الرماية ؛ والكولونيـل « جوليوس هومز » ، وهو يجيد الفرنسية ويعرف بلاد الجزائر ، والكولونيل « آرتش هامبلن » الخبير فى الشـئون البحرية ، والبريجادير جنرال « ليمان لمنتزر » من ضباط العمليات البحرية . وقد أصدر الجنرال « كلارك » التعليمات الآتية إلى كل منهم :

« غادر مكتبك كأنك ستعود بعد ساعة على الأكثر . وخـذ معك ما تستطيع أن تضعه فى حقيبة صغيرة تحملها فوق ظهرك ، ولا تأخذ مستنداً ما . سنرحل الليلة » .

وقد حمـل هؤلاء الضـبـاط معهم — علاوة على تلك الحقائب — مسدسات كبـيرة ، ومدافع « تومى » ، وكمية من نقود الذهب ، كانت قيمتهـا ٦٠٠ دولار —لا ١٨٠٠٠ دولار كما روت الصحف— للاستعانة بها فى الطوارئ .

وفى منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم ١٨ أكتوبر ، حلقت طائرتان كبيرتان فى الجو ، فانطلق هدير محركاتها فى الفضاء . وهكذا بدأت تلك البعثة التاريخية مغامرتها .

وفى أثناء ذلك أرسلت برقيات بالشفرة فيها أوامر للكابتن « د . ا . فاوكس » فى إحدى القواعد البحرية البريطانية ، لإعداد غواصة وأربعة زوارق صغيرة مصنوعة من الخشب والقماش — وهى زوارق تعرف باسم كاياك — لاستخدامها فى نقل الركاب من الغواصة إلى البر . وقد انضم ثلاثة من ضباط « الكوماندو » الخبراء فى هذه الشئون إلى البعثة وهم : الكابتن « ج . ب . جامبو

كورتنى»،والكابتن «ر.ب.لفنجستون»»، واللفتنانت « ج . ب . فوت » .

وقد وصل الميجر جنرال « كلارك » وزملاؤه إلى تلك القاعدة فى ساعة متأخرة من بعد الظهر . فأصغى الكابتن « فاوكس » باهتمام إلى تفاصيل الخطة ، ثم قال فى هدوء : « إن هذا عمل محفوف بخطر عظيم . فى وسعنا أن ننقلكم إلى البر . وليس فى هذا مشقة ما . ولكن هذه الزوارق صغيرة خفيفة كالأصداف . ولن تتمكنوا من تعويمها والعودة بها إذا كان البحر مائجاً » . فقال « كلارك » : إنه فكر فى هذه المخاطرة ، وقبل الاضطلاع بها بعد ما قلبها على جميع وجوهها .

واستأنف « فاوكس » حديثه قائلا : « إن مغامرتكم هذه ياجنرال شديدة الشبه بالقصص البوليسية التى يؤلفها « أوبنهايم » حيث تجد البطل يذهب إلى دار ريفية مسكونة ، فيبدو من نافذتها ضوء عند منتصف الليل » .

فقال « كلارك » فى حدة : « وكيف عرفت هذه التفاصيل ؟»، ذلك بأن الاتفاق كان قد تم على ألا ينزل رجال البعثة إلى البر إلا إذا لمحوا ضوءاً من نافذة دار ريفية .

وعند ما دلف الضباط الأمريكيون الخمسة ورجال الكوماندو الإنجليز الثلاثة خلف اللفتنانت « جويل » قائد الغواصة إلى سفينته التى تفريغها ٧٥٠ طناً ، كان القمر قد طلع . وقد أخذ هؤلاء الرجال معهم « بطاريات » ينبعث منها ضوء أزرق لا ترى أشعته من الجانبين ، وذلك لاستخدامها فى إرسال الإشارات المتفق عليها بطريقة « مورس » ، على أثر نزولهم إلى البر . وحملوا معهم كذلك جهازاً لاسلكياً صغيراً يمكنهم من الاتصال بالغواصة، بحيث لا يتمكن الألمانيون من التقاط ما يدور بين الفريقين من حديث . ثم دارت محركات الغواصة وأقلعت .

وفى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل التالى لمح أفراد البعثة إشارة اللقاء الضوئية على الشاطئ الأفريقى ، ولكنهم أبوا أن يخاطروا بالنزول إلى البحر ، لأن الشمس كانت على وشك البزوغ ، فما كان منهم إلاّ أن غاصوا بغواصتهم فى البحر انتظاراً للمساء . وكان فى وسع « كلارك » أن يرى من خلال منظار الغواصة (البيريسكوب) الدار الريفية القديمة المبنية على الطراز المراكشى ، والقائمة فوق حافة منحدر صخرى كأنه جرف هار ، ورأى خلف هذه الدار الطريق الرئيسى المؤدى إلى الجزائر ، ولكنه لم يتبين أثراً ما لشخص ما فى ذلك المكان .

وبعد أن تأمل الكولونيل « هومز » هذا المشهد ، وهو نهب لانفعالات مختلطة قال : « لقد رأيت هذا الطريق آخر مرة عند ما قطعته مع زوجتي إبان شهر العسل» .

وقد ظلت تلك الغواصة الصغيرة خمس عشرة ساعة تحت سطح الماء ، ففسد الهواء داخلها ، حتى تعذر إشعال عود من الثقاب فيها . وكان الرجال يتنفسون بصعوبة ، ويلهثون ويبتلعون ريقهم بمشقة . ثم أصيبوا بشبه دوار ، وكانوا إذا بذلوا أقل جهد أحسوا تعباً شديداً وإعياء .

وأخيراً جن الليل ، وارتفعت الغواصة إلى سطح الماء . وصعد الرجال إلى برجها ، فداعب هواء الليل وجوههم ، وأعاد إليهم نشاطهم وصفاء أذهانهم ، وأقاموا ينتظرون انبثاق الإشارة الضوئية من جديد .

وقد بلغت الساعة الثامنة مساء ، ثم التاسعة ، والدار الريفية لا تزال مظلمة . فجعل أفراد البعثة يتساءلون : هل كان مقدراً لهم أن يقضوا أربعاً وعشرين ساعة أخرى في هذا الجو الخانق ؟ زمجر «لمتزر» قائلا : « لقد حدث شيء . ولن تنبعث إشارة ضوئية ما » . فقال « كلارك » : « بل سينبعث الضوء . وأنا أراهن بعشرة دولارات على ذلك » .

وقد قبل الجميع هذا الرهان إلا «هومز» . ثم هبط « كلارك » إلى داخل الغواصة ليغفوا غفوة قصيرة . وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة أيقظه « هومز » قائلا : « ربحت الرهان ، فقد لمحنا الإشارة الضوئية منذ لحظة » . ومن ثم أخرج الرجال الزوارق الصغيرة من كوة الطوربيد وأنزلوها إلى الماء ، واستقلوها وسيروها متقاربة ، ويمموا الساحل في موج يرشهم رذاذه البارد . ولما أصبحوا على نحو ٥٠٠ ياردة من الشاطئ توقفوا عن السير ، واستقر رأيهم على إرسال اثنين منهم للاستيثاق من خلو المكان ، إذ من الجائز أن يكون البوليس الخاضع لإشراف حكومة فيشي قد وقف على الخطة ، وأمر رجاله بالتربص بين الأشجار على الشاطئ ، فيكون معنى ذلك أنهم على قيد خطوات من شرك نصب لهم .

كان « جوليوس هومز » أعرف باللغة الفرنسية من سائر أعضاء البعثة ، وكان يعرف بعض الأهالي في تلك المنطقة ، فتقدم رجال البعثة مصطحباً الكابتن «لفنجستون» من رجال الكوماندو . وإن هي إلا عشر دقائق حتى وصل بهم الزورق إلى الشاطئ ، فنزل الاثنان إلى البر وفي يد كل منهما مسدسه ، وتقدما في حذر واحتراس . وفجأة أدركا أن شخصاً يتحرك على مقربة

منهما . فدارا على أعقابهما بسرعة وشهرا المسدسين ، ثم سمعا صوتاً يخاطبهما بالإنجليزية قائلا : « من هناك ؟ » ، فردعليه «هومر» قائلا«من أنت؟»، فأجاب : « أنا ردجواى نايت» . وكان « ردجواى نايت » هـذا وكيل القنصلية الأمريكية ، وقد اشترك فى اتخاذالتدابيراللازمة للمقابلة. فقال «هومر» « أنا جوليوس هومر . أين بب مورفى؟ » (كان مورفى القنصـل الأمريكى العام فى شمال إفريقية ، وكان صاحب الشأن فى تدبير هذا الاجتماع) . فأجاب «نايت» : «سيصل بعد لحظة . إن كل شىء على ما يرام » .

ثم تلفت « هومر » إلى «لفنجستون» قائلا : « أرسل الإشارة » .

وأرسل لفنجستون إلى بقية أفراد البعثة إشارة ضوئية فهموا منها أن الأمور تجرى فى المجرى المتفق عليه . وإن هى إلا دقائق معدودات حتى نزل بقية الرجال إلى البر من الزوارق الصغيرة . ثم أرسلت إشارة ضوئية أخرى إلى الغواصة ، وكانت راسـية تجاه الشاطىء ، فتوقفت محركاتها عن الدوران .

ولكى يخفى هؤلاء الرجال المبللون المرتعـدون زوارقهم ، جروها إلى الدار الريفيـة ووضعوها فى المطبخ . ثم خلعوا ملابسهم ، ونشروها لتجف . وبعـد أن تناولوا طعاماً خفيفاً — والمرء إذا انفعل ضعف اشتهاؤه الطعام — استسلموا للنعاس ، حتى جاء الفرنسيون فى الساعة السابعة صباحاً فبدأ المؤتمر .

فى هـذا المؤتمر حصل أفراد البعثة على بيانات غاية فى خطر الشأن ولاتقدّر بمال ، وهى تتضمن حقائق عن حمولة السفن التى تستطيع الرسو فى موانىء الدار البيضاء والجزائر ووهران وتونس . ووقفوا على الخطط التى وضعتها البحرية الفرنسية للحيلولة دون نزول قوة ما إلى السواحل ، وظفروا بكشف الأماكن التى ينتظر أن تكون فيها مقاومة الجيش الفرنسى عنيفة ، والأماكن التى لن يقاوم فيها الفرنسيون إلا ذراً للرماد فى العيون ، كما ظهروا على معلومات خاصة بمهابط الطائرات . وقد اتضح فيما بعد أن هذه المعلومات الأخيرة ذات قيمة لا تقدر .

وارتفعت الشمس فى كبد السماء ، ثم مالت إلى الغروب والرجال لم يفرغوا من الكلام ودراسة الأرقام ووضع العـلامات على الخرائط .

بيد أن حظ الجنرال« كلارك » أوشك فى آخر الأمر أن ينتهى إلى الخيبة . فقد سمع «جيرون رايت» صوتاً رابه ، فخرج مسرعاً من الدار . وكانت الريح تصفر حول سطح الدار المغطى بقطع من القرميد الأحمر ، وكانت ترتطم بالشـاطىء أمواج عاليـة

مزمجرة . وكان « رايت » يعلم أنه لن يمكن إنزال الزوارق إلى الماء إذا ظلت الأمواج مصطخبة على هذا النحو ، فعاد إلى زملائه وقد تبدت الكآبة على قسماته . وفي أثناء ذلك توجه خادمان أعرابيان — كان صاحب الدار قد أعفاهما من العمل في صباح ذلك اليوم مبالغة في الاحتياط — إلى مدينة واقعة بالقرب من ذلك المكان ، حيث زارا مدير البوليس وقالا له إنهما رأيا أناساً غرباء يحملون حزماً (الزوارق) كبيرة إلى الدار الريفية ، وقالا إن تلك الدار كانت في وقت من الأوقات وكراً للمهربين ، فمن الجائز أن تكون الآن مستخدمة للغرض نفسه . فما كان من مدير البوليس إلا أن أرسل بعض رجاله في سيارة إلى ذلك المكان الذي اجتمع فيه رجال البعثة بالفرنسيين الموالين للحلفاء ...

هوت الشمس إلى البحر واختفت وراء الأفق ، وكانت الأنوار تضيء غرفة الاجتماع من خلف نوافذ الدار الريفية المغطاة . وكانت المباحثات قد انتهت تقريباً ، ولم تبق سوى نقطة واحدة تحتاج إلى الفصل فيها والاتفاق عليها . قال أحد الضباط الفرنسيين : « لا بد من أن يكون لنا قائد نتبعه وننقاد لأمره . وأقترح أن يكون هذا القائد الجنرال « هنري هونوري جيرو » فعارضه « كلارك » قائلاً : « ولكنه في فرنسا شبه سجين . » . فقال الضابط الفرنسي : « لابد من إنقاذه وإحضاره إلى هنا فهو الضابط الوحيد الذي يستطيع أن يفوز بولاء الشيع الكثيرة المتنازعة هنا » .

فوافق « كلارك » على كلامه ، ووعد بإنقاذ جيرو وإحضاره إلى شمال إفريقيا . (وقد بر « كلارك » بهذا الوعد — ولكن هذه قصة أخرى) .

ثم حدث أن دق جرس التليفون في الغرفة المجاورة ، فاعتدل المجتمعون في مقاعدهم ، ونظر كل منهم إلى الآخر . وبعد أن أجاب صاحب الدار المتكلم في التليفون ، عاد مهرولا إلى غرفة الاجتماع وقد جحظت عيناه من شدة الخوف ، وقال : «البوليس ! سيكون رجال البوليس هنا بعد خمس دقائق ! » . فأسرع معظم الضباط الفرنسيين — الكبار منهم — إلى الخارج ، لعلمهم أن العثور بهم في ذلك المكان وفي هذه الحالة معناه إعدامهم رمياً بالرصاص ، لأن عملهم هذا يعد خيانة . وبعد ثوان معدودات دارت محركات سياراتهم وأدبروا .

أما زملاء « كلارك » فقد جمعوا الخرائط والأوراق ودسوها في ملابسهم ، وأدركوا أنهم وقعوا في شرك بين بوليس فيشي والبحر المائج . وهاهي ذي سيارات

البوليس قد اقتربت من الدار ، وانعكست أضواء مصابيحها اللامعة على جدرانها البيض ، فأين يختبئون ؟

وكان من رأى « كلارك » أن يسرع الجميع إلى الغابات ، فاعترض « مورفى » قائلا : « إذا ارتاب رجال البوليس فى الأمر وشرعوا فى البحث ، فقد لا يتعذر عليهم الاهتداء إلى أماكن الأمريكيين » . ثم استطرد « مورفى » قائلا : « هنا قبو خال مخصص لحفظ النبيذ ، فاختبئوا فيه وسأتخلص أنا من رجال البوليس » . ولكن « كلارك » لم يرتح إلى هذه الفكرة ، لأن القبو كان أشبه ما يكون بمصيدة الجرذان ، ولا مجال للحركة فيه . على أنه لم يبق لديهم الآن وقت للتفكير فى طريقة أخرى للاختفاء ، فقد كانوا يسمعون حركة رجال البوليس وهم يهبطون من سياراتهم . فجمع الضباط الثمانية مسدساتهم وبنادقهم الرشاشة ونزلوا إلى القبو . أغلق « مورفى » الأبواب عليهم ، ووضع فوقها عدداً من الصناديق ، ثم عاد لمقابلة رجال البوليس .

وخطرت لمورفى خطة قد يكتب لها النجاح ، فقد كان على المائدة التى جلس إليها المجتمعون أعقاب سجائر وزجاجات نصف ممتلئة بالنبيذ ، فطلب إلى ضابطين فرنسيين أن يغامرا بحياتهما ويتظاهرا بأنهما يسكران مع « مورفى » ، فجعلوا ينشدون طائفة من الأغانى التى يغنيها السكارى ، ويقهقهون ويتكلمون بصوت عال . وكان هذا هو المنظر الذى رآه مدير البوليس عند ما دخل الدار بعد لحظة .

والآن ننتقل إلى القبو — ولم تكن مساحته تتجاوز عشر أقدام مربعة — فنجد « كلارك » قد صف زملاءه خلف السلم ، وإلى جوار الجدران ، حتى لا يراهم من يطل من كوة السقف . ولكن ماذا تكون الحال إذا ما نزل أحد رجال البوليس لإلقاء نظرة عليه ؟ لقد أصدر الجنرال « كلارك » أمراً قاطعاً إلى رجاله بإطلاق النار بقصد القتل على الفور . على أن الموقف ما لبث أن ازداد تحرجاً فى الطابق الأعلى ، فقد كانوا يسمعون « بوب مورفى » يجادل مدير البوليس ، ويقول له صاخباً محتجاً إنه أقام مع بعض أصدقائه وليمة ، فأية جريمة فى هذا ؟ ماذا يقول جناب المدير لو داهم رجال البوليس الأمريكى منزلا يقيم فيه بعض الرعايا الفرنسيين فى نيويورك ؟ بيد أن الأصوات كانت تقترب من القبو حتى خيل إلى « كلارك » وصحبه أن رجال البوليس قد هبطوا إليه .

على أن شهقات مكتومة قطعت الصمت الشديد فى القبو . فقد كان « جامبو كورتنى »

يحاول كتم سعال انتابه ، وقد خيل إلى رفاقه أن شهيقه يدوى فيسمع فى مدينة الجزائر ! وهنا قال « جامبو » وهو يحاول ما وسعته المحاولة أن يكتم سعاله : « أعوذ بالله ! أخشى أن أختنق » . فقال « كلارك » فى تجهم : « أما أنا فأخشى ألا تختنق . . خذ هذه « اللبانة » وامضغها » . فمد « جامبو » يده وأخذ « اللبانة » وأخذ يمضغها مضغ اليائس ، فزال تشنجه هنيهة وعاد السكون إلى القبو ، وأصبح فى وسع هؤلاء الرجال أن يسمعوا نبضات قلوبهم . أما فى الطابق الأعلى فلم يكن « مورفى » قد فرغ من جدله وصياحه ، وكان الضباط الفرنسيون البسل ينشدون إحدى أغنيات السكارى . وكانت الدقائق تتوالى فى بطء شديد ، وكل دقيقة كأنها قرن طويل .

ثم حدث أن تغيرت لهجة الأصوات فى الطابق الأعلى ، إذ بدا أن مدير البوليس خفف من حدته ، فتنفس « هومز » الصعداء وقال هامساً : « لقد أقنعه بوب » .

وبعد أن قرر مدير البوليس أنه لم يجد أثراً لأعمال التهريب فى الدار ، قال إنه مضطر مع ذلك إلى تقديم تقرير عن الحادث إلى رئيسه ، وأن هذا الأخير سينظر فى الأمر لا محالة .

وفى تلك اللحظة انتابت « جامبو » نوبة سعال أخرى . فهمس « كلارك » فى أذنه قائلا : « امضغ اللبانة » . فقال « جامبو » : « إنى أمضغها يا سيدى ، ولكنها لم تعد حلوة المذاق » .

فرد عليه « كلارك » هامساً : « لا عجب ، فقد مضغتها أنا ساعة قبل أن أعطيك إياها » . فعد هذا نكتة بارعة . . . ولكن بعد أن انتهت المغامرة طبعاً ! وأخيراً خف وطء الأقدام فى الطابق الأعلى . وبعد أن سمع « كلارك » ورفاقه سيارة البوليس تبتعد عن الدار ، صعدوا متلهفين للوصول إلى الغواصة فى أقرب وقت ممكن . بيد أن الأمواج كانت لا تزال ترتطم بالشاطئ . وهنا قال « جيرى رايت » : « إن إنزال زورق كبير إلى هذا البحر المصطخب الأمواج من أشق الأمور » . ومع ذلك فقد تكللت أعمال البعثة بالنجاح حتى الآن ، ولم يبق أمامها إلا العودة بالمعلومات التى ظفرت بها حتى يكمل هذا النجاح .

قال كلارك : « فلنحاول العودة » . وفى الحال أرسلت إلى الغواصة إشارة لاسلكية فحواها : « اقتربوا من الشاطئ بقدر ما فى استطاعتكم . إننا نعانى شدة . وسنستقل الزوارق فى الحال » .

ثم حمل أفراد البعثة الزوارق على الشاطئ الذى تعصف عليه الرياح عصفاً

وكان إنزال هذه الزوارق ، وحجمها لا يكاد يزيد على حجم الزوارق الصغيرة التى يلعب بها الأطفال ، إلى هذا البحر المائج عملا جريئاً حقاً . وقد خلع « كلارك » ملابسه الخارجية وحملها وسار بين الأمواج المتلاطمة المتكسرة مع « لفنجستون » ، وحاولا أن يستقلا زورقهما الصغير مستخدمين المجاذيف . ولكن حدث فى تلك اللحظة أن ارتطمت بهم موجة كالحائط ، فانقلب الزورق واختفيا بين زبد الأمواج المصطخبة.

وبعد هنيهة تدحرجا إلى الشاطئ وقد غطى رمل البحر جسميهما ، وشرقا بمائه الملح ، وسحب الآخرون الزورق . أما المجاذيف وملابس الجنرال فقد حملها التيار بعيداً . وهنا صرخ أحدهم : « أحضر له سراويله ! » فصاح « رايت » : « دعك من سراويله الآن . أحضر المجاذيف ! » وقد أحضرت ، أما السراويل فلا تزال فى مكان ما بأفريقية !

ولقد اضطر « كلارك » نفسه إلى التسليم بأنه لم يكن فى استطاعتهم أن ينزلوا الزوارق إلى البحر فى تلك الليلة ، كما أدرك أنهم قد يرون أن لا معدى لهم عن البقاء فى ذلك المكان عدة أيام ، إذا ظلت الريح تهب هذا الهبوب الشديد . ولكنه أبى أن يعود إلى القبو ، سواء أجاء رجال البوليس أم لم يجيئوا ، مفضلا الاختباء فى الغابات حيث يستطيع المرء أن يشق لنفسه طريقاً بالرصاص إذا طرأ طارئ ما .

وعلى ذلك اختبأوا وخبأوا الزوارق معهم بين أشجار النخيل ، وكانت فرائصهم ترتعد من شدة البرد ، إذ لم يكن يستر أجسامهم إلا ملابسهم الداخلية الخفيفة . وفى اليوم التالى تولى كبار الضباط الحراسة بالتناوب وهم مرتدون سراويلهم القصيرة ! وظلت الريح تهب بعنف وتحول بينهم وبين النجاة .

وقد عاد رجال البوليس فى الساعة ١١ مساء ، وكان رجال البعثة متوارين فى الغابات ، شاهرين أسلحتهم مستعدين للطوارئ . أما « مورفى » فقد حيى رجال البوليس مرة أخرى بابتسامته الرقيقة ، وجعل يتحدث معهم بسرعة وذلاقة . بيد أن رجال البوليس لم يفتشوا الغابات واكتفوا بالإعراب عن عدم ارتياحهم قائلين إنهم سيعودون فى الصباح .

وفى حوالى الساعة الرابعة صباحاً هدأت الريح قليلا على الرغم من أن البحر كان شديد الهياج . فقال « كلارك » : « لنحاول مرة أخرى » . وفى الحال بعث برسالة لاسلكية إلى الغواصة أفرغها فى قالب أمر هذا نصه : « اقتربوا من الشاطئ إلى اقصى حد ممكن » . ثم أعد « جامبو » و « رايت »

والملازمان الفرنسيان الزورق الأول، فاستقله « كلارك » و « رايت » . وجعل الرجال الأربعة يحاولون تعويم الزورق بالرغم من الأمواج التي كانت ترتطم بالشاطئ ، إلى أن صاح بهم « رايت » قائلا : « والآن تشجعوا يارفاق » ! فدفع الرجال الأربعة الزورق إلى الأمام على شاطئ عجاج . ولما شاهد « رايت » رقعة هادئة من الماء صاح: « هنا » ! وجعل « كلارك » و« رايت » يجذفان بكل قوتهما ، فتسلق الزورق موجة عالية ، ثم لم يلبث أن انساب بين الأمواج .

وبينما كان الكابتن « رايت » يوجه الزورق نحو الغواصة قال بصوت أجش : « لم يارب ! أبعد ثلاثين سنة في خدمة الأسطول أنتهي إلى قيادة زورق ! » . وفي أثناء ذلك كان الآخرون يحاولون تعويم زوارقهم .

وقد استخدم الجنرال « لمنتزر » ، واللفتنانت «فوت» ، لتعويم زورقهما نفس الطريقة التي لجأ إليها « جامبو » و« نايت » والضابطان الفرنسيان ، بيد أن زورقهما انقلب من فوره ، وجرفتهما الأمواج مع الزورق إلى الشاطئ . ثم حاولا محاولة أخرى فتمكنا من تعويم الزورق بأعجوبة . وقد عوم « هومن » و « لفنجستون » زورقهما دون أن يحدث لهما حادث ما .

أما « ارتش هاملن » و « جامبو » فقد خابا في المحاولة الأولى ، وكانا آخر من وصل الغواصة . ولما وصلا ارتطمت موجة هائلة بزورقهما ورفعته إلى علو كبير ، ثم هوت به على الغواصة ، فانتشل رجال الغواصة الرجلين ، بينما تدفقت المياه على ظهر الغواصة . أما الزورق فقد شطرته الموجة شطرين ، وحملته معها .

وقد أدرك أفراد البعثة خطر ترك الزورق المشطور على هذا النحو ، بما فيه من خطابات وملابس عسكرية وحقيبة فيها نقود من الذهب ، فقد يعثر على هذه الأشياء مبعثرة على الشاطئ ، فيفضح أمر الأمريكيين . ولهذا أرسلوا في الحال إنذاراً إلى «مورفي» ، لكي يطهر الشاطئ من هذه الأشياء .

وفي ساعة مبكرة من الصباح بحث « مورفي » و « نايت » والضابطان الفرنسيان عن حطام الزورق والملابس والحقيبة وأبادوها كلها .

أما الغواصة فقد أدارت مقدمتها نحو الشمال ، وطفقت تسير بأقصى سرعتها ، وهي أربع عقد بحرية في الساعة حين تكون غائصة . ولما كان « كلارك » مهتماً بحمل البيانات والمعلومات التي حصل عليها إلى لندن في أقصر وقت ممكن ، فقد وطن العزم على

المخاطرة باستعمال التخاطب باللاسلكي ، وأرسل رسالة لاسلكية إلى أقرب قاعدة إنجليزية ، بين فيها مسير الغواصة وسرعتها ومكانها ، طالباً أن ترسل إليه طائرة . وفى الساعة الثالثة والثلث من بعد الظهر حلقت طائرة مائية من طراز « كاتالينا » فوق الغواصة . وإن هى إلا ساعة ونصف ساعة حتى وصلت الطائرة بـ « كلارك » ورجاله إلى قاعدتها ، وما هبطوا منها حتى أرسلوا برقية فيها أنباء نجاحهم العظيم ، ثم استقلوا طائرتين عمتا بهم شطر انجلترا . وقد واجهت الطائرة التى كانت تقل « كلارك » جميع أنواع الصعاب ، كأن القدر كان يأبى عليه التوفيق التام فى مهمته . وظلت هذه الطائرة عدة ساعات ضالة فى الضباب ، وترنحت فى وقت ما لكثرة ما تراكم عليها من الجليد . وقد وصف الجنرال « كلارك » رحلته على متن هذه الطائرة بقوله : « إنها تركت فى نفسى ألذ قشعريرة أحسست بها فى جميع مراحل المغامرة » .

وعندما وصلت الطائرة الأولى إلى انجلترا استولى القلق على نفوس الجميع ، بيد أن الطائرة التى كانت تقل « كلارك » هبطت سالمة أخيراً ، ولم يكن قد بقى فيها من البنزين ما يساوى أكثر من دريهمات.

وقد قدمت هذا المقال إلى الجنرال « كلارك » فى مقر قيادته بشمال أفريقية . حيث يتولى قيادة الجيش الأمريكى الخامس ، ورجوته أن يلقى عليه نظرة للتحقق من دقته ، ثم بادرته قائلا : « والآن ما هى النتائج التى أسفرت عنها مخاطرتكم ؟ » فتأمل هنيهة ثم أجابنى قائلا : « إنى مقتنع بأن المعلومات التى حصلنا عليها أنقذت آلافاً من أرواح الأمريكيين والبريطانيين . ولن أعين لك رقماً ما ، إذ ليس فى وسع أحد أن يحدد ذلك بدقة . وعلاوة على ذلك ، فإن القوات الفرنسية تستبسل الآن فى القتال فى خطوطنا الأمامية ، بفضل الخطط التى وضعت خلال المؤتمر الذى عقدناه فى تلك الدار الريفية . أما فيما يتعلق بى فحسبى أن أقول لك : إننا جوزينا على عملنا خير الجزاء ، ولا شك أن العمل يستحق المخاطرة التى تعرضنا لها » .

● قد يفشل الرجل مراراً فى عمله ، ولكنه لا يعد خائباً إلا إذا بدأ يلوم غيره .

(برنارد شو)

غامر بسمعته ، وغامرت بحياتها ، ففتحا فى الطب فتحاً مبينا

بطل البرارى

جيمز توماس فلكسنر

ملخصة من كتاب « أطباء على ظهور الجياد »

أمام كوخ فى قرية من قرى غابات الحدود ، التى بلغها الأمريكيون فى استعمارهم الولايات المتحدة فى القرن الثامن عشر ، تجمع لفيف من الناس على صوت حافر من بعيد ، فشخصت أبصارهم إلى ما وراء التل .

وازداد وقع الحافر على جليد الأرض وضوحاً ، وإذا فارس فوق التل ، على رأسه غطاء من فرو ، وقد رفع ياقته ، وهى من فرو ، حتى كادت تبلغ غطاء رأسه . وظهر من بين الفروين عيناه: صغيرتين براقتين ، وظهر أنفه كبيراً أزرق من شـدة البرد . وترجل الراكب فى بطء المتعب المجهود ، وتلقـاه طبيبا القـرية ، فانتحى بهمـا جانباً يتحدثون .

تلقى الطبيبان زميلهما الوافد بكل إجلال ، فإن هـذا الرجل ، ابن الثامنة والثلاثين ، كان يعدّ الجراح الأول فى الإقليم كله فى السنوات العشر الماضية ، أى منذ عام ١٧٩٩ .وكان اسمه إفرايم مكدوول ، وهو اسم ذائع فى كل مسـتعمرة بكل غابة من غابات تلك الناحية . فما احتاج أحـد من سكان تلك المستعمرات إلى عملية جراحية تـكبر على حذق الطبيب المحلى ، إلا وذهب خبر ذلك إلى جراحنا هذا ، ثم لا يكاد يبلغه الخبر حتى يحشر على عجل عـدده وعقاقيره فى خرجـه ، وهو من جـلد بال ، ثم ركب الأميـال الطوال إلى غايته . وقد ركب الأميال أيضاً هـذه المرة لعلاج مسز كروفورد ، ركب ستين ميلا لبلوغ دارها ، ومع هذا لم يعدها مسافة طويلة شاسعة يعتبر اجتيازها من الخوارق لأنه كثيراً ما ركب المائة من الأميال .

وأخبر الطبيبان القلمان الطبيب الزائر ، مكدوول ، أن مسز كروفوردحامل ، وأنه مر عليها الشهر التاسع والشهر العاشر بآلام للوضع جسام ، ومع كل هـذا لم يريا عليها قط علامة من علامات الوضع . ودخل مكدوول الـكوخ ، فوجـد امرأة على

قصرها ضخمة الجسم ، ترقد فى فراش حشوه من أغصان الصفصاف . وحاولت أن تبتسم له بالسلام ، ولـكن جاءتها نوبة من الألم زمت لها شفتيها . وجلس مكدوول إلى جانبها ، وأخـذ يمتحنها ، ويمر بيده خفيفة على جسد شاع الوجع فيه . ولما انتهى ، رجا من حوله أن يتركوه مع المريضة وحدها . فلما فعلوا قال لها : يا سيدتى ، إنك لست حاملاً ، ولـكن بك تضخم فى المبايض .

وذهب ظلام الليل بأضواء الشفق من وراء النافذة ، ولم يكن يسدها زجاج وإنما هو ورق أشرب بالزيت حتى شفّ ، والطبيب لا يزال عند سرير المريضة يحدثها حديثاً خطيراً أحدث فى تاريخ الطب حدثاً عظيما . قال لها الطبيب إنه تعـلم الطب فى إدنبرة عاصمة الاسكتلنديين ، وهى عاصمة بالطب شهيرة ، وتعلم فيها الجراحة على أيدى جراحين من خير من تعرف الدنيا . وأنهم علموه أن النساء إذا أصابهن تورم المبيض وتضخمه فقد حل قضاء الله بهن ، وانهن لا بد طائرات إلى الموت على الأرجح ، بعد نامين يذقن فيهما العذاب مراًمتزايدة مرارته على الأيام . وقال لها : إن هؤلاء الأساتذة ، على قلة رجائهم واستسلامهم فى هـذا الداء لليأس ، كانوا دائماً يتساءلون : أفى الإمكان الشفاء ببتر تلك الأجزاء التى أصابها الداء ؟ وإذن تكون العمليـة كاستئصال المبيض فى الحيوانات ، والحيوانات تشفى بعـد استئصال المبيض . وحرص مكدوول على أن يزيد فيقول لمسز كروفورد : إن هذا الاقتراح لم يكد يقـترح فى مجامع العلماء العظماء من الأطباء حتى لقى معارضة شديدة اضطرت أصحابه إلى استرداده .

فقد كانت الجراحة عند ذاك قصراً على تضميد الجراح وبتر الأطراف ، أما أحشاء الجسم الباطنة فلم يجسر جراح على غزوها . وساد الاعتقاد بأن جدران البطن، إذا شقت فتعرض باطنها للهواء ، لا يلبث أن تصيبه العدوى، ثم الموت من جرائها . لهذا لم يجرؤ طبيب قط على المجازفة بإجراء عملية كهذه وتركوا المريض يموت بعد آلام طو". . ولـكن مكدوول شذ فلم يعتقد هذه العقيدة، فارتأى أن المريض لا بد أن يبرأ كما يبرأ الحيوان . وهب أن الشفاء غـير محقق ، وهب أن احتمال النجاح واحد فى الخمسين ، أفليست هذه المخاطرة خيراً من قطع الأمل ؟

علم مكدوول أنه إذا أجرى العملية فخابت ، وماتت صاحبتنا بسببها كما يتنبأ الأطباء أجمعون ، فعندئذ لن يكون له من حكم القضاء مفرّ ، وعندئذ لن تستطيع محكمة إلا أن تدينه بالقتل ، لأنه لن يوجـد

طبيب آخر يشهد أمام المحكمة بغير ذلك . وهب أنه فر من حكم القضاء ، فماذا يكون مستقبله بعد ذلك ؟ لا شيء . فعيادته التى أسسها على السنوات الطويلة لا بد ذاهبة . فمن من الناس يأتمن بعد ذلك جراحاً بلغ هذا الحد من الرعونة وإرخاص الحياة ؟

علم مكدوول كل هذا ، ولكنه رأى أنه قد يكون فى هذه العملية خلاص هذه المريضة ، فرغب فى إجرائها والمقامرة بسمعته فيها ، وحسب أن غيره من الأطباء قد يكون غالى فى تقدير سمعته ، فقدر لها ثمناً أكبر مما قدر لحياة مرضاه .

قال الجراح لمريضته : «إذا أنت رضيت المخاطرة ، وقبلت الموت فيها ، فأنا راض بإجراء العملية » . ولكن عندئذ يجب أن تذهب معه إلى دنفيل . نعم ، إلى دنفيل، ففى دنفيل بيته وعيادته وأجهزته وأدويته ، وفيها المساعدون المتدربون . وفيها وحدها يستطيع أن يبذل لها من العناية ما هو حقيق بعملية خطيرة كهذه ، بلغ من خطرها أن أحداً قبله لم يقدم على إجرائها .

فأجابت السيدة بصوت هادئ رزين : « سأذهب معك » .

وفى الصباح التالى اقترضوا لها من أهل الناحية أهدأ حصان يمكن اقتراضه ، وحملوها عليه . وصحبتها زوجة جار لها ، لأن زوجها هى لم يستطع أن يصحبها ، وتخلف عنها يرعى المزرعة والأطفال . ومر ثلاثتهم وسط القرية ، فنظر إليهم أهلها ، وفى أعينهم رحمة للمرأة المنكوبة ، وكراهة لهذا الطبيب الذى يريد أن يضحى بها إشباعاً لغباوة فى فكره وعجب فى نفسه

وكان سفراً طويلا بطيئاً شاقاً إلى دنفيل — ولم تكن عند ذاك غير قرية تباهى القرى بما لا يزيد عن مائة بيت . ولما وصلوا استقبلتهم زوجة الجراح ، واعتنت بالمريضة عناية من يفهم الصناعة ، وذهبت بها فأرقدتها تواً فى الفراش .

وكان لمكدوول ابن أخ جراح ، تعلم فى فيلادلفيا فأحسن تعلماً ، وكان شريكه فى العمل . فلما سمع بالذى اعتزمه عمه استاء استياءاً شديداً . لأنه علم أن مسز كروفورد لا بد ذاهبة للموت ، وستذهب سمعتهما وعيادتهما . وناقش عمه ونفض يديه من أمر ينطوى على مثل هذا الجنون .

طغى الحديث عن هذه العملية المنتظرة على أحاديث الناس فى هذه القرية الصغيرة . وبدأ الحديث عنها كأحاديث الإشاعات ، ثم إذا به يقوى ويشتد ، وإذا بالرجال تقول : إنه لابد أن يمنع مكدوول من إجرائها .

واختار الجراح لإجراء عمليته يوماً حسب القلوب تتعطف فيه . اختار لها يوم

مولد المسيح بن مريم ، واستعد له بمراجعة كتبه ليستذكر بها صور البطن . وقام كل يوم يتمثل ما يعتزم فى العملية إجراءه ، حتى تفاصيلها الصغيرة . وفى صبيحة اليوم الموعود جاءه ابن أخيه ، وقد شد العزم ملامح وجهه ، فقال له إنه قضى الليلة يفكر ، وينازع نفسه الحجة بين جذب ودفع ، وأخيراً قرر أن من واجبه المعونة ما وقعت حياة فى خطر .

ودخلت مسز كروفورد حجرة العمليات ، وكانت الطرقات فى سكون ، لأن الناس كانوا فى الكنائس يتعبدون . وكان فى الكنيسة قسيس لسن ، اشتهر بقوة وعظه ، واختار هذا القسيس لخطبته فى هذا اليوم موضوع هذه العملية الجراحية . ولمن اختارها ؟ ولمن يتحدث فيها ؟ لقوم أبعدوا عن المدنية ، فأبعدوا عن المحاكم والقوانين ، فلم يبق لهم غير سواعدهم من قانون . وقال لهم هذا القسيس الطيب : إن مكدوول يتأهب لإتلاف حياة مما برأ الرحمن .

وكانت حجرة العملية فارغة إلا من مائدة من خشب . فعلى هذه المائدة أنام الطبيب ومساعدوه المريضة ، وبها ربطوها . ولم يكن اكتشف الأثير عند ذاك للتخدير . فكل ما استطاعوه لتخفيف آلامها حبات من أفيون أعطوها إياها . ولم تكن تعرف عند ذاك تلك الملابس البيض التى يلبسها الجراح ، وهى مطهرة تدفع العدوى عن المريض . ولم تكن تعرف تلك الكمامات التى يلبسها الطبيب على وجهه ليحمى بها المريض من أنفاسه . فقام الجراحان فى تلك الحجرة فى ملابسهما العادية . وكل الذى صنعاه أن رفعا أكمامهما عن سواعدهما حتى لا يصيبها الدم عند انبثاقه . والأدوات لم تكن وضعت فى أوعية التطهير البخارى كما توضع اليوم . ففى تلك الأيام كانت المطهرات ومعنى التطهير سراً من أسرار الوجود لم يبح به الزمان بعد . فكل الذى صنعاه أن غسلا المشارط والملاقط كما تغسل سكاكين الأكل وملاعقه ، ووضعاها على غطاء نظيف عادى من الكتان .

ويخبرنا مكدوول نفسه عن هذه العملية فيقول إنه عرى بطن المريضة ، فظهر فى انتفاخه ، فخط عليه بقلم مجرى المشرط على الجلد عند القطع ، ثم أعطى المشرط لابن أخيه . ورأت مسز كروفورد المشرط بارقاً مصلتاً فوقها ، فأغمضت عينها ، وأخذت تسبح . وذهب المشرط عميقاً فيها فارتعد صوتها وتجلجل ، ولكنها ظلت تسبح .

وفرغ ابن الأخ من القطع المطلوب ،

فقام العم يتمم ما بقى من العملية ، وهو أخطر ما فيها .

وجرت يده فى بطنها حيث أرادت متئدة غير مرتعشة ، ولكن وجهه احمرّ التهاباً ، وجرى العرق يتصبب عليه ، وهو فى تلك الحجرة الباردة . وأخذت المسكينة تنتقل من تسبيحة لله إلى أخرى ، واضطرب صوتها اضطراباً بالغاً دليل ألم بالغ ، فكان يطمئنها الجراح ويسليها كما يطمئن طفلا روعه الخوف .

وبغتة تبدل سكون الطريق فصار لغطاً كبيراً . فقد خرج الناس من الكنيسة ، وتجمع عند باب الكوخ أكثر من مائة منهم ، وصاح الرجال فيهم غاضبين للحق محتجين يطلبون وقف العملية ، حتى غمرت أصواتهم صوت المريضة وهى تسبح فلم يعد يسمع لها تسبيح . ولكن المسكينة لم تقطع تسبيحها ، بل مضت فيه ، وقد هرب الدم من عقل أصابعها ، وقد شدت بها على خشب المائدة ، مصابرة على الألم ودفعاً للخذلان .

وعمد الحشد إلى حبل فربطوه بشجرة حتى إذا ماتت المريضة عجلوا بشنق الجراح . ومضت عليهم دقائق طويلة وهم ينظرون إلى البيت فى سكونه الرهيب ، فلم يأتهم منه خبر ، فاعتزم رؤساء العصبة فتح بابه عنوة ، ولكن تدخل العمدة ، وأعانه فى تدخله بعض المتزنين من السكان ، فجرت مناوشة بينهم عند الباب ، وقد يكون سمعها مكدوول من خلف الباب . فإن كان فعل ، فإنه لم يظهر عليه شىء من اضطراب ، بل جرى فى العملية متئداً ساكناً .

وكانت المريضة بدأت تخفت ترانيمها ثم سكتت . وحملها مكدوول هو ومعاونوه إلى الفراش بين الوعى والغيبوبة . وسمع المتجمهرون بأن العملية انتهت ، وسمعوا بأن المرأة عاشت من بعدها ، فصمتوا حينا فى ذهول ، ثم إذا بالهواء يتمزق عن هتاف من الناس عظيم .

ولكن القوم فى جهلهم استعجلوا الأمور بهتافهم ، فالخطر الحقيق لم يكن جاء بعد أوانه . فالتهاب البريتون ، التهاب ذلك الغشاء الذى يلف الأحشاء داخل البطن ، كان أخشى ما يخشى من بعد العملية ، فهو إذا تلوث فالتهب صار بصاحبه إلى الموت . وجعل مكدوول لمريضته غذاء من شأنه أن تظل به الأمعاء فارغة ، فهكذا كانوا يكافحون الحمى . ثم انتظر .

ودخل حجرتها بعد خمسة أيام ، فهاله أن رآها واقفة تسوى فراشها . وبالإغراء تارة والتهديد تارة حملها على أن تعود إلى فراشها لتقضى دور النقاهة فيه خمسة وعشرين يوماً .

وما انتهت هذه الأيام حتى أصرت على العودة إلى بيتها لتصلح ما اختل من أمره فى غيبتها ، وعادت إليه راكبة . وعاشت من بعد ذلك فى صحة جيدة إلى أن جاءها الموت فى سن التاسعة والسبعين .

كانت عملية مكدوول هذه من أخطر العمليات فى تاريخ الجراحة . إن تضخم المبيض صار اليوم داء عادياً لا يخاف ، ومن الأطباء المختصين من صار يعالج منه فى العام مائة حالة . وفضل مكدوول بين فى هذا ، ولكن فضله الأكبر ليس فى أنه جاء بعلاج لداء ، ولكن بإثباته عملياً أن جوف البطن تمكن فتحه من غير ما ضرر . فتلك العملية التى أجراها هذا الطبيب الجرىء فى تلك البرارى من أمريكا ، بين التلال والأدغال ، مهدت الطريق لما جاء بعدها من عمليات انتزعت فيها من الأعور زائدته ، ومن الحويصلة الصفراوية حصوتها . كانت هذه العملية فتحاً جديداً ، به انفتح الباب لجانب كبير من فن الجراحة الحديث .

ومن سخرية القدر أن جراحنا هذا الكبير لم ينتفع بكشفه الجليل ، حين صار هو أحوج ما يكون إليه . ففى مساء من عام ١٨٣٠ ، بعد حياة نافعة طويلة ، أصابه فى بطنه تشنج شللى أذاقه شر عذاب ، وعالجه الطبيب المحلى زاعماً أنه يشكو التهاب المعدة . فلما عجزت حيلة الطب فيه ، أخذ يهبط إلى الموت بطيئاً ، ثم حضرته الوفاة بعد أسبوعين .

إن عمليته التاريخية مهدت السبيل إلى الشفاء ببتر الزائدة الدودية من الأعور عند التهابه . وأغلب الظن أن صاحبنا مات من أعور ملتهب ، انفجرت زائدته .

● كانت طائفة من القاذفات تتأهب للنزول على أرض مطار بإنجلترا ، حين تلقت رسالة من برج المراقبة بالتحويم حول المطار . ومضت دقائق وهى تحوم ورجالها لا يعرفون سبباً يحول دون نزولهم إلى الأرض ، إلى أن جاءتهم رسالة لاسلكية ثانية من عامل برج المراقبة مؤداها : امضوا فى التحويم . حدث حادث طارىء على الأرض . هنا كلبة غير معروفة النسب . تضع جراءها فى وسط المطار .

(الصحافة المتحدة)

ينظف الأرض من ألغامها مهندسون من الجنود ، لهم أعصاب من حديد ، وحكمة لايفتأون يرددونها : « أول أخطائك آخرها » .

ألغام بالملايين

الكولونيل پول و . طمسون

ملخصة من مجلة « انفنترى جورنال »

لاجواب على ألوف الدبابات التى تستخدم فى هذه الحرب ، غير الملايين من الألغام ، ألغام خفيفة ، رخيصة ، يسهل إيداعها فى الأرض . ومن أجل هذه الخفة وهذا الرخص وتلك السهولة ، أسرف المحاربون فى استخدامها إسرافاً كبيرا .

إن الدبابات لا تخاطر بنفسها فتندفع هاجمة فى أرض ملغومة ، لأنها إن فعلت كان هذا آخر ما يسمع عنها وعن رجالها . وإنما هى تصبر حتى يفتح لها رجال الفرق الهندسية طريقاً فى الألغام ، تنفذ منه الدبابات بسلام . وليس فى أعمال الحرب كلها عمل أخطر على أصحابه ، وأشد امتحاناً لأعصابهم ، من تطهير أرض ملغومة .

إن اللغم المصنوع للفتك بالدبابات يتألف عادة من أسطوانة من الفولاذ ، قطرها ١٦ بوصة ، وسمكها ٤ بوصات ، وحشوها عشرة أرطال من ت. ن. ت ، وهو رمز لمادة شديدة الانفجار تصنعها الكيمياء . واللغم يضبط بحيث لا ينفجر إلا إذا بلغ الضغط فوقه حداً معلوماً . والرجل يستطيع أن يمشى فوقه فى الغالب دون أن ينفجر . وهو إذا انفجر من تحت دبابة نسف تلك السلسلة الحديدية الدوارة التى تجرى عليها عجلاتها ، وقد يشق بطنها من أدنى فيصل إلى ركابها فيذهب ببعض أطرافهم أو يشوه أجسامهم ، وهذا أخوف ما يخافه جنود الدبابات .

ولكن اللغم الذى قاعدته فى حجم طبق الطعام ، لا يستطيع أن يسيطر فى الميدان إلا على مساحة منه صغيرة جداً ، ومن أجل هذا وجب بث الألغام بالمئات والألوف . وكثيراً ما اضطر الألمان فى روسيا إلى إزاحة ٢٥٠٠٠ لغم من مدخل موقع روسى واحد . والمهندسون الذين يختصون بتطهير هذه

الألغام ، يتخذون لذلك إحدى خطتين : إما إزاحة الألغام بالأيدى لغما لغما ، وإما التوسل بوسيلة آمنة إلى نسفها جميعاً . وكلا الطريقتين وصفها أهون من تنفيذها .

وقبل أن تزيح لغما لابد لك من أن تجده، وهذا وحده عمل غير هين . فالعدو لا يضع ألغامه فى الأرض على رسوم منتظمة ، وهو يستخدم جميع حيل الإخفاء للتضليل عنها ، ثم هو يرد إلى الحفر ما استخرج منها من رمل أو تراب بعناية كبيرة ، حتى تعود الأرض إلى مظهرها الأول . فإذا بقى شىء من رمل أو تراب ، حمله إلى ناحية أخرى . وقد تأتى الطبيعة لعونه، فترسل الريح بالرمال السافية ، أو السماء بثلوجها ، فتسدل على الميدان الملغوم غطاء أى غطاء .

وأقدم طريقة لاقتحام ميدان كهذا ، وهى كذلك أضمنها ، هى أن ينكش الجنود كل قدم من الأرض بشوكة أو سنجة مما تحمل بنادقهم ، وذلك قبل أن يطأوها . فإذا أحست الشوكة أو السنجة بشىء صلب ، قريباً من سطح الأرض ، حفر الجندى عن اللغم حفرا يسيراً حتى يكشفه . فإذا كشف عنه ، فقد فرغ واجبه الأيسر ، وبدأ واجبه الأخطر . فعندئذ يجب عليه أن يزيحه من الأرض قبل أن يزيحه هو من الدنيا .

فيأخذ برفع التراب عن اللغم ليزيده ظهوراً . وحشو اللغم لا ينفجر إلا إذا انفجرت قبله كبسولة تحمل قليلا من مفرقع آخر أشد إحساساً بالضغط . فهذا ينفجر أولا ، وبانفجاره ينفجر حشو اللغم الأعظم . وإذن فعلى الجندى أن يأمن انفجار اللغم برفع كبسولته قبل رفع اللغم ذاته . وهو يأخذ يتفحص الكبسولة قبل نزعها ، ثم هو يضع دبوساً هنا ، ويفك أكرة هنا ، ولا يحرك فى كل هذا إصبعاً حتى يستوثق من عواقب هذه الحركة .

وحتى الرجل الخبير برفع الألغام لا يستطيع أن يفرض شيئاً ما ، ويقبله أمراً مسلماً به . فالألمان على الأخص لا يفتأون يخلقون الحيل القاتلة لإفساد مجهود أعدائهم فى نزع ألغامهم. من ذلك أنهم يضعون مكان اللغم الواحد لغمين ، أحدهما فوق الآخر ، يربطونهما بسلك ، فإذا رفع أعلاهما ، شد السلك أسفلهما فانفجر . فالجندى الحذر لا يرفع لغماً حتى يحفر من تحته بمطواة ليستوثق مما قد يكون تحته من ألغام .

وقد يضطر الجند أحياناً إلى رفع الألغام من حقول تنهال عليها نار العدو ، وهذا أخطر عمل يكلفه جنود فى ساحة القتال . وهو فيه من الخطر الكفاية والنهار طالع ، فكيف به فى الليل ؟ كيف به والجندى ينكش الأرض حوله فى الظلام الدامس ، يفتش

عن ألغام حية توشك أن تنفجر ، والعدو يوشك أن يفتح افواه مدافعه الرشاشة لكل صوت يسمعه عند اللغم ؟ كيف به والجندى فى هذا الظلام ، وعلى خشية العدو ، يعلم أيضاً أن رشقة من يده فى غير موضعها قد تجعل منه قطعاً تتناثر فى الهواء عديدة صغيرة حتى لا يجدها واجد ؟

وفى أغلب الجيوش الآن جهاز كهربائى مغنطيسى يتحسس به الجندى الأرض لكشف الألغام فى الميدان . ولهذا الجهاز حساسات ، أشبه بقرون الحشرات ، يمر بها الجندى على الأرض المخوفة ، فإذا هى مرّت فوق لغم زنت ساعة يلبسها الجندى فوق أذنيه . وهذا الجهاز أكثر استخدامه فى الميادين الملغومة التى يستولى عليها الجيش كاملة . أما الميادين التى يتنازعها جيشان ، فالمهندس الجندى يفضل أن يذهب فيها غير مثقل بالجهاز ، ونار العدو من فوقه . أما منظر هؤلاء المهندسين بأجهزتهم هذه ، فهو أشبه بمنظر ربة الدار النشيطة وهى تدور على بساط بيتها بمكنسة كهربائية .

وطريقة أخرى لتطهير الألغام أحب إلى قلب المطهر ، تلك طريقة الطربيد ، ويسمى هذا الطرَبيد « طربيد بنجاور » . وهو يبلغ من الطول ٢٠ قدماً ، وهو ماسورة من الحديد الزهر ، تملأ بالمفرقع المعروف ت . ن . ت ، وتركب فيها كبسولة لفرقعتها . والطربيد يوضع فى البقعة التى يراد تطهيرها ، ثم يفرقع . فإذا انفجر فجر معه كل لغم مثله فى نطاق ثلاث أقدام أو أربع حوله ، ونتيجة هذا بالطبع فتح ممر فى الحقل أمين .

وحتى هنا يجد المرء فى الحساء ذبابة ، فالألغام تنفجر بالطربيد كلها فى العادة . ولكن قد يقع أن يتخلف بعضها ، وإذن يجب على المهندس ، مبالغة فى الاطمئنان ، أن ينكش الأرض بعد الطربيد .

وهناك طريقة لفرقعة الألغام بالتناغم أسرع من طريقة الطربيد، ابتدعها الجنرال رومل عندما أخذ طبرق . فقد علم الجنرال طريقة الطربيد هذه ، وعلم ما تستغرق من زمن فاستكثره ، واستهوته طبرق لفائدة مينائها ، ولمائها وهو مصدر الحياة فى تلك الصحارى الجديبة . فزعم أنه إذا استطاع أن يقتحم ما بينه وبين هذا البلد من أراض ملغومة ، وأن يقتحمها سريعاً ، طلع عليه على غرة فأخذه أخذاً سهلا هيناً . فابتدع طريقة خاطفة لذلك .

ذلك أنه أمر طائراته المنقضة بأن تنقض على الحقول الملغومة طوائف طوائف ، فى الوقت الذى تكون فيه دباباته السريعة بلغت حافة تلك الحقول . فلما فعلت ظهر للحلفاء

أن أساوباً جديداً من أساليب الحرب قائم . فهدف تلك الطائرات لم يكن الحصون البريطانية ، ولا مساطب مدافعهم ، ولا حتى رجالهم ، ولكن كان هدفها تلك الحقول الملغومة وحدها . وألقت الطائرات قنابلها فى خطوط على الأرض مستقيمة ، فتفجرت عن حفر على هذه الخطوط كثيرة ، فانفتحت للألمان بهذا طرقات اقتحمها الجند المشاة إلى طبرق فدهموها ، فكانت ضربة فى المقتل .

ولكن لا يظن أحد أن تطهير الحقول من ألغامها أصبح بذلك أمراً سهلا مستطاعاً فى كل حين ، فالذى فعله رومل لن يفعل مرة أخرى بكل تلك البساطة . ففى الأحوال العادية لن تتوفر تلك الطائرات المنقضة بتلك الأعداد الكبيرة ، ولن تفلت من العقاب وهى تعمل عملها . فتطهير الالغام يظل غداً كما كان فى أمس عملا يدوياً . وطرق المهندسين وحيلهم فى رفعها ستكون دائماً محفوفة بالمخاطر ، لما يبتدعه العدو من حيلة جديدة يرد بها على حيلة أخرى للخصم جديدة .

ومن أشهر تلك الحيل لغم قصد به إلى الجند أنفسهم ، وبدأ الألمان باستخدام هذه الحيلة بفرنسا فى خريف عام ١٩٣٩ . فعندئذ أخذت التقارير تصل إلى قيادة الجيش الفرنسى عن أحداث غريبة تحدث فى غابة « أرنت » . فقد كان يخرج الجند فى هذه الغابة للاستكشاف فلا يعودون ، وبعد أيام يعثر على أجسامهم وقد مزقتها الشظايا . عندئذ ظهر للقيادة أن رجالها لاشك واقعون فى فخ من فخاخ الحرب جديد مميت .

ثم حدث ما يحدث دائماً لكل سلاح جديد فى الحرب : وقع أحد هذه الفخاخ سليما فى أيدى الفرنسيين ، فإذا به طراز جديد هو أحدث ما عرف من الألغام . وأجد ما فيه أنه ، إذا خطت عليه قدم ، رفع اللغم عن الأرض جهاز فيه ، حتى إذا بلغ من العلو أوسط الرجل انفجر فيه . لقد كان هذا الفخ فى الحقيقة قنبلة ، إذا انفجرت نثرت شظاياها الكثيرة فى مساحة كبيرة . فهى من أجل هذا أكثر إتلافاً للرجال من قنبلة تنفجر تحت الأرض . فلم يكن إلا أن تدوس قدم فرنسية زناداً من الأزندة الكثيرة المنتشرة فى حشيش الأرض ، حتى تعلو تلك القنبلة فتنفجر فتحصد زمرة الجند الكاشفة ، وتحصدها فى الأغلب كلها .

واستخدم الفرنسيون لرفع هذه الألغام طريقة معروفة قديمة : أطلقوا على الحقل أسراباً من الخنازير ، فلما داست على الأزندة انفجرت قنابلها .

وتجرى العادة اليوم أن يفرّق العدوّ فى

الحقل، بين ألغام الدبابات، ألغاماً لقتل الرجال شبيهة بهذه ، لها أسلاك عليها أزندة رفيعة كالشعر ، زيادة فى بلوى المطهرين من المهندسين . فهذه ، وكثير غيرها من أفخاخ جهنمية ، يبثها المحارب فى الأرض التى يعتزم إخلاءها ، فإذا أخلاها وقع الخصم عليها فتردّى فيها . وتسمى هذه الأفخاخ اسما ظريفاً يَصدُق عليها ، يسمونها « أفخاخ المغفلين » . وهى توضع حيث لا يظن أحد أن فى الأمر خطراً ، ثم إذا بها تنفجر عند تحريك أكرة باب ، أو عند فتح شباك ، أو حتى عند إزاحة كرسى من مكانه . فكل هذه الأشياء يصلها العدو بسلك يتصل بزناد قنبلة يفجّرها ، فإذا انتهى انفجارها انتهت الحرب بالنسبة لمن حولها من الرجال . وهناك فخ أُغرم الألمان بنصبه للفرنسيين ، فهم إذا أرادوا إخلاء بيت ، وضعوا صورة هتلر فى مكان ظاهر مُشرِف من حجره . فإذا دخله الفرنسى ، دفعته غريزته إلى إنزال هذه الصورة من مكانها العالى ، وضرب الأرض بها ، وفى إنزالها ذهابه هو عن هذه الدنيا .

وقد تعلم اليوم المحاربون من رجال الدول المتحدة ، كيف يَنصِبون تلك الأفخاخ ، « أفخاخ المغفلين » . فمن زمن غير بعيد دخل كبير من كبراء الجيش الألمانى دار الأوبرا فى بلغراد عاصمة يوغوسلافيا وما إن دفع باب مقصورته ليفتحه ، حتى خرج من الدنيا خرجة اكتنفها ضجيج كثير . ويتعلم رجالنا أيضاً أن لا يخدعوا عن أنفسهم بتلك الفخاخ ، فهم إذا دخلوا اليوم أرض العدوّ ، لم يسرعوا ، كما كانوا يفعلون بالأمس ، إلى خوذة يجدونها ، أو إلى مسدس أو زجاجة ترموس أو جهاز تصوير ، طلباً لتذكارات من تذكارات القتال ، فطالب التذكار اليوم من ميادين القتال يموت فى الغالب قبل حينه .

ولعل القارئ يعجب إذا نحن قلنا إن تعب المهندس وبلواه قد يكونان من الألغام التى لا تنفجر . فمن بعض حيل العدو أن يَبثّ فى الأرض صوراً للألغام خرساء بين الألغام الناطقة . وهو قد يصنع تلك الصور من خشب ، ويظهرها كأصلها الصادق ، فإذا وجدها المهندس المجهود الشتت لم يجد بدا من الحذر ، فهو يصنع بها بالضبط مثل ما يصنع بغيرها ، فيضيع وقته سدى . ولكن لا مفرّ له من هذا ، فاللغم القادم قد يكون لغما صادقاً ، غيروا من ظاهره حتى بدا كالزائف . فهل تعجب بعد ذلك أن يتخذ هؤلاء المهندسون لأنفسهم تلك الحكمة التى تقول : « أول أخطائك آخرها » .

كيف تكون أفكارك سر مرضك

الزي مكورميك

ملخصة عن مجلة « يورلايف »

منذ أكثر من عشر سنوات أخذت جماعة من الأطباء البارزين في بحث التأثير الذي يحدثه العقل في الجسم . وهم يجدون الآن شواهد تفوق ما كان الأطباء يتوقعونه منها، وهي تثبت أن الأحوال العقلية يمكنها أن تحدث اضطراباً في وظائف الجسم الطبيعية ، وأن تضعف مقاومتنا للعدوى ، بل قد يبلغ من خطرها أن تحدث تغيراً ماديا في الأعضاء الحيوية . فقد درست الدكتورة فلاندرز دونبار هي وبعض زملائها في المركز الطبي المعروف باسم « كولومبيا — برسبيتريان » في نيويورك ، ١٥٠٠ مريض يشكون أمراضا مختلفة . فوجدوا أن الأصل في مرض نصف هؤلاء المرضى أو أكثر من نصفهم ، هو اضطراب عاطفي . وقد فحص أيضا الدكتور كانبي روبنسون في جامعة « جونز هوبكنز » خمسين مريضا كانوا يشكون الغثيان أو آلام المعدة ، فلم يجد علة عضوية معينة إلا في ست حالات . أما الباقون فكان مرجع عللهم إلى الهم والقلق . فإن أحد هؤلاء كانت ترجع علته إلى ما قبل سنوات حين فقد عمله وتعطل . واعترفت سيدة مريضة بأن علتها ترجع إلى اليوم الذي استمعت فيه إلى إذاعة لاسلكية في وصف سرطان المعدة.

وقليل من الأمراض ما يكشف بوضوح عن العلاقات بين العقل والجسم كما تكشفها قرحة المعدة . ففي مستشفى في نيويورك فحص الدكتور هارولد ولف عن ٢٠٥ من المرضى لكي يعرف كيف يؤثر الاضطراب العاطفي في تدفق الحمض الإيدروكلوريك ، وهو الذي يجعل حالة قرحة المعدة تتفاقم . وكان ، وهو يقوم بهذا الفحص ، يحادث المرضى في موضوعات يظن أنها ترعبهم أو تؤلمهم . وكان سيل هذا الحمض يزداد زيادة عظيمة حين كان الحديث يتجه نحو موضوع الإفلاس في التجارة أو خيبة الأمل في العمل ، وكان مقداره يتضاعف عند ذكر زوجة مغاضبة . ودرست حالات الالتهاب المعدى المخاطى في المستشفى العام في « ماساشوستس » ، فاتضح أن ٩٢

فى المائة من هذه الحالات كانت تصاحبها هموم أو توترات عاطفيـة . مثال ذلك أن أحد المرضى كان يحس هـذا الألم كل يوم وهو فى طريقه إلى عمله . فلما سئل اعترف بأن رئيسه السابق ــ وكان رجلا متسامحا ــ قد استبدل به خبير شديد المراس . وقد شفى هذا الرجل بتغيير عمله . وشفيت مريضة مما أصابها يوم اغتفرت لها أسرتها زواجها من رجل مذهبه الدينى مخالف لمذهب أهلها .

ومن المعروف منذ سنين أن الغضب يزيد ضغط الدم حتى يرتفع إلى أعلى الدرجات. والآن يظن الأطباء أن الغضب حين يختزن مدة طويلة فى النفس يحـدث حالة من الارتفاع الشـديد فى ضغط الدم ليس لها أصل عضوى واضح فى الجسم . ولهـذا الاكتشاف شأنه وخطره إذا عرفنا أن وفيات كثيرة بعـد سن الخمسين ترجع أسبابها إلى ارتفاع ضغط الدم والاضطرابات الناشئة عنه .

وفى السنوات القليلة الأخيرة درس العلماء هذه الحالات (ضغط الدم العالى)، وقد وجدوا أنها تتصف بصفات عامة واحدة . فأولئك الذين يشـكون هذه الحالة يبـدو عليهم الخوف أو التهيب ، ولـكن تحت هذا التهيب نجد فى العادة سخطاً يتأجج . وعندما يعرفون كيف يتخلصون من العاطفـة المكظومة ينخفض ضغط الدم عندهم انخفاضاً سريعاً . فقد وجد مثلا عامل حلم متواضع ينتسب إلى نقـابة عمال مشاغبـة ، وكان يشكو زيادة الضغط فى الدم طيـلة الشهور أو السنين التى يسودها السلام ، فإذا حدث إضراب زال عنـــه الضغط . وذلك لأن عاطفته المكتومة أو سخطه المدفون كانا يجد أن التفريج والتنفيس فى السباب والصخب على الذين يحاولون وقف الإضراب .

وقد اتضح أيضاً من الفحص عن مائة من المرضى بالدرن (السـل) أن أصحاب العواطف المضطربة منهم ، يسير فيهم المرض أسرع من سيره فى الذين لا يعانون مثـل هـذا الإجهاد العاطفى . وأثبت البحث أن هناك حالات كثيرة من مرض السكر قد تفاقمت بسبب صـدمة عاطفية عنيفة . وأن النوبة الروماتيزمـــية تزيد بزيادة الاضطراب الفكرى ، وأن الهموم تعجل التسوس فى الأسنان . وهناك أمراض كثيرة أخرى لا تزال قيـــد البحث والفحص ، ولـكن ما عرف حتى الآن يكفى لتخفيف كثير من الآلام التى لا ضرورة لها .

وقد عالجت الدكتوزة « دونبـار » ومعـاونوها ١٢١ مريضاً بالقلب . وكان الطبيب المعالج يقضى مدة تتفاوت بين ساعة و ٣٦ ساعة مع كل مريض يبحث معـه

المشكلات العاطفية ، ويقترح عليه طرقاً للمعيشة تهيىء له السكينة والسلام . لم تقع معجزة شفيت بها القلوب التى أثر فيها المرض تأثيراً بالغاً ، ولكن الأعراض المؤلمة انقطعت فى أكثر هذه الحالات تقريباً . وقد ثبت أن هذه النوبات القلبية لم تعاود المرضى فيما بعد ، كما دلت على ذلك تقارير تتبع سير الحالة خلال سنوات بعد الشفاء .

ومن الواجبات الجديدة التى ينهض بها الأطباء فى الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر معالجتهم للجنود الذين يشكون الحنين إلى بيوتهم وعائلاتهم .

وهنا يقول الدكتور « أدوين زابرسكى » — الطبيب النفسى سابقاً فى الفرقة التاسعة والثلاثين — : « إذا كنا نرغب فى تجنب أمراض القلب التى تفشو بين الجنود ، فإننا يجب أن نجيز لهم التحدث فى صراحة عن الخوف . فإن الخوف بين بعض الجنود يشتد حتى إن القلب يأخذ فى الخفقان كأنه مطرقة حين يشرعون فى القتال ، فيظنون أنهم جبناء لا يرجى منهم نفع . ثم يغالون فى هذا الظن فتتفاقم الأعراض حتى يبلغوا حالة من العجز لا بد معها من تسريحهم دون أن يخدش شرفهم . ولكننا إذا أفهمنا الجنود أن دق القلب هو تعبير طبيعى عن خوف له ما يسوغه فى المعركة ، فلعلهم يستنكفون حينئذ أن يتخذوا قلوبهم جوازاً يبيح لهم مفارقة الميدان إلى المستشفى » .

وقد كشفت الأبحاث الجديدة أن معرفة هموم المريض وأنواع قلقه لا تقل قيمة عن التحليل الكيميائى أو الفحص بالأشعة فى العلاج ، فلذلك أخذت بعض الكليات الطبية فى أمريكا تفرض على طلبتها دروساً واسعة فى بحث أصول المرض وعلاقتها بالحالة النفسية والعقلية . وقد صاغوا لهذا الأسلوب الجديد فى الطب اسماً مركباً من لفظين يونانيين معناهما « العقل والجسم » أى الطب العقلى الجسمى .

وقد يكون الصراع العاطفى مدفوناً بحيث يجب عرض المريض على أحد المتخصصين فى الطب النفسى ، ولكن الطبيب العادى ، ممن مرن على الأسلوب الجديد فى دراسة العلاقات بين الجسم والعقل ، يستطيع أن

يكشف عن المشكلة الكامنة حتى ولو حرص المريض كل الحرص على إخفائها عن نفسه .

وأسلوب الطبيب فى معالجة مريضه هو أسلوب الصديق المهتم بصديقه . فهو يعرف أن معظمنا يدفن مشكلات مقلقة فى الطوايا الغامضة من عقولنا ، وأن السكينة الظاهرة التى نحصل عليها إنما نشتريها بثمن هو ضعف الصحة . والطريقة التى يتبعها الطبيب فى علاجه هى تطبيق القاعدة الحديثة وهى : « إذا نحن لم نمكن عواطفنا من التعبير الصريح الظاهر ، فإن أجسامنا ستتولى التعبير عنها بما تستهلكه من لحم ودم » .

وإخراج هذه العواطف من ظلام الكتمان إلى ضوء النهار يتيح لنا فرصة نبذها قبل أن تندس وتؤذى أعضاءنا الحيوية .

وبالطبع هناك مشكلات لا يستطيع « الطب العقلى الجسمى » معالجتها . فإن كثيراً من الأمراض لا تنشأ عن حالة عقلية ، وكثيراً من الصعوبات الاقتصادية والطبيعية لا تسهل إزالتها . وفى مثل هذه الحالات يستطيع الطبيب العصرى أن يساعد المريض على أن يواجه مشكلاته ومصاعبه وأن يقبلها ، ثم يجتهد أن يوجد فى نفسه ما يغنيه عنها أو يعوضه منها . ونحن حين نكف عن الجهاد فى سبيل ما يستحيل تحقيقه نطلق الحرية للقوة التى كانت موقوفة على هذا الجهاد ، وكذلك نستطيع أن نستخدمها فى تحقيق حياة غنية بالخير ، حتى مع الصحة الضعيفة .

والطبيب العصرى على صغر سنه يستطيع أن يعالج حالات يعجز عنها الطبيب المسن من المدرسة القديمة . فقد حدث أن صبية كانت تشكو القىء المتوالى ، وعجز أطباء المدرسة القديمة عن معالجتها ، فلما عاينها طبيب جديد حديث التخرج ، وجد أن التحليل الطبى لم يثبت وجود مرض ما فى الأمعاء . فعمد إلى محادثتها فتبين من حديثها أنها مضطربة اضطراباً عاطفياً مؤلماً ، وسبب هذا الاضطراب أنها كانت تمنت فى ساعة غضب وفاة معلمتها ، وبعد ثلاثة أيام اتفق أن ماتت المعلمة بسكتة قلبية ، فاعتقدت الصبية أن تمنيها كان سبب هذه المأساة ، فأسفت أسفاً شديداً انقلب إلى اضطراب فى المعدة . فلما أقنعها الطبيب أن لا شأن لها بهذه المأساة عادت فاستردت صحتها .

وفى هذا يقول الدكتور « فرانز الكسندر » : « إن المريض أصبح الآن موضع اهتمام الطب على أنه إنسان كامل بما فيه من هموم ومخاوف وآمال ويأس ، لا على أنه مجموعة من الأعضاء » . والأطباء المجددون يحرصون الآن على معرفة طبيعة المريض ولا يقتصرون على معرفة طبيعة المرض .

« العاملون فى الخفاء » يعلمون أنهم بين ضرورة اليقظة الدائمـــة وضعف الطبيعة البشرية ، موتى ممهلون .

مَوْتَى فى إجازة

جون . ب . جانسن وستيفان ويل

ملخص من مجلة اتلانتيك الشهرية(١)

كل من يعمل فى ألمـانيا خفية على محاربة النازيين ، يعلم أنه لا يتوقع أن يعيش سوى عامين أو ثلاثة . وأمثال العاملين على ذلك يصفون أنفسهم بتعبير : « موتى فى أجازة » وبرغم ذلك كان هناك على الدوام رجال ونسـاء مستعدين للمضى فى هـــذه الحرب غير المتعادلة ومتابعتها .

واصطلاح «العمل فى الخفاء» اصطلاح مضلل ، فلست بمستطيع الإفلات من مراقبة الدكتاتورية الدقيقة الوافيـــة ، ولـكنك تستطيع أن تضلل رجال الشرطة إذا عشت — بقدر الإمكان — عيشة مألوفة جارية على العرف المتبع ، وعلى قدر ما تشابه الرجل العادى فى سلوكه وأسلوب حياته تبعد عن مواطن الشبهة . فأول قاعدة يجب أن يستمسك بها العامل فى الخفاء هى أن يعيش عيشة عادية مألوفة ، وأن يتظاهر فى شتى الأحوال بأنه يزاول عملا من الأعمال المعروفة ، وأن له علاقات عائلية مثل سائر الناس ، وله معارف وأصدقاء ومصالح وعادات .

ولـكن هذا ما يبدو على السطح وفى الظاهر ليس غير ، وكل « عامل فى الخفاء » يجب أن يفكر سلفاً فى كل حركة من الحركات التى يقوم بها ، وعليه أن يدرس

(١) جون ب. جانسن وستيفان ويل هما اسمان مستعاران لاثنين من اللاجئين السياسيين يعيشان الآن فى الولايات المتحدة . وهما يتخذان هذين الاسمين الزائفين حتى لايضار أقاربهما فى المانيا ، وجانسن كان يعمل فى صناعة المعادن عنـــد ما استولى هتلر على زمام الأمور ، وكان ويل قد أتم رسالته للحصول على إجازة فى العلوم ، وانضما إلى الحركة التى تعمل فى الخفاء ، وكانا من أعضائها العاملين سنوات عدة حتى نبا بهما المقام واضطرا إلى الهجرة . وقد اشتركا فى تأليف كتاب « الحرب الصامتة »

بعناية الأعمال الصغيرة التى يقوم بها غيره مما يعد أعمالا عادية مألوفة . وأعمال التآمر لا تستلزم شجاعة نادرة أو أعمالا مثيرة رنانة ، وإنما تتطلب سيطرة تامة على النفس .

من أمثلة ذلك أنك قد تقضى ساعتين تذرع برلين من أقصاها إلى أقصاها لكى تسلم صديقاً لك رسالة بنفسك ، مع أنك كنت تستطيع أن تبلغه مضمونها بالتليفون فى دقيقة واحدة ، أو أن تثابر على الاحتفاظ بالأشياء المحظورة التى يتناولها عملك فى منزل أوفر أمناً وأبعد عن الشبهة من منزلك ولا تخضع للإغراء الذى يزين لك إبقاء الأشياء فى منزلك خلال الليل ، لأن ذلك يجنبك ركوب عربة الترام التى تعرضك للبرد . والدؤوب على عمل أمثال هذه الأشياء يومياً دون أن تسمح لنفسك بالتفكير فى « أن هذه المرة قد لا ينجم عنها خطر » ، هو سر عمل التآمر ولبابه .

وكل عضو من أعضاء جماعتنا التى تعمل فى الخفاء لا بد أن يكون عنده تفسير مقبول مجهز لكل عمل من أعماله . وعندما كنا نحاول أن نعقد اجتماعاً كنا نغتنم فرصة أعياد الميلاد وأمثالها من المناسبات للدعوة إليه وعقده . وقد أرجأ أحد أعضاء جماعتنا حفلة عرسه أربعة أسابيع ليتمكن عضوان من الحضور إلى برلين .

ولا تستطيع أن تبدو شخصا عادياً دون أن يكون لك عمل منظم تباشره ، ولذلك أخذ أحد القادة من رجالنا يشتغل عاملا فى شركة تأمين ، وأتاح له عمله عذراً للتنقل فى مختلف أنحاء المدينة ، فإذا ما وقع فى مأزق أوضح أنه يبيع صك تأمين . واحترف عضو آخر من جماعتنا قيادة سيارات الأجرة ، وكان عمله فى الجمعية نقل الرسائل . واتخذ عضو ثالث علم الأنساب صناعة له ، وهى صناعة شائعة فى الريخ الثالث ، حيث كل إنسان عليه أن يثبت أن أسلافه من الآريين ، وكان يجد هذا النسابة سهولة فى القيام برحلات إلى الأقاليم .

وكانت هوايات أعضاء جماعتنا تتجه إلى خدمة أغراض الجمعية ، فالالتحاق بجمعيات جامعى طوابع البريد أو هواة أندية التصوير الشمسى يتيح لهم فرصة الاجتماع دون أن يثير الريب أو يستوقف الأنظار .

وإذا مرض أحد الأعضاء ، كان حرصه على التكتم لا يبيح له الاستمتاع بمزايا العلاج الممنوحة لغيره من الناس . وقد أصيب أحد أصدقائنا بالتهاب الزائدة الدودية ولكنه تذكر أنه فى مرة سابقة تحدث ساعات تحت تأثير المخدر ، وخشى أن يمشى فى هذه المرة شيئاً من أسرار الجمعية ، فلم يستطع أن يذهب إلى المستشفى ، وتحتم

علينا أن نبحث له عن طبيب نثق به ليتولى عمل العملية فى عيادته الخاصة .

وكل عامل فى الخفاء يواجه عاجلا أو آجلا موقفاً لا تسعف فيه القواعد المتبعة ، فقد يكون عليه أن يقطع برأى فى الحال أن يدخل منزلا ليحذر زميلا له أن رجال الجستابو يبحثون عنه ، وهو يعلم أن الجستابو قد يكون فى انتظاره خلف الباب . وفى أغلب الأوقات عليه أن يبت فوراً فى أن يثق بشخص معين أو لا يثق ، وفى أمثال هذه الأحوال عليه أن يسترشد بحدسه ثم يرجو الخير .

ومنا كثيرون أسعدهم التوفيق ، ففى مرة قرع الجستابو الباب الخاطىء فى شقة منزل وأمضى ساعات يفتش أوراق رجل برىء ، وسمع صديقنا المقصود الضجة واللغط وفطن لحقيقة ما يجرى وفر سالماً . وفتش أحد جنود الصدام فتاة من فتيات جمعيتنا ، وكانت تحمل كتباً محظورة ، وكانت مخبأة فى كيس من أكياس البقالة تحت قليل من البيض وخشى الجندى أن يكسر البيض فلم يهتد إلى الأوراق .

ولكنا كنا نتحاشى أن نعتمد على التوفيق فى أعمالنا جهد الطاقة ، فأقلعنا فى رسائلنا عن استعمال الحبر الذى لا يظهر . لأن كل حبر سرى ينكشف أمره عندما يعرض لبخار اليود فى فراغ ، وبدلا من ذلك كنا نستعمل التصوير الميكرسكوبى ، وأصبح كثيرون من أعضاء الجمعية من غواة التصوير الشمسى المتحمسين ، وأعدوا حجرة مظلمة فى أحد منازلهم . وتمكنا فى نهاية الأمر من أن نصور على شريط لا يتجاوز مساحته نصف قيراط فى قيراط ثمانى صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة . وبهذه الطريقة كانت تدس الرسائل الطويلة والتقارير المختلفة فى كل شىء يمكن تصوره ، وتخترق ألمانيا وتتخطى حدودها . وحدث مرة أن دست هذه الشرائط فى لعبة من ألعاب هدايا عيد الميلاد كانت مرسلة إلى طفلة صغيرة فى براج ، وحمل مرة موزع رسائلنا شريطاً مخبأً فى إسفنج حمام .

وبإخراج هذه الأخبار والمعلومات من ألمانيا ، مكن إدارتنا فى الخارج من إعداد التقارير عن حالة ألمانيا الداخلية التى كانت تذاع فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول الديمقراطية فى أوروبا .

ومن المشكلات التى واجهتنا مشكلة البحث عن رموز وعلامات بحيث لا تعرف أنها كذلك . وهناك رموز يستعصى حلها على غير العارفين بأسرارها ، ولكن رجال الجستابو ليسوا جماعة من الهواة . وبعد أشهر من المحاولة والتجربة استطعنا تحويل

معلوماتنا وأخبارنا إلى جداول من الأرقام كالتى يستعملها العلماء الطبيعيون . وكان لنا من الكسور العشرية والفواصل سجل للأسماء والعناوين فى ألمانيا وخارجها وما إلى ذلك من المعلومات كالمواعيد والمواقع التى لا غنى لنا عنها ، وكان هذا السجل مما لا يمكن حل رموزه .

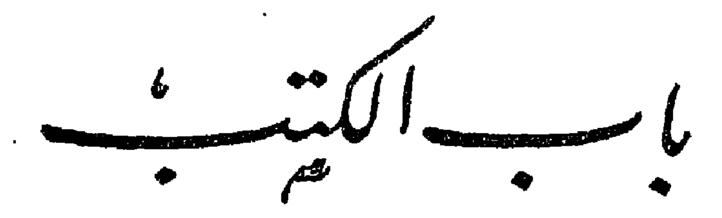
إن الجواسيس فى الروايات والقصص ، يملكون الأجهزة الكاملة والمال الوافر ، أما نحن فكنا فى حاجة دائمة إلى المال ، وكان حرصنا على التكتم يمنعنا من جمعه بالطرق العادية ، وكان أكثر الناس يخشون من أن يكون لهم أدنى اتصال بنا .

وأعظم خطر تعرض له الجمعيات السرية يأتى من الأعضاء الذين يضعفون بعد إلقاء القبض عليهم، ويتحولون إلى شهود فى جانب الحكومة . وليس فى مستطاعنا أن نتنبأ كيف يستطيع الإنسان أن يستمسك ويثبت لتعذيب الجستابو ، ومع ذلك فإن عجز أحد الأعضاء عن احتمال هذه المحنة يقضى على كثيرين من أصحابه . وقد استطاع الجستابو باستعمال التعذيب المجرد من الرحمة أن يعرف أسماء جماعات برمتها من أعواننا .

وأنت تستطيع أن تتصور الجمعية السرية المثلى ونظامها ، ولكنك لا تستطيع أن تنشىء جمعية مثلى لأنك تعمل مع أناس مستهدفين للخطأ وغير معصومين .

فقد يشعر أحد الناس بأنه من الأمن فى حرز بحيث لا يكلف نفسه عناء حفظ عنوان عن ظهر قلب ، ويعمد إلى كتابته على قطعة من الورق ، ثم يلقى عليه القبض وهو يحملها . وقد يفقد الإنسان صوابه فى المواقف الخطرة فيلقى بحقيبة حافلة بالأوراق الموجبة للاتهام فى بحيرة ، دون أن يلقى معها شيئاً ثقيلا كافياً لإغراقها ، وتقذف بعد ذلك الأوراق على الشاطىء ، وتصل إلى يد الجستابو . أو قد يحرق أحدهم مستندات مثيرة للشبهة فى موقدة وترتفع إلى المدخنة ورقة لم يتم حرقها ، وتسقط فى الطريق .

وكل منا على وجه التقريب قد شاهد أصدقاء له يذهبون إلى السجن أو يسيرون إلى الموت من جراء أخطائنا . ولا تستطيع جمعية سرية أن تفخر بأنها لم ترتكب خطأ ولم تقع فى محظور سببه ضعف الطبيعة الإنسانية ، وهذا هو أهم الأسباب التى من أجلها يعرف المشتغلون فى الجمعيات السرية أن احتمال بقائهم أحياء ، ضعيف جداً .





مدام كورى

مترجمة كتاب ايف كوري عن والدتها

« لو أضفت أقل زخرفة إلى قصة والدتى هذه ، التى تشبه الأساطير تمّ الشبه ، لكان ذلك إجراماً منى » . هذا ما كتبته إيف كورى فى مقدمة كتابها . ثم استطردت قائلة : « إنى لم أذكر حادثاً ما لم أكن مستوثقة منه ، بل لم أخترع من عندى ولا لون فستان . فقد ذكرت الوقائع على حقيقتها وأعدت العبارات المقتبسة كما قيلت .

« وإنى لأرجو أن يشعر القارئ بما كان فى مارى أندر وأعظم شأناً من عملها وحياتها ، ألا وهو بناء خلقها المتين ، تلك الصفة النفسية التى لم يتمكن الصيت الدائع ، ولا المعارضة القاسية ، من تغيير طهارتها الفذة . تلك الصفة التى حملت اينشتين على القول : « إن مارى كوري هى الشخص الوحيد ، بين جموع المشهورين ، الذى لم تفسده الشهرة » .

في خريف سنة ١٨٩١ انتظمت فتاة من المهاجرين البولنديين تدعى « ماري سكلودفسكا» في قسم دراسات العلوم بجامعة السوربون بباريس . وكثيراً ما قابل الشبان هذه الفتاة الحيية ذات الملامح العنيدة ، والتي ترتدي ملابس تدل على الفقر والخشونة ، وتساءلوا فيما بينهم: «من هي» ؟ إلا أن الجواب كان غامضاً : « هي أجنبية يصعب نطق اسمها ، تجلس دائماً في الصف الأمامي في فصول علم الطبيعة » . وكانت عيون الشبان تتبع قوامها الرشيق ، وأخيراً يتهامسون « ما أجمل شعرها ! » . وظل شعرها الأشقر ورأسها الصغير السلافي — زمناً طويلا — هما كل ما يعرف به طلبة السوربون زميلتهم الخجول .

أما هي فكان أقل ما يسترعي التفاتها هؤلاء الشبان ، لأن دراساتها العلمية استحوذت عليها ، فكانت تنكب على العمل بحرارة كحرارة المحموم، فكل دقيقة لا تنفقها على التحصيل كانت في نظرها دقيقة مضيعة .

ولما لم يسمح لها حياؤها المتناهي بصداقة الفرنسيين ، لجأت إلى الحي الذي سكنه مواطنوها ، وقد كان بذاته جزيرة بولندية مستقلة في وسط الحي اللاتيني بباريس . وهناك عاشت عيشة بسيطة منعزلة جعلتها وقفاً على الدرس والتحصيل . أما دخلها فكان أربعين « روبلا » في الشهر ، وهو ما اقتصدته من عملها مربية في بولندا ، وما يرسله إليها والدها من مبالغ يسيرة . وكان أبوها معلم رياضة وطبيعة في بولندة ؛ فمن هذا الراتب — وهو ثلاثة فرنكات يومياً — كانت توفي أجرة حجرتها ، وثمن أكلها ، ولبسها ، ونفقاتها بالجامعة .

لم تشترك ماري عمداً في مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية خارج برنامجها الدراسي ، كما امتنعت عن مجالس الأصدقاء . فعاشت عيشة تقشف ، اسبرطية ، غريبة عن طبائع البشر ، حتى لكأنها كانت تنكر أنها تستطيع أن تبرد أو تجوع . فكانت تهمل إشعال موقدها حتى لا تضطر إلى شراء فحم ، كما كانت تكتب الأرقام والمعادلات دون أن تلاحظ أن أصابعها متجمدة أو أن كتفها ترتعشان . بل كانت الأسابيع تمر دون أن تأكل شيئاً غير الخبز والزبدة والشاي ، فإذا أرادت أن تنعم بوليمة اشترت بيضتين أو قطعة من الشوكولاتة أو قليلا من الفاكهة .

ولكن سرعان ما أصيبت تلك الفتاة القوية ، التي تركت وارسو منذ أشهر قليلة ، بفقر الدم . فكثيراً ما كانت تشعر بالدوار وهي تهم بالقيام عن مكتبها ، ثم لا تلبث أن تفقد وعيها قبل وصولها إلى فراشها . فإذا ما استعادت رشدها ، وساءلت نفسها عما

أصابها ظنت أنها مريضة ، فاحتقرت مرضها كما تحتقر كل شيء يعترض عملها . إلا أنه يخطر ببالها حينئذ أن مرضها الوحيد هو افتقارها إلى الغذاء .

بيير كورى

كانت ماري قد حذفت الحب والزواج من برنامج حياتها ، واستولى عليها شغفها العلم ، فبقيت متمسكة تمسكا شديداً باستقلالها حتى بلغت السادسة والعشرين .

ثم ظهر فى الميدان بيير كورى ، وهو عالم فرنسى نابغة وقف روحه وحياته على البحوث العلمية ، وبقى غير متزوج إلى سن الخامسة والثلاثين . كان طويل القامة ، ذا يدين طويلتين مرهفتين ، ولحية كثة ، ووجه يعبر عن الذكاء النادر الممتاز .

تقابلا أولا عام ١٨٩٤ ، فى المعمل ، وسرعان ما قرب بينهما تبادل الشعور وتشابه الميول . فلقد وجد بيير كورى فى الآنسة سكلودفسكا الصموت شخصية تبعث على الدهشة . ما أغرب الحديث إلى فتاة ساحرة بلغة الاصطلاحات العلمية والتراكيب المعقدة . . . بل ما أحلاه !

تأمل بيير شعر ماري الأشقر ، وجبينها العريض المقوس ، ويديها المتاثرتين بأحماض العمل ، فحيره ظرفها الخالى من كل دلال ، فحاول بلطف وحزم أن يفوز بصداقة تلك الفتاة ، وطلب إليها السماح له بزيارتها . فاستقبلته فى غرفتها بود ، ولكن بكل تحفظ ، فانقبض قلب بيير مما رآه حوله من دلائل الفقر المدقع ، ولكنه قدر فى الوقت نفسه الانسجام التام بين خلقها ومسكنها . ففى غرفتها الخالية من الأثاث تقريباً ، وفى ملابسها الرثة ، وفى ملامحها التى تدل على شعور عميق بالحياة ، وعلى شكيمة شديدة ، ظهرت ماري أجمل منها فى أى وقت آخر .

فلم يخلبه فقط إخلاصها المتناهى لعملها ، بل شجاعتها ونبلها كذلك . فهذه الفتاة الرقيقة تحلت بأخلاق الرجل العظيم ومواهبه . وبعد أشهر قليلة طلب بيير يد ماري ، فلم تقبل هذه الفتاة العنيدة فكرة الزواج إلا بعد مضى عشرة أشهر لأنها رأت أن الزواج من فرنسى ، والتخلى عن أسرتها وبلادها المحبوبة المظلومة ، خيانة شائنة .

* * *

قضى بيير وماري الأيام الأولى من حياتهما معاً فى التجول فى منطقة « إيل دى فرانس » ، على عجلتين اشترياها بنقود قدمت إليهما هدية عند زواجهما . فتغذيا بالخبز والجبن والفاكهة ، واستراحا فى فنادق لا يعرفانها ، صادفتهما فى الطريق . وهكذا نعما بالوحدة أياماً وليالى طويلة لم ينغصها أثناءها إلا الطاقة التى تتقضيها العجلتان ،

وقليلا من المال فى الفنادق القروية . أما الشقة الصغيرة التى استوطناها أخيراً بشارع جلاسيير رقم ٢٤ ، فكانت مفتقرة إلى جميع وسائل الراحة ، كما أنهما رفضا قبول الأثاث الذى قدمه إليهما والد بيير ، فإن مارى لا تجد وقتاً لتنظيفه ! فلم تضم تلك الجدران العارية إلا بعض الكتب ، ومقعدين ، ومكتباً من الخشب الأبيض عليه رسائل فى علم الطبيعة ، ومصباح يضاء بالغاز ، وباقة من الأزهار . فلا يستطيع أجرأ زائر إلا أن ينسحب ، حين يرى نفسه أمام مقعدين لم يعد واحد منهما له . إلا أن مارى تقدمت تدريجياً فى علم تدبير المنزل فاستنبطت بعض المأكولات التى لا تحتاج إلا إلى إعداد بسيط أو التى يمكن تركها على النار مدة دون مراقبة حتى تنضج . فقبل خروجها إلى عملها كانت تضبط حرارة الموقد ضبطاً علمياً . وتترك الطعام لينضج ، ثم تعود إلى الدور الأسفل لمشاركة زوجها فى العمل . وهناك بعد ربع ساعة تضبط حرارة النار المشتعلة ، وعليها أوان تختلف كل الاختلاف عن الأوانى التى تركتها فى مطبخها.

لم تختلف السنة الثانية من زواجهما عن السنة الأولى ، لولا حالة مارى الصحية التى تأثرت بحملها . ومع أن مدام كورى كانت تحب كثيراً أن ترزق طفلا ، إلا أنها ضجرت من مرضها وعجزها عن الوقوف فى المعمل لدراسة مغنطيسية الصلب .

وقد يظن أن حالة مارى الصحية خففت من حماسة بيير ، وحملته على قضاء صيف هادئ معها ، ولكنهما اندفعا بطيش كطيش الحمق فقاما برحلة إلى بريست على عجلتيهما ، وهى فى الشهر الثامن من شهور حملها ، فقطعا فى رحلتهما مسافات بعيدة كعادتهما . ولقد صرحت مارى بعد ذلك أنها لم تشعر بتعب ما ، كما تملك بيير شعور غامض بأن زوجه خارقة للطبيعة فلا تخضع للقوانين البشرية . ولكن سرعان ما اضطرت الزوجة إلى أن تقطع رحلتها ، برغم شعورها أن فى ذلك إذلالا لها ، وعادت إلى باريس حيث وضعت ابنتها الأولى إيرين ، تلك الطفلة الجميلة التى فازت بجائزة نوبل سنة ١٩٣٤ (مع زوجها الأستاذ جوليو) .

لم تخطر ببال مارى فكرة الاختيار بين الأسرة وبين الحياة العلمية . ومع أنها عنيت بأمور المنزل ، وشؤون كريمتها ، وإعداد الطعام ، إلا أنها فى الوقت نفسه واصلت عملها فى معملها الحقير ، ذلك المعمل الذى توصلت فيه إلى اعظم اكتشاف فى العلم الحديث .

كشف الراديوم

فى نهاية عام ١٨٩٧ كانت مارى قد فازت بدرجتين جامعيتين ، وزمالة ، ووضعت

رسالة فى مغنطيسية الفولاذ المسقى ، وكان مرماها التالى هو نيل درجة الدكتوراه . وبينما كانت تفكر فى موضوع تختص فى بحثه، استرعت نظرها نشرة حديثة للعالم الفرنسى هنرى بيكرل . أما بيكرل فكان قد كشف أن أملاح الأورانيوم أطلقت إطلاقاً ذاتياً أشعة لم تعرف ما هيتها . وضع مركب الأورانيوم على لوحة للتصوير الضوئى محيط بها ورق أسود فوجد أنه يترك أثراً على اللوحة بعد اختراق ذلك الورق . فكانت مشاهدة بيكرل هذه المشاهدة الأولى لتلك الظاهرة التى اسمتها مارى بعد ذلك بالنشاط الإشعاعى ، إلا أن طبيعة الإشعاع وأصله بقيا سراً غامضا .

فتن آل كورى بكشف بيكرل، وتساءلا عن مصدر الطاقة المنبعثة من مركبات الأورانيوم فى هيئة إشعاع ، ففتح لهما هذا السؤال باباً واسعاً للبحث، بل قفز بهما قفزة نحو مملكة مجهولة ، إلا أنهما واجها فى الوقت نفسه صعوبة الفوز بمكان موافق للمضى فى أبحاثهما فيه . وأخيراً منحت مارى ، بفضل مدير مدرسة الطبيعة التى كان بيير مدرساً فيها ، استعمال غرفة أرضية رطبة كانت تخزن فيها الماكينات المنبوذة .

لم يكن المضى فى البحث العلمى فى هذا الجحر بالأمر الهين . فالحالة الجوية فيه أضرت بالآلات الحساسة الدقيقة كما أضرت بصحة مارى ، غير أنها لم تعر هذا الأمر اهتماماً ما ، فكلما شعرت ببرودة الجو انتقمت لنفسها منها بتدوين درجة البرد فى جدولها !

وكلما زادت مارى تعمقاً فى دراسة كنه أشعة الأورانيوم ، زادت اعتقاداً أنها الأولى من نوعها . وبعد أن قامت بتلك المهمة الشاقة ، مهمة امتحان جميع الأجسام الكيميائية ، وجدت أن مركباً من عنصر آخر هو عنصر الثوريوم أطلق إطلاقاً ذاتياً أيضاً أشعة تشبه الأشعة التى يطلقها الأورانيوم . هذا فضلا عن أن النشاط الإشعاعى فى كلتا الحالتين كان أقوى مما كان ينتظر ، بالقياس إلى مقدار الأورانيوم أو الثوريوم الذى فى الجسم الذى أطلق ذلك الإشعاع .

فما مصدر ذلك الإشعاع غير العادى ؟ لم يكن هناك إلا جواب واحد . لابد من أن تكون هذه المواد محتوية على مقادير صغيرة من عنصر أقوى فى نشاطه الإشعاعى من الأورانيوم والثوريوم . ولكن ما هو ذلك العنصر ؟

كانت مارى فى تجاربها قد امتحنت جميع العناصر المعروفة ، ولم تجد بينها رداً على سؤالها . فلا بد للعالم إذن أن يجيب بتلك

الجسارة الفذة التى تتصف بها العقول الكبيرة : « إن تلك المواد تحوى عنصراً غير معروف إلى الآن ، وهو يمتاز بهذا النشاط الإشعاعى العجيب » .

عنصر جديد ! نظرية خلابة ! ولكن لا بد من كشف القناع عن تلك المادة المجهولة ، حتى تتمكن من أن تعلن وهى واثقة : « ها هى ذى ! » .

وبعد أن تتبع بيير كورى باهتمام كبير تقدم زوجه السريع فى تجاربها ، انضم إليها لمساعدتها صادفاً عن بحوثه الخاصة . فتعاون الآن عقلان وأربع أيد فى الكشف عن ذلك العنصر المجهول، فى تلك الغرفة الصغيرة الرطبة ، ثم دام هذا التعاون ثمانية أعوام كاملة ولم ينهه إلا حادث أليم .

بدأ بيير ومارى بحثهما بفصل كل عنصر من العناصر الداخلة فى مادة البتشبلند ، وهو ركاز الأورانيوم ، ثم عملا فى قياس نشاطه الإشعاعى فتوصلا إلى أن هناك عنصرين لا عنصراً واحداً يتصفان بالنشاط الإشعاعى . وفى شهر يوليو من عام ١٨٩٨ أعلنا اكتشاف أحد هذين العنصرين ، وقد سمته مارى « بولونيوم » تيمناً باسم بلادها المحبوبة بولندة .

وفى ديسمبر من عام ١٨٩٨ أعلن آل كورى كشف العنصر الآخر الذى سمياه «الراديوم» ، وهو يتصف خاصة بأن نشاطه الإشعاعى عظيم للغاية .

العبقرية فى سقيفة

لم تتفق الصفات الخاصة بالراديوم مع كثير من النظريات العلمية التى قبلها العلماء مدى مئات السنين ، فلذلك كان موقف علماء الطبيعة إزاء الكشف الجديد موصوفاً بالتحفظ الشديد . أما علماء الكيمياء فكانوا أكثر تحفظاً منهم ، لأن الكيميائى بطبيعته لا يسلم بوجود عنصر جديد إلا بعد أن يراه ، ويختبره ، ويمتحن تأثير الأحماض فيه ، ويقرر وزنه الذرى .

أما الراديوم فلم يره أحد ولم يقرر وزنه الذرى بعد . فلكى يبرهن آل كورى على وجود هذين العنصرين — البولونيوم والراديوم — تعين عليهما العمل المتواصل مدى أربع سنوات . ومع أنهما كانا قد توصلا إلى طريقة عقدا عليها أملهما فى فى فصل الفلزين الجديدين ، إلا أن مهمتهما الجديدة اقتضت استخدام مقادير وافرة من المواد الخام ، لاستخراج دقائق من هذين العنصرين .

كان ركاز الأورانيوم الذى يحوى عنصرى البولونيوم والراديوم يعالج فى مناجم سنت جواشمتسال ببوهيميا ، لتستخرج منه أملاح الأورانيوم المستعملة فى عمل الزجاج .

وقد كان هـذا الركاز غالى الثمن ، إلا أن آل كورى توصلا ببحثهما إلى أن استخراج الأورانيـوم منه يترك عنصرى البولونيوم والراديوم بغير نقصان فى الفضلات ، فلم لا يستخدمان هذه الفضلات التى لا قيمة لها ؟

وفازا من الحكومة النمساوية بطن من فضلات ركاز الأورانيوم ، وبدأ عملهما فى سقيفة مهجورة بجوار الغرفة التى أجرت فيها مارى تجاربها الأولى . أما هذه السقيفة الجديدة فكانت تستخدمها كلية الطب قديماً حجرة للتشريح ، إلا أنها عادت لا تصلح حتى لحفظ الجثث ، إذ كانت عارية من البلاط ، خالية من الأثاث ، لولا طاولات مطبخ قديمة ، وسبورة ، وموقد غاز قديم من الحديد الصلب .

كانت هذه السقيفة خانقة فى الصيف ، كما أنها فى الشتاء مثل المنطقة الثلجية فى بردها برغم إشعال الموقد بها ، إلا أنهما لم يستعملاها كثيراً بل أجريا أغلب تجاربهما فى الخلاء ، لافتقارها إلى المداخن الصارفة للغازات الخانقة .

وقد كتبت مدام كورى بعد ذلك قائلة : « إن أسعد سنوات حياتنا وأفضلها هى تلك التى قضيناها فى هذه السقيفة التعسة ، حيث وقفنا كل وقتنا على العمل . فكثيراً ما قضيت أياماً كاملة وأنا أحرك بعض المواد ، وهى تغلى ، بهراوة من الحديد يقرب وزنها من وزنى . فإذا ما أتى المساء شعرت بأنى منهوكة القوى تماماً » .

وعلى هذا المنوال استمر الأستاذ كورى وقرينته فى عملهما من عام ١٨٩٨ إلى عام ١٩٠٢ . وقد كانت مارى — وهى تعمل فى صحن تلك الدار ، بملابسها الرثة الملوثة بالأحماض ، وشعرها المنثور تداعبه الريح ، يحيط بها الدخان الكثيف الخانق — كانت مارى وحدها عبارة عن معمل كامل . وقد كتبت مرة تقول : « وصل بى الأمر أن اشتغلت بمقدار من المواد يبلغ وزنه عشرين كيلو جراماً فى وقت واحد ، مما اضطرنى إلى ملء الحجرة بأوعية السوائل والرواسب . ولقد كان حمل تلك الأوعية وصب السوائل منها ، وتحريك المواد المغلاة منها فى حوض الصهر ساعات طويلة ، عملا مضنياً حقاً » .

وامتدت أيام العمل أشهراً ، وانعقدت الأشهر سنوات ، غير أن ذلك لم يثبط من همة بيير ومارى . وكانا أحياناً يتركان أجهزتهما مدى لحظات قليلة ، فينتقلان فى حديثهما عن الراديوم المحبوب من البحث فى ناحيته الفائقة إلى التحدث فى الأمور الصبيانية المتعلقة به .

ففى أحد الأيام سألت مارى بحماسة

وتشوق تقربان من حماسة الطفل الموعود بلعبة جديدة : « ترى ما يكون شكله ! وبأية هيئة تتصوره يابيير ؟ » .

فأجاب العالم بلطف : « لا أدرى ! ولكنى أتمنى أن يكون لونه جميلا » .

وإذ مضت مارى فى معالجة الطن من ركاز الأورانيوم الذى أرسل إليها قدراً بعد قدر ، امتلأت الطاولات القديمة فى حجرتها بمواد زاد فيها تركيز الراديوم زيادة مطردة ، وحين أشرفت على الدور النهائى ، دور تنقية السوائل ذات النشاط الإشعاعى القوى عاقها عن العمل افتقارها إلى الأجهزة اللازمة والاستعداد الكافى . ففى هذه السقيفة المعرضة للرياح ، اختلطت ذرات الحديد والفحم المتناثرة بالمواد المنتقاة التى اقتضت تنقيتها منها عناءاً كبيراً ، فانقبض قلب مارى من تلك الحوادث اليومية التافهة التى استنفدت كثيراً من وقتها ومجهودها .

وهنت عزيمة بيير أمام هذه العقبات المستمرة وفكر فى اعتزال العمل وقتاً ما لعل الأيام تهيىء لهما أحوالا أصلح للبحث العلمى .

إلا أنه فى تفكيره هذا لم يحسب لأخلاق مارى حساباً . فلقد أرادت مارى فصل الراديوم عن المواد الأخرى ، وإنها لفاعلة ذلك ، مستخفة بالمتاعب والمشاق ، غير آبهة لما يعوزها من المعارف لإنجاز عملها . كانت عالمة حديثة العهد بالأساليب العلمية ، وكثيراً ما صادفتها ظواهر طبيعية وعمليات حسابية لم تعرف عنها إلا القليل ، فاضطرت إلى دراستها دراسة عاجلة حتى تتمكن من مجابهتها .

وفى عام ١٩٠٢ ، بعد انقضاء خمسة وأربعين شهراً على اليوم الذى أعلن فيه آل كورى فرض وجود عنصر الراديوم ، تمكنت مارى من إحراز النصر بعزيمة وإصرار يفوقان صفات البشر ، إذ توصلت إلى إعداد ديسجرام من الراديوم النقى ، كما تمكنت من تقرير وزنه الذرى . فما كان للكيميائيين مفر من أن يطأطئوا الرأس أمام الوقائع ، ويعترفوا بوجود الراديوم .

حياة شاقة

ومما يؤسف له أنه كان أمام آل كورى نضال غير نضالهما مع الطبيعة فى معملهما . فلقد كان مرتب بيير شهرياً بمدرسة علم الطبيعة خمسمائة فرنك فقط ولذلك اضطربت الميزانية البيتية حين اضطرا إلى استخدام مربية بعد مولد إيرين ، فكان لا بد من البحث عن موارد أخرى .

وفى سنة ١٨٩٨ خلا كرسى أستاذ الكيمياء الطبيعية بجامعة السوربون ، فقرر بيير أن يطلب تعيينه فيه . فعلى أن مرتبه فيه كان عشرة آلاف فرنك ، كانت ساعات التدريس المخصصة له أقل من ساعات التدريس

بالمدرسة ، إلا أن طلبه رفض . ولم يتمكن من الوصول إلى مرتبة أستاذ إلا فى سنة ١٩٠٤ ، بعد أن اعترف العالم كله بمكانته العلمية العالية . أما حينئذ فقد اضطر إلى قبول منصب درجته أقل من درجة المنصب الشاغر بالسوربون ، حيث رضى أولو الأمر كل الرضا أن يعهدوا إليه فى تعليم بعض العلوم ذات المقام الثانوى ، مما يستغرق كل يومه . وفى الوقت نفسه حصلت مارى على منصب مدرسة فى مدرسة للبنات بالقرب من فرساى.

توصل الآن آل كورى إلى موازنة ميزانيتهما ، إلا أنهما أثقلا كاهلهما بالعمل المضنى فى الوقت الذى احتاجا فيه إلى كل قواها لمواصلة تجاربهما فى النشاط الإشعاعى. فحاول أصدقاء بير جهدهم أن يقربوه من ذلك المقام الذى يصعب الوصول إليه ، ألا وهو منصب أستاذ ، فخطر لهم أن عضويته فى أكاديمية العلوم لا بد أن ترفع من شأنه ، ولذلك اقترحوا عليه أن يرشح نفسه لها فى سنة ١٩٠٢ . فتردد أولا ثم سلم غير راض ، لأنه كان يثقل عليه القيام بالزيارات المعتادة لأعضاء الأكاديمية ، والكلام عما أحرزه من شرف ، وما قام به من جلائل الأعمال ، بل إنه وجد أنه يتعذر عليه بتاتاً القيام بهذه المهمة . فنتج عن ذلك أنه قام بالزيارات ولكنه امتدح منافسه المسيو أماجا ....

فاختار أعضاء الأكاديمية المسيو أماجا .

بعد مدة قصيرة أبى بير قبول وسام اللجيون دونور ، لأنه ظهر له أنه من بواعث السخرية أن يقدم إلى عالم أوصدت أمامه أبواب العمل ، صليب مغشى بالميناء ومربوط بشريط أحمر من الحرير ، وذلك على «سبيل التشجيع » ! !

ومضى آل كورى فى التعليم بروح طيبة ، وبدون تذمر ، باذلين جهدهما فى تأدية الواجب عليهما . ولانهما كهما الشديد فى عملهما ، بين تعليم وإجراء تجارب علمية ، نسيا حاجتهما إلى الطعام والنوم ، بل تماديا فى حماقتهما هذه حتى أساءا إلى نفسهما وإلى صحتهما . فكثيراً ما كان يضطر بير إلى الإسراع إلى فراشه من جراء ألم شديد فى فخذيه . أما مارى فتمكنت بصلابة أعصابها من المقاومة ، ومع ذلك فقد أفزع أحد أصدقائها شحوب وجهها وهزاله . وكذلك تقدم النشاط الإشعاعى ونما ، بينما كان يضنى تدريجيًّا العالمين اللذين وهباه الحياة .

قرار « لا قيمة له ! »

هذا الراديوم العجيب ! عند ما حضر كلوريداً ، ظهر مسحوقاً أبيض عادياً يشبه ملح الطعام تمام الشبه . إلا أن خواصه مدهشة حقاً ، فإشعاعه فاق فى شدته غاية ما يمكن توقعه ، حتى كان أقوى من إشعاع

الأورانيوم مليونى مرة ، فاخترقت أشعته أقسى المواد وأعسرها اختراقاً ، ولم تحجبها إلا ستارة كثيفة من الرصاص .

أما أحدث أعاجيبه وأعمقها أثراً فهى التمكن من الاستعانة بالراديوم فى كفاح السرطان . وهكذا ثبت أن الراديوم نافع ، أى أن كشفه لم يقتصر شأنه الخطير على الناحية التجريبية فقط ، بل تعداها إلى إنشاء صناعة جديدة .

وعند ما عرفت قيمة الراديوم الطبية نشطت حركة فى مختلف البلدان ، ولا سيما فى بلجيكا وأمريكا ، لاستغلال الركاز الغنى بالنشاط الإشعاعى ، ولكن العلماء لم يتمكنوا من استخراج هذا « الفلز العجيب » منه ، لجهلهم سر العمليات الدقيقة اللازمة لذلك .

شرح بيير هذه المسألة لزوجه فى صباح أحد ما عقب قراءته رسالة وصلته من بعض أرباب الصناعات بالولايات المتحدة الأمريكية الذين يريدون استخراج الراديوم ويطلبون منه تزويدهم بالمعلومات اللازمة .

. فقال لها بيير : « أمامنا طريقان يمكننا اختيار أحدهما . فإما أن نشرح لهم نتيجة بحثنا دون تحفظ ، بما فى ذلك عملية تنقية الراديوم . وإما . . . . »

وهنا أشارت مارى إشارة ميكانيكية تدل على الموافقة وتمتمت : « نعم طبعاً » .

ثم مضى بيير فى حديثه :

« وإما أن نعد أنفسنا مالكى الراديوم أو بعبارة أخرى « مخترعيه » ، ونسجل طريقة معالجة ركاز البتشبلند ، فنحتفظ لأنفسنا بامتياز صناعة الراديوم فى العالم كله » .

تأملت مارى بضع ثوان ثم قالت : « هذا مستحيل ، لأنه يتعارض مع الروح العلمية » . فانفرجت أسارير بيير ، ولكنه استطرد إراحة لضميره وهو يضحك ضحكاً لطيفاً ، مشيراً إلى الأمر الوحيد الذى عزت عليه التضحية به : « ويمكننا حينئذ أن نمتلك معملا كامل المعدات » . أما نظرة مارى فلم تتغير ، لأنها ثبتت على رأيها وهو رفض الربح المادى : « إن علماء الطبيعة ينشرون دائماً بحوثهم كاملة . فإذا كان كشفنا له فائدة تجارية فهذا عارض يجب ألا نستفيد منه . وحيث إن الراديوم سيستخدم لمعالجة الأمراض ، فيجب ألا نستغله » .

لم تحاول أن تقنع زوجها ، لأنها وثقت بأنه ذكر أمر ملكية الكشف على سبيل الاحتياط فقط . فالكلمات التى فاهت بها بثقة تامة كانت تعبر عن شعورهما كليهما ، عن رأيهما الصادق فى مكان العالم فى الحياة .

ثم أضاف بيير وكأنه يقرر أمراً لا قيمة له : « سأكتب هذه الليلة إلى الخبراء

الأمريكيين ، وأزوّدهم بالمعلومات التى طلبوها منى » .

وبعد ربع ساعة من هذا الحديث القصير فى صباح الأحد ، قام بيير ومارى بنزهة على عجلتين فى الغابات ، بعد أن اختارا إلى الأبد بين الفقر والغنى .

وفى المساء رجعا منهوكين ، وأذرعهما ملأى بأوراق الحقول وأزهارها !

المجد

والآن بدأت مقدمة تلك القطعة الموسيقية الرائعة التى سرعان ما بلغت أوجها . ففى يونيو من سنة ١٩٠٣ ، دعا المعهد الملكى بلندن بيير لكى يحاضر فيه فى موضوع الراديوم ، وتبع ذلك سيل من الدعوات لحضور الحفلات والولائم، لأن لندن بأسرها تاقت إلى مشاهدة « والدى الراديوم » .

تحمل آل كورى هذه الحفاوة مدة أيام قليلة بشىء من التململ ، ثم رجعا إلى مسكنهما الصغير . ولكن الإنجليز السكسون متصفون بالولاء لمن يعجبون به .

ففى نوفمبر سنة ١٩٠٣ منحت الجمعية الملكية بلندن بيير ومارى مدالية داف ، وهى من أسمى أوسمتها .

وكانت بلاد السويد هى التالية فى الاعتراف بفضلهما . ففى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٣ اعلنت أكاديمية العلوم بستوكهلم أن جائزة نوبل لعلم الكيمياء فى تلك السنة قد قسمت مناصفة بين هنرى بيكرل من ناحية ، ومدام كورى وزوجها من الناحية الأخرى ، لكشفهم النشاط الإشعاعى .

كانت قيمة جائزة نوبل هذه سبعين ألفاً من الفرنكات ، ولم يكن قبولها « يتعارض مع الروح العلمية » . فكانت فرصة عظيمة الآن لإنقاذ بيير من ساعات التدريس الطويلة ، ولرعاية صحته .

ويوم قبضا تلك النقود أفاضا الهدايا والقروض على أخى بيير وأخت مارى ، والهبات للجمعيات العلمية ، والعطايا لبعض الطلبة البولنديين، ولإحدى صديقات مارى منذ طفولتها . وأعدت مارى حماماً متقناً فى بيتها الصغير ، وأثثت غرفة بسيطة . ولكن لم يخطر لها قط أن تحتفى بشراء قبعة جديدة . ومضت فى مزاولة التعليم مع أنها أصرت على أن يعتزل بيير عمله بمدرسة الطبيعة .

ذاع صيتهما ، وتكدست طاولتهما بأكوام الرسائل البرقية ، ونشرت عنهما آلاف المقالات فى الجرائد ، وتلقيا مئات الطلبات للحصول على إمضائهما أو صورتهما وكثيراً من الخطابات من المخترعين ، وكثيراً من الأشعار فى مدح الراديوم . ولقد وصل الأمر بأحد الأمريكيين أن طلب السماح له بتسمية فرس للسباق باسم مارى . ولكن

سوء تفاهم مستديم فصل بين آل كورى وبين الجمهور الذى أعارهما التفاته الآن . فلقد وصلا إلى لحظة مؤلمة جداً فى حياتهما ، إذ كانا فى حاجة إلى التفرغ للعمل ليتمما رسالتهما التى لم تنته بعد ، على حين أن ذيوع الصيت لم يحسب حساباً ما لذلك . ذلك بأن الصيت يطغى على العظماء بحمله الثقيل ، ويحاول أن يعوق تقدمهم غير عابئ بالمستقبل الذى يجاهدون له .

إن منحهما جائزة نوبل أنالهما من الصيت الذائع ما حمل الملايين على حساب كشف النشاط الإشعاعى ، الذى لم يتجاوز بعد دور الطفولة ، ضمن الانتصارات المحققة . بل إن كثيرين شغلوا أنفسهم بالتدخل فى حياة هذين الزوجين الخاصة التى تقرب من الأساطير ، فسلبوهما الكنز الوحيد الذى اعتزا بالاحتفاظ به ، ألا وهو التأمل والهدوء .

وعلقت مارى على ذلك ، بما كتبته فى ربيع سنة ١٩٠٤ :

« ... ضوضاء مستمرة . فالقوم يلهوننا عن عملنا ، ولذلك اعتزمت على التسلح بالشجاعة ورفض مقابلة الزائرين ، ولكنهم يصرون على إزعاجنا . لقد أفسد علينا الصيت حياة العمل الهادئة التى كنا نحياها » .

ولقد تألمت مارى بنوع خاص من الدور الذى انتظر العالم أن تمثله ، لأن طبيعتها لم تتفق مع المظاهر التى تقتضيها الشهرة من الاندماج فى الحياة الاجتماعية ، والصداقة المتكلفة ، والقسوة فى المعاملة أحياناً ، وادعاء التواضع أحياناً أخرى .

فالحادثة التالية ، من آلاف الحوادث مثيلاتها ، تبين جلياً موقف آل كورى من حماسة الجمهور واهتمامه بهما . فبينما كانا يتناولان الطعام مرة بقصر الأليزيه مع الرئيس لوبيه وقرينته ، سألت مدام لوبيه مارى قائلة : « هل ترغبين فى أن أقدمك إلى ملك اليونان ؟ » .

فأجابت مارى بكل بساطة وأدب وإخلاص : « لا أرى جدوى من ذلك » .

ولكنها لاحظت حينئذ دهشة السيدة التى تكلمها ، فامتقع وجهها وقالت مستدركة كلامها : « ولكن . . . ولكن . . . بالطبع أعمل مايسرك . كل شىء يسرك » .

وقد كان يجب على الصيت الذائع الذى أنزل بآل كورى كثيراً من النكبات ، أن يأتيهما بشىء من البركات مثل مقام الأستاذية ، ومعمل يليق ببحثهما ، وفريق من العلماء للتعاون معهما . ولكن متى تأتى هذه النعم ياترى ؟

الاثنان معاً

لما حلت نهاية حمل مارى الثانى فى

سنة ١٩٠٤ ، كانت منهوكة القوى لطول المدة التى لازمت فيها فراشها ، وهى فى حالة تعب شديد . وأخيراً فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٤ ولدت طفلة سمينة يعلو رأسها شعر كث وهى إيف(١) . ولكن سرعان ما عادت مارى إلى عملها بالمدرسة والعمل . حاول آل كورى كالمعتاد الامتناع عن الظهور كثيراً فى المجتمعات ، ولكنهما لم يجدا بداً من حضور الحفلات الرسمية لتكريم العلماء الأجانب . ففى هذه الحفلات فقط كان بيير يلبس سترته الطويلة الرثة ، ومارى فستان السهرة الوحيد الذى امتلكته .

فهذا الفستان الذى احتفظت به مارى سنين طويلة ، مستعينة بإحدى الخياطات من وقت لآخر على تغييره بعض الشىء ليوافق الزى المتبع ، كان من الحرير « الجرينادين » الأسود . ولا غرابة إذا كان موضع احتقار أية سيدة عادية ، أما مارى فقد أوجدت لنفسها ، بما اتصفت به من الاتزان والتحفظ ، زياً خاصاً ملائماً للابسها . بل لقد ظهرت بمظهر فاتن حقاً حين صففت شعرها الأشقر ، وعقصته فوق رأسها ، وتحلت بعقد لطيف من الذهب صياغته فى غاية الرقة ، فتجلى ما فى جسمها النحيف ووجهها من جمال وفتنة .

(١) مؤلفة هذه السيرة .

وفى إحدى هذه الحفلات تمتم بيير قائلا :

« إنه من المؤسف حقاً عدم حضورنا الحفلات ، فملابس السهرة تناسبك جداً » . ثم أضاف فى حسرة : « ولكن يعوزنا الوقت لها » .

وانتخب بيير أخيراً فى ٣ يوليه سنة ١٩٠٥ عضواً فى الأكاديمية ، ولكن مع ذلك نال منافسه اثنين وعشرين صوتاً . وفى السنة نفسها أيضاً عينته السوربون فى منصب أستاذ للطبيعة . فتحققت جميع آماله ، إلا الحصول على معمل وافر المعدات للبحث .

وبقيت أمام مارى ثمانى سنوات كاملة أخرى قبل تمكنها من وضع أجهزة النشاط الإشعاعى فى معمل لائق بها ، ذلك المعمل الذى لم يسعد الحظ بيير برؤيته . فبقيت طول عمرها منغصة العيش متألمة ، لأن زوجها حرم تحقيق الأمنية المفضلة على جميع أمانيه .

فى ١٤ أبريل من سنة ١٩٠٦ كتب بيير يقول : « إننا نعمل معاً ، أنا ومدام كورى ، لنقيس بالضبط مقدار الإشعاع الذى ينطلق من الراديوم .

« وقد يبدو هذا أمراً هيناً ، ولكننا قضينا الشهور فى بحوثنا ، والآن فقط بدأنا نصل إلى نتائج منتظمة » .

« إننا نعمل معاً أنا ومدام كورى ... » تلك الكلمات التى خطها بيير قبل موته

بخمسة أيام فقط ، فعبر أحسن التعبير عن طبيعة اتحاد جميل وثيق ، ما كانت الحوادث لتنال منه أى منال .

فكل تقدم فى العمل ، سواء أفوزاً كان أم إخفاقاً ، كان مدعاة لتعزيز تلك الرابطة القوية بين الزوجين وتوثيقها . فبين هذين الندين اللذين أعجب أحدهما بالآخر إعجاباً كبيراً ، نشأت زمالة قوية كانت أسمى تعبير عن حبهما العميق .

وحيدة

حوالى منتصف الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس ١٩ ابريل سنة ١٩٠٦ ، فى يوم قاتم ممطر ، ودع بيير زملاءه أساتذة كلية العلوم بعد أن تغدى معهم ، وخرج إلى شارع دوفين وحاول عبوره دون أن يلتفت إلى عربة نقل قادمة . فلما رآها وقف مذهولا وحاول الإمساك بصدر الجواد الذى يجرها ، فتراجع الجواد إلى الوراء ، إلا أن بيير تزحلق على الأرض المبتلة ، ومرت عليه تلك العربة الضخمة المحملة بستة أطنان من البضاعة ، فسحقت جمجمته برغم محاولة السائق أن يوقفها . فرفع رجال البوليس ذلك الجسم الدافئ الذى فارقته الحياة فى أسرع من لمح البرق .

الآن الساعة السادسة مساء ، ومارى ملأى بالبهجة والحياة ، واقفة بباب المنزل تستقبل ضيوفاً وافدين ، ولكنها لاحظت فى نظراتهم وسلوكهم عطفاً خاصاً . فوقفت مارى جامدة ، قليلة الحركة ، بعد أن رووا لها وقائع الحادث . وبعد صمت طويل فاهت بهذه الكلمات :

« أحقاً إن بيير قد مات ؟ مات ؟ مات حقاً ! » . ومنذ اللحظة التى سجل فيها عقلها تلك الكلمات الثلاث « بيير قد مات » غدت مارى امرأة حزينة ، وحيدة لا تعزى

وبكلمات قليلة طلبت نقل جثة بيير إلى المنزل ، ثم طلبت إلى إحدى صديقاتها أن تأخذ إيرن وإيف إلى بيتها ، وبعثت رسالة برقية إلى والدها بوارسو . وبعدئذ خرجت إلى الحديقة وجلست صامتة ، ساكنة ، محدقة فى غير وعى ، ممسكة برأسها بين يديها تنتظر وصول زميلها .

أدخلت النقالة ببطء من الباب الضيق إلى غرفة بالدور الأرضى بالمنزل ، فبقيت مارى بعض الوقت وحدها مع زوجها وهى تقبله ، وما زال جسمه ساخناً . بقيت هكذا إلى أن أخرجت بالقوة من الغرفة ، حتى لا تشاهد الجثة عند لفها بالأكفان . أطاعت دون التفات ، ولكن سرعان ما تنبهت أنها بخروجها من الغرفة قد حرمت تلك الدقائق القليلة الباقية ، فهرولت إلى الداخل إلى جانب جثة زوجها .

وبعد موت بيير وانقضاء المأتم ، عرضت الحكومة رسمياً على زوجه أن تمنحها هى طفلتيها معاشاً ، فأبت مارى مجيبة بشجاعتها المعتادة : « لست بحاجة إلى معاش ، فأنا صغيرة السن ، وأستطيع أن أعمل لكسب عيشى أنا وطفلتى » .

وفى ١٣ مايو سنة ١٩٠٦ قرر مجلس كلية العلوم بالسوربون بإجماع الأصوات إسناد منصب بيير فى السوربون إلى مارى . وكان إسناد هذا المنصب إليها أول مرة أسند فيها منصب فى التعليم العالى إلى امرأة . وبعد أن أصغت مارى ، وهى ذاهلة عن نفسها ، إلى كلام حميها فى أن الواجب عليها يقضى بقبول هذا المنصب لتتم رسالتها، أجابت بهذه العبارة القصيرة : « سأحاول ذلك » .

حل ميعاد محاضرتها الأولى بالسوربون فملأت الجماهير بهو المحاضرات ، وازدحمت بالدهليز والميدان ، وامتدت الأعناق فى انتظار مدام كورى ، وبدأ القوم يتساءلون : ما تكون أولى كلماتها ياترى ؟ هل تبدأ بشكر وزير المعارف أو الجامعة ، أو تذكر شيئاً عن بيير كورى ؟ لا بد أن تذكر شيئاً عنه فقد جرت العادة أن يبدأ الأستاذ الجديد محاضرته الأولى بالثناء على سلفه ...

وفى منتصف الساعة الثانية فتح الباب الخلفى ، وتقدمت مارى كورى إلى المنصة فى عاصفة من التصفيق . أحنت رأسها تحية للجمهور ، ولكن حركتها كانت جامدة بعض الشىء . ثم بقيت واقفة حتى هدأت العاصفة ، ثم تطلعت مارى إلى الأمام وقالت : « متى فكر المرء فى التقدم الذى أصابه علم الطبيعة فى السنوات العشر الأخيرة ، أخذته الدهشة من مبلغ ما طرأ على أفكارنا من التغيير بشأن الكهربائية والمادة ... » . وهكذا وصلت مدام كورى ، بهذه العبارة ما انقطع من الكلام فى نفس الموضوع الذى عالجه بيير كورى قبل مصرعه ، فاغرورقت عيون الحاضرين وسالت الدموع على وجوههم ، وبعد أن انتهت من محاضرتها خرجت من الباب الصغير بنفس السرعة التى دخلت بها .

انتصارات وتجارب

ذاع صيت مدام كورى ومنحت كثيراً من الدبلومات ودرجات الشرف من الأكاديميات الأجنبية . ومع أن أكاديمية العلوم أبت أن تشرفها بعضويتها — إذ أخطأها صوت واحد فأخفقت فى الانتخاب — إلا أن السويد كافأتها بجائزة نوبل لعلم الكيمياء فى سنة ١٩١١ ، وهذه هى المرة الوحيدة التى منحت جائزة نوبل مرتين لأى رجل أو امرأة فى العالم .

بعد ذلك اشترك السوربون ومعهد

باستير فى إنشاء معهد للراديوم ، يضم قسمين : أحدهما معمل لأبحاث النشاط الإشعاعى تحت إدارة مدام كورى ، والآخر معمل للأبحاث البيولوجية ودراسة معالجة السرطان تحت إدارة طبيب مشهور . ورغماً من معارضة آلها ، تبرعت مارى للمعمل بجرام الراديوم الذى جهزته هى وبيير بيديهما ، وكان يساوى أكثر من مليون فرنك ذهب . وقد بقى هذا المعمل مدار حياتها إلى النهاية .

وفى أثناء الحرب خدمت مارى وطنها الثانى بكل ولاء وإخلاص . وإذ وجدت أن المستشفيات تعوزها الأشعة السينية التى تكشف موضع الرصاص فى المصابين ، قررت فى الحال أن مهمتها هى إعداد مراكز خاصة بالكشف بالأشعة السينية ، فجمعت أجهزة الأشعة التى تمكنت من الحصول عليها فى المصانع ومعامل الجامعات ، ووزعتها على المستشفيات القريبة من باريس . كما حشدت عدداً كبيراً من المتطوعين من الأساتذة والمهندسين والعلماء ، لكى يدربوا تلك الآلات . وإلى جانب ذلك أعدت مارى سيارة خاصة لنقل المصابين من الخطوط الأمامية فى الميدان إلى المستشفيات ، وكانت تلك السيارة المجهزة بجهاز رونتجن ودينامو ، هى الوحيدة المستعملة فى أثناء واقعة المارن . ثم جاهدت مارى طويلا حتى تمكنت من الحصول على عشرين سيارة لهذا الغرض جهزتها كسابقتها ، فدعيت تلك السيارات « بالكوريات الصغيرة » . ولم تتأخر عن قيادة إحداها بنفسها ، برغم ما عانته فى سبيل ذلك من التعب .

وأضافت مفخرة أخرى إلى تاريخ جهادها إذ تمكنت من إعداد مائتى غرفة بأجهزة الراديوم ، حتى بلغ عدد المصابين الذين عولجوا فيها ما يزيد عن المليون . أمام كل ما لاقته مارى من المتاعب والصعاب لم تظهر أدنى تململ أو كلل ، بل لم تعن بتأثير الأشعة السينية فيها ، أو بتعرضها لخطر النيران حولها فى ميادين القتال . ومما هو جدير بالذكر أنها لم تنل اعترافاً رسمياً ما بالخدمات التى أسدتها إلى فرنسا فى الحرب ، ولكنها شعرت فى الوقت نفسه أنها نهضت بالواجب عليها على أكمل وجه .

أمريكا

فى سنة ١٩٢٠ اكتتبت نساء أمريكا بمبلغ مائة ألف دولار لشراء جرام من الراديوم لإهدائه إلى مارى كورى ، وطلبن منها مقابل ذلك زيارتهن ، فترددت مارى أولا فى إجابة طلبهن ، ولكنها إزاء كرمهن لم تجد بداً من التغلب على حيائها وانزوائها ، والتعرض لأول مرة فى حياتها ، وهى

فى الرابعة والخمسين ، لما تفرضه عليها رحلة رسمية عظيمة كتلك الرحلة .

وهناك على رصيف ميناء نيويورك انتظرتها الجماهير الغفيرة مدة خمس ساعات كاملة ، فعبرت لها بذلك عن مبلغ إجلالها لها . كان الأمريكيون — قبل رؤيتها — قد أحاطوا اسمها بما يقرب من الولاء الدينى، أما الآن وهى بينهم فليس لإجلالهم حد ما . لن أحاول فى هذا المقام أن أعرّف روح أمة ، ولكنى أقرر أن الحماسة المتناهية التى قابل بها الأمريكيون مارى كورى لها مغزاها العميق .

فإن الشعوب اللاتينيـة ، مع اعترافها بعبقرية الأمريكيين ونبوغهم ، تزعم لنفسها الانفراد بتبجيل المثل العليا ، ولكنه ثبت الآن أن الأمريكيين ما ساروا فى احتفائهم بمارى هذا الاحتفاء العظيم إلا وراء تلك المثل العليا التى يجلونها .

قد تثير سيدة كهذه بشخصيتها ومكتشفاتها شيئاً من حب الاستطلاع والإعجاب، ولكن ليس هذا كافياً لوصف ما أظهره الأمريكيون من العطف والحب ، فإنهم ما كانوا حينئذ إلا محتفين بالنبل فى الحياة ، النبل الممثل فى احتقار الربح المادى ، والتفانى فى حب الحياة الفكرية الخالصة ، والرغبة الشديدة فى خدمة الغير . كانت الجامعات الأمريكية جميعها قد دعت مدام كورى لزيارتها وأعدت لها الداليات والدرجات العلمية، ولكن مدام كورى وقفت مذهولة حينما أحاطها القوم بالإعجاب والتبجيل ، وشعرت بالخجل والحياء كلما تطلعت إليها الجماهير المتشوقة لرؤيتها ، بل إن خوفاً غريباً استولى عليها أولا ، ألا وهو الخوف من أن تطغى عليها الجماهير .

وأخيراً ضعفت صحة مارى فلم تتمكن من إتمام رحلتها ، واضطرت إلى الرجوع إلى فرنسا نزولا على مشورة أطبائها . رجعت مارى منهوكة ولكنها مغتبطة راضية ، وإن حياءها وتواضعها ما كانا ليحجبا عنها الحقيقة ، وهى أنها قد بثت السرور فى قلوب ملايين من الأمريكيين .

وإنى أعتقد أن رحلة والدتى إلى أمريكا قد علمتها أن حياة العزلة التى تحياها تتناقض ومقامها العالى . فمع أن مدام كورى الباحثة قد تمكنت قبلا من الانعزال عن العالم ، إلا أن مدام كورى فى سن الخمسين لم تكن باحثة وعالمة فحسب، بل إن مقامها الاجتماعى هيأ لها النجاح فى تأدية رسالتها إلى العالم ، فكان لا بد لها من أن تحمل تلك الرسالة .

أما رحلاتها بعد ذلك فكانت متشابهة ، إذ شملت حضور المؤتمرات العلمية والمحاضرات والاحتفالات الجامعية ، وزيارة المعامل ، فكانت حيثما حلت موضع التكريم والتبجيل.

وفى ذلك الوقت جمعت وارسو مبلغاً من المال عن طريق الاكتتاب العام ، وانشأت به معهداً للراديوم أسمته : « معهد مارى سكلودفسكا كورى » ، كما تبرعت النساء الأمريكيات ثانية بجرام آخر من الراديوم لمدام كورى . فأعاد التاريخ نفسه إذ زارت مارى نيويورك فى ١٩٢٩ ، كما زارتها فى سنة ١٩٢١ ، لشكر النساء الأمريكيات ، ولكن زيارتها كانت باسم بولندا هذه المرة ، حلت ضيفاً على الرئيس هوفر فى البيت الأبيض .

ومما يسترعى الانتباه أن مدام كورى لم تتغير ، فلم تتغلب على خوفها من الجماهير المحتشدة ، كما أن الشهرة لم تؤثر فى أخلاقها . ويخيل إلى أنها لم تتمكن من الوصول إلى « اتفاق ودى » مع ذيوع الصيت ، بل كان حليفها الأول والأخير هو العمل ، حتى كتبت مرة تقول : « إنى أشك هل أتمكن من الحياة بدون العمل ؟ » . وفهم هذه العبارة يقتضى منا فهم مدام كورى وتعرف نفسيتها ، فلقد كان يغمرها السرور والغبطة متى نجحت فى تجربة ما تجريها ، على حين كانت تنقض عليها صواعق الهم إذا ما أخفقت فيها .

خاتمة الرسالة

ومضت مارى فى عملها إلى النهاية بنشاط فذ ، وبإهمال فريد أيضاً لراحتها وصحتها ، فلم تحترس ألبتة من خطر الراديوم ، فتناولته واشتغلت به دون أن تأخذ بالحيطة التى نبهت طلبتها إليها . وبعد جهد جهيد أذعنت لامتحان دمها فى معهد الراديوم ، فأظهر الكشف مادة غريبة به . وما هى ؟ لقد قضت مدام كورى خمساً وثلاثين سنة وهى تعمل بالراديوم ، وتتنفس الهواء المشبع به ، كما تعرضت فى أثناء الحرب لإشعاع أخطر من الأول ، وهو إشعاع جهاز رونتجن ، ولكنها لم تحسب ما أصابها من ألم أو حروق إلا شيئاً يسيراً فى مقابل الأخطار التى تعرضت لها .

لم تعر مارى إصابتها بالحمى التفاتاً كبيراً ولكن فى مايو سنة ١٩٣٤ لازمت الفراش لإصابتها بنزلة . ولما توقف قلبها القوى أخيراً عن النبض ، أصدر العلم حكمه ، وهو أن ما طرأ عليها من الأعراض الغريبة ، وما أثبته الامتحان فى دمها ، يرجع إلى الراديوم ، فهو المجرم الحقيقى .

وفى يوم الجمعة فى السادس من شهر يوليو سنة ١٩٣٤ أودعت مارى مقرها الأخير بدون احتفال رسمى — إنفاذاً لوصيتها — فدفنت بجانب زوجها بيير فى مدفن «سو» ، بحضور أقاربها وأصدقائها وزملائها .

قصة مجلة عجيبة

ملخص من قصة « ريدرز دايجست » بقلم محرريها

● بدأت فكرة فى فبراير سنة ١٩٢٢ ، ثم تجسمت خدمة ينعم بها نفر قليل من أعضاء رابطة محدودة ، ثم تحولت مجلة عالمية يقرؤها ملايين من الناس فى قارات الأرض الست وجزائر البحار .

● أما الفكرة فأساسها : إن ما تصدره المطابع كل شهر من مجلات عامة ، وفنية خاصة ، وكتب ، تتعذر مطالعته كله والافادة منه على كائن من كان . ومطالعة هذه المجلات والكتب ، واختيار أجودها وتلخيصه وإباحته لمن يريد ، فكرة عظيمة .

● وقد حققت هذه الفكرة فتجسمت خدمة ينعم بها عدد محدود من الناس انتظموا جماعة . فراقهم العمل ، وجنوا منه متعة وفائدة ، ووفر عليهم وقتاً كثيراً .

● وعندئذ شاع ذكرها ، واشتهرت مزاياها ، واشتد الطلب عليها ، فتحولت مجلة عامة يقرؤها ملايين من الناس فى خمس لغات أو ست . فهى متاحة الآن لكل من يريد ، وليست مزية يتمتع بها نفر قليل .

● كل عدد من أعداد هذه المجلة ، يستغرق إعداده ٥٦٧٠ ساعة من ساعات العمل الدقيق المحكم . ومحررو المجلة يقرأون كل شهر ما يزيد على ٥٠٠ مجله ونشرة فنية . وهذه القراءة وحدها تمثل عمل ٧٠٠ يوم ، ثمانى ساعات كل يوم . ولو أقام فرد على قراءتها ولم يفعل شيئاً آخر لما أنجز قراءتها فى سنتين .

● وكل مقال فى كل عدد من هذه المجلة يستغرق تلخيصه ، عمل ستة من الكتاب الأكفاء المختصين ، على المعدل .

● يطالع محررو المجلة عشرات من الكتب الجديدة التى تصدرها المطابع كل شهر ، ويختارون أجودها وأهمها شأناً وأقومها أدباً ، ثم يلخصونه تلخيصاً يحوى لباب الكتاب وروح كاتبه وأسلوبه . وقد دل استفتاء القراء شهراً بعد شهر على أن « باب الكتب » لا يقبلون عنه بديلاً فى المجلة .

● كل مقال يلخص من مجلة ما ، وكل كتاب يلخص فى باب الكتب ، يستأذن فى تلخيصه ، أصحاب المجلة أو الكاتب أو الناشر وتمنح المجلة أو الناشر مكافأة على إذن التلخيص ويعطى الكاتب مكافأة قد تزيد أحياناً على المكافأة التى نالها على مقاله الأول ، ولم يحدث أن امتنع كاتب ما عن الإذن للمجلة فى تلخيص مقال له ، ومن النادر أن يمتنع ناشر .

● إن محررى هذه المجلة يعدونها خدمة تسدى إلى قرائها فى المقام الأول ، وهم لا يدخرون وسعاً فى إجادة الاختيار والتلخيص ، وإجادة العرض بحيث تكون المجلة رفيقاً أنيساً وصديقاً مرشداً لكل قارىء .



لكي تسود
حرية الرأى
فى جميع بقاع العالم
من خمس وخمسين سنة خلت كانت خطتنا المثلى أن ننتج أقلاماً تبلغ من الكمال حداً يتيح لك أن تسطر آراءك على القرطاس بطلاقة ، وبدون أى عائق
أما اليوم ، فإذا كان مخزن الأدوات الكتابية عاجزاً عن مدك بقلم حبر پاركر الذى تبحث عنه ، فصبراً جميلا من فضلك !
إن ذلك مرجعه إلى أن أغلب خبراء شركة پاركر المتخصصين فى الأدوات الدقيقة قد التحقوا بالمصانع الحربية ... مساهمة منهم فى إعادة الحرية التامة إلى العالم جميعاً !
پاركر
Parker
Quink



معبأة جميعاً في خدمة النصر

من ٢٨ سنة ومصانع « جوديير » محتلة مكان الصدر بين أعظم منتجي إطارات السيارات وفي خلال هذه السنين لم تكتف مصانع « جوديير » بإدخال تحسينات لا حصر لها في صناعة الاطارات العصرية فحسب ، بل تناولت بالتجديد والتحسين كثيراً من منتجات المطاط الأخرى

أما اليوم فإن خبرة « جوديير » التي لا تجارى ومهارة إخصائييه وموارده العظيمة جميعاً ، كلها عبئت لخدمة النصر . فمصانع جوديير تنتج من شتى المعدات الحربية اللازمة ما يربى عدده على السبعين مثل : رصاص البنادق وخزانات الجازولين للطائرات التي تسد ثقوبها من تلقاء نفسها ، ومجموعات من الزوارق التي تنتفخ انتفاخاً ذاتياً ، وبالونات صغيرة للطاردة والقواطات وأجنحة الطائرات وذيولها وغيرها من الأجزاء التي تضبط بها الطائرات . وكذلك الاطارات على اختلاف أقيستها للوحدات الميكانيكية المتنوعة

فيتضح أن تقدم جوديير إبان السلم قد خدم قضية الحلفاء خلال الحرب خدمة لا تقدر ، وعلى هذا الأساس ستضع مصانع جوديير كل ما اكتسبته من خبرة الآن ، في خدمة منتجاتها الجديدة — بعد النصر

GOOD YEAR
TIRES



الرجال والمعدات تنزل إلى اليابسة بسهولة على شواطىء الأوقيانوس الصخرية وعلى سواحل الأدغال الموحلة أو مصاب الأنهار ، والفضل فى ذلك لزوارق هيجنز . وقد أدرك المهندسون البحريون الأمريكيون والبريطانيون والهولنديون وغيرهم هذه الحقيقة فأنشىء تلبية لطلبهم ، أكبر مصنع للزوارق فى العالم . وسيكون هذا المصنع على تمام الأهبة لإجابة طلبك عندما تضع الحرب أوزارها ويعود السلام . إن زوارق هيجنز لا تعرف معنى الصعوبة فى المسائل البحرية فهى قد بنيت خصيصاً لتجوب البحار وتشق العباب وتعود سالمة .

وقد امتحنت زوارق ومراكب هيجنز امتحاناً دقيقاً وجربت فأسفر امتحانها وتجريبها فى المختبرات الحربية الفنية عن نجاح باهر .

شركة صناعات هيجنز

نيو أورليانس الولايات المتحدة

محور القارتين الأمريكيتين أعظم بناة الزوارق فى العالم

والاستقرار ، ترحب بالاستعانة بكل جديد نافع . فقد كنا أصحاب مدنية قديمة استمد الغرب منها مقومات نهضته التي ملأت الدنيا بما تشهد من روائع الآثار ، وعادت أحلام القرون الغابرة حقائق ملموسة . فلو رجع إلى الحياة واحد من أولئك الحالمين لأغمض عينيه طويلاً قبل أن يستيقن من صحة ما يرى ويشهد .

لقد غزا الفكر الإنساني جميع الآفاق ، وطوف فيها ما شاءت له الهمة والعزيمة أن يطوف ، وحاول أن يكشف عن كل مستور ، ويصحح كل خطأ ، ويقترب بالإنسانية جميعها من أهدافها ، ويمهد للعقول القادمة طريق البحث والاستقراء والتمحيص . فمن أوجب واجبات قراء العربية أن يقفوا على تيارات الفكر في جميع أشكالها وصورها حتى تدنو من الصواب في كل ما نعمل .

إنما نريد لمصر أن نساهم مع الشعوب كلها في أداء حق التعمير الإنساني ، وتقدير كرامة الإنسان ، والقيام برسالة الحق والعدل ، وتخليص البشرية من ويلات رذائلها البغيضة .

ولن يتهيأ لنا ذلك إلا إذا اقتبسنا مشعلاً من كل أمة ، ووصلنا بين عقول أبنائنا وبين أفكار أولئك الرجال الملهمين ، الذين توفروا على دراسة هذه الحياة في مختلف نواحيها ، وهم يقدمون نتائج بحوثهم الفنية الشاقة في فصول سهلة ميسورة الفهم والإدراك .

ومما لا ريب فيه أن التراث المادي قد يحتجز فيختص به شعب دون شعب ، وفريق دون فريق ، ولكن الفكر الإنساني لا يمكن أن يحول دونه حائل عن التجول في كل مكان يعمره الناس ، وخاصة بعد أن وضحت معالم التبادل بين الناس في شتى وسائل المواصلات .

ويقيننا أن ما بين مصر وأمريكا من أسباب التعاطف والمودة سوف يضاعفه قيام مجلة « المختار » من ريدرز دايجست التي أرجو لها من صميم القلب كل نجاح وتوفيق .

جزء متمم للثقافة العالمية

للأستاذ محمود أبو الفتح

عضو مجلس الشيوخ ، صاحب جريدة المصرى ، رئيس نقابة الصحفيين

يسعدنى كثيراً أن أتقدم إلى قراء العربية فى مصر والشرق مجلة « ريدرز دايجست » ، التى ظفرت بتقدير رجال الفكر فى العالم ، وفاضت صفحاتها بثمرات قرائح الموهوبين والنوابغ فى شتى البحوث والموضوعات ، حتى أصبحت جزءاً متمماً للثقافة العالمية . ويسرنى أن يفكر القائمون بأمرها فى أن يصدروا طبعة منها باللغة العربية ، لتؤدى رسالة من أنبل رسالات النشر فى استنارة العقول ، وإضافة أفق جديد من آفاق التفكير المتزن وصحة الإدراك وملاحقة تيارات الآراء المختلفة التى تقود الحياة الذهنية فى العالم .

ومن مزايا هذه المجلة أن تلخص مختلف الدراسات التى يقوم بها إخصائيون ممتازون وتقدمها إلى القراء ، فيصيب الأديب والمتأدب والقارىء العادى حاجته من هذه البحوث ، ويغذى عقله بأرقى ألوان الثقافة والمعرفة ، ويجد نفسه على أتم الصلات بأولئك الرجال المفكرين الذين يحاولون جهدهم تيسير الحياة على الناس وتعبيد الطرق أمامهم بحل معضلات الحياة نفسها على قدر ما يستطيع ذهن العبقرى الوصول إليه من فتح مغاليق هذه المعضلات .

ولست أشك فى أن نهضة مصر قد صاحبتها وثبة صحفية ملحوظة . فلم يعد جهد الصحافة محصوراً فى أن توجد قراء بقدر ما هو محصور فى إفادة هؤلاء القراء الموجودين فعلا ، والذين يتزايدون كل يوم بانفساح ميادين التعليم أمام مواكب المتعلمين ، وكذلك لا أنكر حاجة مصر إلى هذا اللون الصحفى الذى يقوم على تغذية القراء بأشهى ثمرات العقول الناضجة ، والأفكار النيرة ، والأبحاث الطريفة .

وفى نهضتنا هذه التى نحاول أن نستكمل لها أسباب القوة والطمأنينة

[التتمة على الصفحة السابقة]